الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.

تُرجم إلى 13 لغة عالمية

سفر أم خطر

FLIGHT OR FRIGHT

17 حكاية مضطربة

تحرير:
ستيڤن كينغ و بَڤ فنسنت
STEPHEN KING & BEV VINCENT

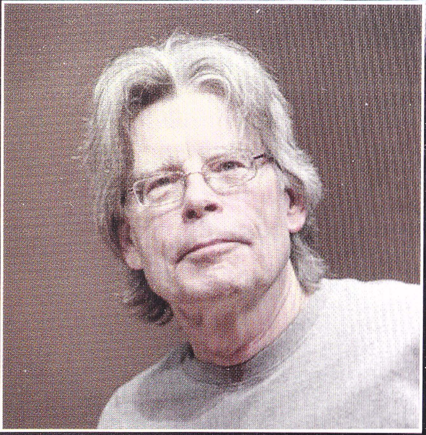

ألّف ستيفن كينغ أكثر من خمسين كتاباً، نالت كلها مرتبة الأكثر مبيعاً في جميع أنحاء العالم. وأعماله الأخيرة تتضمن Sleeping Beauties (تعاون على تأليفها مع ابنه أوين كينغ)، وEnd of Watch، ومجموعة القصص القصيرة The Bazaar of Bad Dreams، وFinders Keepers، وMr. Mercedes (نالت جائزة إدغار لأفضل رواية، وهي الآن مسلسل تلفزيوني على محطة AT&T Audience Network)، وDoctor Sleep، وUnder the Dome. صُنِّفت روايته 11/22/63 – وقد تحوّلت إلى مسلسل تلفزيوني على محطة هولو – من بين أفضل عشرة كتب للعام 2011 على قائمة New York Times Book Review، وفازت بجائزة كتاب لوس أنجلوس في فئة كتب التشويق والإثارة. تشكّل روايته It وسلسلة رواياته «برج الظلام» الأساس لأفلام سينمائية رئيسية. نال ستيفن كينغ ميدالية الفن الوطني للعام 2014 وميدالية مؤسسة الكتاب الوطنية للعام 2003 على مساهمته المتميّزة في الأدب الأميركي. يعيش في بانغور، ماين مع زوجته الكاتبة تابيثا كينغ.

سفر أم خطر

FLIGHT OR FRIGHT

17 حكاية مضطربة

سفر أم خطر

FLIGHT OR FRIGHT

17 حكاية مضطربة

تحرير:

ستيڤن كينغ و بَڤ فنسنت

STEPHEN KING & BEV VINCENT

ترجمة

اوليغ عوكي

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل

Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

يتضمن هذا الكتاب ترجمة الأصل الإنكليزي
Flight or Fright
حقوق الترجمة العربية مرخّص بها قانونياً من
The Lotts Agency, Ltd.
بمقتضى الاتفاق الخطي الموقع مع الدار العربية للعلوم ناشرون، ش.م.ل.
Copyright © 2018 Edited by Stephen King and Bev Vincent
All Rights Reserved
Arabic Copyright © 2019 by Arab Scientific Publishers, Inc. S.A.L

الطبعة الأولى: أكتوبر/تشرين الأول 2019 م – 1440 هـ

ردمك 978-614-01-2914-6

جميع الحقوق محفوظة للناشر

الدار العربية للعلوم ناشرون ش.م.ل
Arab Scientific Publishers, Inc. SAL

عين التينة ، شارع المفتي توفيق خالد، بناية الريم
هاتف: 786233 - 785108 - 785107 (1-961+)
ص.ب: 5574-13 شوران – بيروت 2050-1102 – لبنان
فاكس: 786230 (1-961+) – البريد الإلكتروني: asp@asp.com.lb
الموقع على شبكة الانترنت: http://www.asp.com.lb

facebook.com/ASPArabic
twitter.com/ASPArabic
www.aspbooks.com
asparabic

يُمنع نسخ أو استعمال أي جزء من هذا الكتاب بأية وسيلة تصويرية أو إلكترونية أو ميكانيكية بما فيه التسجيل الفوتوغرافي والتسجيل على أشرطة أو أقراص مقروءة أو أية وسيلة نشر أخرى بما فيها حفظ المعلومات واسترجاعها من دون إذن خطي من الناشر.

إن الآراء الواردة في هذا الكتاب لا تعبر بالضرورة عن رأي **الدار العربية للعلوم ناشرون** ش.م.ل

تصميم الغلاف: **علي القهوجي**
التنضيد وفرز الألوان: **أبجد غرافيكس**، بيروت – هاتف 785107 (1-961+)
الطباعة : **مطابع الدار العربية للعلوم**، بيروت – هاتف 786233 (1-961+)

هذه المختارات الأدبية مُهداة إلى جميع الطيارين، الحقيقيين والخياليين، الذين حطّوا بطائراتهم بعد رحلة جوية مروِّعة وأعادوا ركابهم إلى منازلهم سالمين. القائمة تشمل:

ويلبر رايت

تشيسلي سولنبرغر

تامي جو شولتز

فيرنون ديميرست

روبرت بيرسون

إيريك جينوت

تيم لانكستر

مين-هوان هُو

إيريك مُودي

بيتر بوركيل

برايس ماكورميك

روبرت شورنشايمر

ريتشارد شامبيون دي كريسبنيي

روبرت بيشيه

براين أنغل

تد سترايكر

المحتويات

مقدمة – ستيفن كينغ 9
الحمولة – إ. مايكل لويس 17
رعب الارتفاعات – آرثر كونان دويْل 41
كابوس على ارتفاع 6,000 متر – ريتشارد ماثيسون 63
الآلة الطائرة – أمبروز بِيرس 89
لوسيفر! – إ.ت. تَبّ 91
الفئة الخامسة – توم بيسيل 107
دقيقتان وخمس وأربعون ثانية – دان سيمونز 145
الشياطين الصغيرة – كودي غُودفيلو 157
غارة جوية – جون ڤارلي 177
لديكم الإذن – جو هيل 199
طيور الحرب – دايفد ج. شو 237
الآلة الطائرة – راي برادبُري 263
زومبي في الطائرة – بَڤ فنسنت 271
لن يشيخوا – روالد دالْ 283
جريمة قتل في الجو – پيتر تريماين 305
خبير المطبّات الجوية – ستيفن كينغ 331
سقوط – جايمس ديكي 351
كلمة ختامية: رسالة مهمة من قُمرة القيادة – بَڤ فنسنت 361
نبذة عن المؤلفين 367

مقدمة

ستيفن كينغ

هل هناك أشخاص في عالمنا العصري المعتمد على التكنولوجيا يستمتعون بالطيران؟ رغم مدى صعوبة تصديق ذلك، إلا أنني متأكد من وجود هكذا أشخاص. الطيّارون مثلاً، ومعظم الأولاد (لكن ليس الأطفال؛ فالتغييرات في الضغط الجوي تُفسِد مزاجهم)، ومختلف المتحمّسين للطيران، لكن الحدود تقف هنا. أما بالنسبة لبقيتنا، فتشويق السفر الجوي التجاري مماثل لتشويق إجراء فحص للقولون والمستقيم. تميل المطارات العصرية إلى أن تكون حدائق حيوانات شديدة الازدحام يتعرَّض فيها منسوب الصبر واللياقة العادية لضغوط هائلة. فالرحلات تتأخر أو تُلغى، والأمتعة تُرمى يميناً ويساراً كأنها أكياس حبوب، ولا تصل في حالات عديدة مع الركاب الذين يرغبون بشدّة الحصول على قمصان نظيفة أو حتى مجرد سروال داخلي نظيف *واحد*.

إذا كانت لديك رحلة صباحية باكرة، ليكن الله في عونك. فهذا يعني النهوض من السرير عند الرابعة فجراً لكي تتمكن من إتمام عملية تسجيل الحضور والصعود إلى الطائرة المعقَّدة والمتوتّرة كالخروج من دولة صغيرة فاسدة في أميركا الجنوبية في العام 1954. هل معك بطاقة هوية عليها صورتك الفوتوغرافية؟ هل تأكدت أن الشامبو ومنعِّم الشعر موضوعان في عبوات بلاستيكية صغيرة شفافة؟ هل تحضَّرت لتخلع حذاءك ولتعريض مختلف أجهزتك الإلكترونية للإشعاعات؟ هل أنت

متأكد أن لا أحد غيرك وضَّب أمتعتك، أو كان لديه وصول إليها؟ هل أنت جاهز لتخضع لمسح بدنيّ كامل، وربما تلمُّس نقاطك الحسّاسة على سبيل الاحتياط فقط؟ نعم؟ جيد. لكنك قد تكتشف رغم ذلك أن التذاكر المباعة لرحلتك أكثر من عدد المقاعد المتوفرة فيها، أو أن رحلتك ستتأخر بسبب عطل ميكانيكي أو أحوال الطقس، وربما أُلغيَت بسبب تعطّل الكمبيوتر. أيضاً، الويل لك إذا كنت تسافر بحجزٍ احتياطيٍ؛ قد يكون حظك سعيداً أكثر إذا اشتريتَ تذكرة حظ من النوع الذي يتم حكّه لكشف الجائزة.

تتغلَّب على تلك الحواجز لكي تتمكن من دخول ما سمّاه أحد المُساهمين في هذه المختارات الأدبية "صَدفة موت عاوية". أليس هذا يتخطّى الحدود قليلاً، قد تسأل، ناهيك عن أنه يخالف الحقيقة؟ بالتأكيد. نادراً ما تنطفئ الطائرات (رغم أننا كلنا رأينا فيديوهات مُقلِقة تم التقاطها بهواتف خلوية تُظهِر محرّكات تتجشأ نيراناً على ارتفاع 9,000 متر)، ونادراً ما يتسبَّب الطيران بالموت (تقول الإحصائيات إنك معرَّض أكثر للموت وأنت تجتاز الشارع، خاصة إذا كنتَ مغفَّلاً تحدِّق في هاتفك الخلوي بينما تفعل ذلك). ومع ذلك فأنت تدخل ما هو *عملياً* أنبوب معبأ بالأكسجين، وتجلس فوق أطنان من وقود النفّاثات الملتهب جداً.

بعدما يُغلق أنبوبك المعدني والبلاستيكي بإحكام (مثل - تباً! - تابوتٍ) ويغادر المدرَج، جارّاً خلفه ظله المتضائل، يبقى شيء واحد فقط أكيد، شيء إيجابي لدرجة أنه أبعد من الإحصائيات: ستنزل *حتماً*. الجاذبية تفرض ذلك. والسؤال الوحيد هو لماذا وبكم قطعة، علماً أن قطعة واحدة هو العدد المثالي. إذا جرى لَمّ الشمل مع كوكب الأرض

الأم على كيلومتر ونصف من الأسمنت (على أمل أن يحصل ذلك في وجهتك، لكن أي كيلومتر ونصف من سطحٍ مرصوفٍ سيفي بالغرض عند اللزوم)، يكون كل شيء على ما يرام. وإلا فإن فرصك الإحصائية بالنجاة تنخفض بسرعة. وذلك، أيضاً، هو حقيقة إحصائية، وهي حقيقة حتى أكثر المسافرين الجويين الخبراء يجب أن يُمعِنوا التفكير فيها عندما تصطدم رحلتهم الجوية بمطبّ هوائي على ارتفاع 9,000 متر.

ستكون الأمور خارج سيطرتك بالكامل في هكذا لحظات. لا يمكنك أن تفعل شيئاً بنّاءً سوى إعادة فحص حزام أمانك بينما الأطباق والزجاجات تخشخش في المطبخ والخزائن العليا تُفتح بأصوات فرقعةٍ والأطفال يُعولون ويستسلم مزيل رائحتك ويأتي صوت المضيفة عبر مكبِّرات الصوت ليقول إن "القبطان يطلب منكم البقاء جالسين على مقاعدكم". بينما يرتعش أنبوبك الشديد الازدحام ويُصدر صريراً، يكون لديك الوقت لتفكّر ملياً بضُعف جسمك وبتلك الحقيقة غير القابلة للجدل: ستنزل *حتماً*.

بما أنني زوَّدتُك بطعامٍ لفكرك خلال رحلتك الجوية التالية، دعني أطرح السؤال الملائم: هل هناك أي نشاط بشري، أي نشاط على الإطلاق، ملائم لمختارات أدبية عن الرعب وقصص الحماس أكثر من هذه المختارات التي تحملها بين يديك؟ لا أعتقد، سيداتي سادتي. كلنا نعاني من هذه الحالة: رُهاب الأماكن الضيقة، رُهاب المرتفعات، فقدان الفعل الإرادي. حياتنا معلَّقة بخيط دائماً، لكن ذلك لا يكون أبداً واضحاً أكثر مما يكون عند الهبوط في لاغوارديا عبر سُحُب سميكة ومطر غزير.

كملاحظة شخصية، محرِّرك مسافرٌ جويٌ أفضل بكثير مما كان

عليه. فبفضل مهنتي كروائي، سافرتُ كثيراً خلال السنوات الأربعين الأخيرة، وحتى العام 1985 تقريباً، كنتُ بالفعل مسافراً جوياً خائفاً جداً. كنتُ أفهم نظرية الطيران، وأفهم كل إحصائيات الأمان، لكن لا هذا ولا ذاك ساعدني. ينبع جزء من مشكلتي من رغبةٍ (لا تزال لديَّ) بأن أكون مسيطراً على كل حالة. أشعر بالأمان عندما أكون خلف المِقوَد، لأنني أثق بنفسي. وعندما تكون أنت خلف المِقوَد... لا أشعر بالأمان كثيراً (آسف). عندما تجلس في طائرة فإن ما تفعله هو تسليم زمام السيطرة إلى أشخاص لا تعرفهم؛ أشخاص قد لا تراهم أبداً حتى.

وما هو أسوأ، بالنسبة لي، هو حقيقة أنني شحَذتُ مخيلتي إلى درجة قوية على مر السنوات. هذا ممتاز عندما أكون جالساً في مكتبي أختلق حكايات قد تحدث فيها أشياء فظيعة لأشخاص لطيفين جداً، وليس ممتازاً إلى هذا الحد عندما أكون رهينةً في طائرة تستدير نحو المدرَج، تتردَّد، ثم تنقضّ إلى الأمام بسرعات ستُعتبر أبعد من انتحارية في سيارة عائلية.

المخيلة سيف ذو حدّين، وفي تلك الأيام الأولى عندما بدأتُ أسافر جواً كثيراً كرمى لعملي، كان من السهل جداً أن أجرح نفسي به. من السهل جداً الوقوع في براثن أفكار بشأن كل الأجزاء المتحركة في المحرّك الموجود خارج نافذتي، كل تلك الأجزاء الكثيرة العدد بحيث بدا لي أنه من المحتوم تقريباً أن تصل إلى مرحلة لا تعمل فيها بانسجام مع بعضها البعض. من السهل عليَّ أن أتساءل – من المستحيل عليَّ ألا أتساءل ذلك، في الواقع – عن معنى كل تغيير صغير في صوت تلك المحرّكات، أو لماذا الطائرة مالت فجأة في اتجاه جديد، وسطح شرابي البيبسي يميل معها (بشكل مخيف!) في كوبه البلاستيكي الصغير.

سفر أم خطر

إذا جاء الطيّار ليدردش قليلاً مع الركاب، كنتُ أتساءل إن كان مساعِد القبطان كفوءاً (بالتأكيد لا يمكنه أن يكون كفوءاً *مثله*، وإلا لما كان موجوداً كميزة احتياطية). ربما الطائرة تطير على الطيّار الآلي، لكن لنفترض أن الطيّار الآلي انطفأ فجأة بينما الطيّار يناقش فرص فوز فريق اليانكيز مع أحدهم، وغطست الطائرة بشكل مفاجئ؟ ماذا لو فُتحت مزاليج مقصورة الأمتعة؟ ماذا لو تجمَّدت عجلات الهبوط؟ ماذا لو انفجَرت نافذةٌ تعاني من عيوب لكنها نجحت في اختبار موظف مراقبة الجودة وهو يحلم بحبيبته؟ وعلى ذكر الانفجارات، ماذا لو أصابنا نيزكٌ، وتطاير الهواء المضغوط من المقصورة؟

ثم، في منتصف الثمانينات، هَمَدت معظم تلك المخاوف، بفضل حادث كاد يكون مميتاً أثناء الإقلاع من مطار فارمينغدايل في نيويورك، في طريقنا إلى بانغور، ماين. أنا متأكد أن هناك أشخاصاً كثيرين - وبعضهم ربما يقرأ هذا الكتاب الآن - تعرّضوا لحالات ذعر في الجو، كل شيء من انطواء العجلات الأمامية إلى تزحلق الطائرات إلى خارج مدارج جليدية، لكن ذلك الحادث كان قريباً جداً من الموت بشكل لا يُصدَّق وهي أعجوبة أن ننجو منه لنُخبر عما حدث.

كان الوقت متأخراً بعد الظهر، والطقس صافياً جداً. استقلّيتُ طائرة لير 35 بدت عند الإقلاع كما لو أن هناك صاروخاً مربوطاً بمؤخّرتك. كنتُ قد ركبتُ تلك الطائرة لير بالذات عدة مرات، وأعرف الطيّارَين وأثق بهما، ولما لا؟ فالطيّار الجالس على المقعد الأيسر بدأ يقود طائرات نفّاثة في كوريا، ونجا من العديد من المهام القتالية هناك، وكان يطير منذ ذلك الحين. لديه عشرات آلاف الساعات. أخرَجتُ روايتي الورقيّة الغلاف وكتاب كلماتي المتقاطعة، متوقّعاً رحلة هادئة ولمّ

شملٍ لطيفٍ مع زوجتي وأولادي وكلب العائلة.

صعدنا حتى ارتفاع 2000 متر وكنتُ أتساءل إن كان يمكنني إقناع عائلتي بالذهاب إلى السينما تلك الليلة، عندما بدا أن الطائرة اصطدمت بجدار صخري. كنتُ متيقّناً في تلك اللحظة أننا تعرّضنا لحادث تصادم في الجو وأن ثلاثتنا على الطائرة - الطيّارَين وأنا - سنموت. انفتح باب المطبخ الصغير وتقيأ محتوياته. وطارت وسائد المقاعد الشاغرة في الهواء. مالت النفّاثة الصغيرة... مالت أكثر... ثم انقلبت بالكامل. شَعَرتُ بذلك الجزء، لكنني لم أره، فقد كنتُ قد أغمضتُ عينيَّ. لم تومض حياتي أمامي، ولم أفكّر *لكن لا تزال لديَّ أمور كثيرة عليَّ أن أفعلها*. لم يكن هناك معنى لتقبُّل ما يجري (أو عدم تقبُّله). كان هناك فقط اليقين بأن لحظتي حانت.

ثم استوت الطائرة. من قُمرة القيادة، كان مساعِد القبطان يصيح، "ستيف! ستيف! هل كل شيء بخير لديك في الخلف؟".

قلتُ إن كل شيء بخير. نظَرتُ إلى النقّالة في الرِواق، التي تحتوي على شطائر، سلطة، وقطعة حلوى بالجبنة ذات طبقة عليا من الفراولة. نظَرتُ إلى أقنعة الأكسجين الصفراء المتدلّية. سألتُ - بصوت هادئ بشكل رائع - عما حصل. لم يعرف طاقم الرحلة المؤلف من رجلَين وقتها، رغم أنهما شكّا وتأكّدا لاحقاً أننا كدنا نصطدم بطائرة دلتا 747، فقد دخلنا مجال عادمها، وذلك قذفنا عن مسارنا مثل طائرة ورقية.

في السنوات الخمسة والعشرين منذ تلك الحادثة وأنا متفائل أكثر بكثير بشأن السفر الجوي، بما أنني اختبرتُ شخصياً كم تستطيع الطائرات العصرية أن تتحمّل، وكم يمكن أن يكون الطيّارون الجيدون

هادئين وفعّالين (معظمهم هكذا) عندما تدقّ ساعة الحقيقة. أخبَرني أحدهم، "تتدرَّب وتتدرَّب، لكي تكون جاهزاً عندما تتحوَّل ست ساعات من الضجر المُطلق إلى اثنتي عشرة ثانية من الخطر الأقصى، فتعرف ماذا عليك أن تفعل بالضبط".

في القصص التي تلي، ستواجه كل شيء من عفريتٍ جاثمٍ على جناح طائرة 727 إلى وحوشٍ شفافةٍ تعيش فوق السُحُب. ستواجه السفر عبر الزمن والطائرات الشبح. وأهم شيء هو أنك ستختبر تلك الثواني الاثنتي عشرة من الخطر الأقصى، عندما تجد أن أسوأ الأشياء التي يمكن أن تحصل عالياً في الجو تحصل *فعلاً*. ستواجه رُهاب الأماكن الضيقة، الجَبانة، الرعب، ولحظات الشجاعة. إذا كنتَ تخطِّط لرحلةٍ على متن طائرة تابعة لخطوط دلتا أو أميركان أو ساوث وست أو أي شركة طيران أخرى، من الأفضل لك أن تأخذ معك كتاباً لجون غريشام أو نورا روبرتس بدلاً من هذا الكتاب. حتى ولو كنتَ آمناً على الأرض، فقد ترغب بأن تشدّ الحزام جيداً.

لأن الرحلة ستكون وعرة.

ستيفن كينغ

2 نوفمبر 2017

الحمولة

إ. مايكل لويس

إ. مايكل لويس، الذي سيقود رحلتنا الأولى، دَرَس التأليف الإبداعي في جامعة بيوجت ساوند ويعيش في إقليم الشمال الغربي الهادئ.
دع مسؤول تحميله يرشدك على متن طائرة لوكهيد C-141A ستارليفتر (مشابهة لتلك المعروضة في متحف ماكّورد الجوي والتي يُقال إنها مسكونة بأشباح) على وشك أن تُقلع من بنما في مهمة توصيل إلى الولايات المتحدة. الستارليفتر طائرة قوية قادرة على نقل حمولات تصل إلى 32,000 كيلوغرام لمسافات قصيرة. يمكنها حمل مئة مظلّي، مئة وخمسين جندياً، شاحنات وسيارات جيب، وحتى الصواريخ البالستية العابرة للقارات مينوتمان. أو حمولات أصغر. توابيت، مثلاً. بعض القصص تجعل بدنك يقشعرّ؛ إليك واحدةً ستتسلّل إلى عمودك الفقري، سنتيمتراً تلو الآخر، وتقبع في دماغك لوقت طويل جداً.

مرحباً بك على متن خطوطنا الجوية.

نوفمبر 1978

حلَمتُ بحمولةٍ. آلاف الأقفاص التي ملأت مخزن الطائرة، كلها مصنوعة من خشب صنوبر غير مصقول، من النوع الذي يُدخِل شظايا في قفازات العمل. كانت مختومة بأرقام مجهولة ولفظات مختصرة غريبة تتوهَّج بشراسة بضوء أحمر معتم. كان يُفترَض بها أن تكون عجلات سيارات جيب، لكن بعضها كان كبيراً كمنزلٍ، وبعضها الآخر صغيراً كشمعة الإشعال، وكلها مثبّتة بمنصات نقّالة ذات أربطة تشبه أربطة

سترات المجانين. حاوَلتُ فحصها كلها، لكنها كانت كثيرة جداً. سمعتُ صوت جرجرة منخفضة عندما تحرَّكت الصناديق، ثم سقطت الحمولة عليَّ. لم أستطع الوصول إلى الهاتف الداخلي لأحذِّر الطيّار، فقد ضغطت الحمولة عليَّ بألف إصبع صغير حاد عندما تدحرَجت الطائرة، ساحقةً الحياة مني حتى عندما غطَسنا، حتى عندما تحطّمنا، والهاتف الداخلي يرنّ الآن كأنه صراخ. لكن كان هناك صوت آخر أيضاً، من داخل القفص الذي بجانب أذني. هناك شيء يكافح داخل الصندوق، شيء معتوه ومنجَّس، شيء لم أرغب برؤيته، شيء أراد الخروج.

تغيَّر الصوت إلى صوت لوح مشبكي يُطرَق على الإطار المعدني لسرير الطاقم الخاص بي. انفتحت عيناي جافلتين. وَقَف الطيّار – الجديد في الطيران الداخلي، من العرق الذي يملأ ياقته – فوقي حاملاً اللوح المشبكي بيننا، ومحاولاً أن يقرِّر إن كنتُ من النوع الذي سيقطع له عنقه لمجرد إنجازه عمله. "الرقيب الفنّي دايفس"، قال، "يحتاجون إليك في موقف الطائرات فوراً".

استويتُ جالساً وتمطَّطتُ. سلَّمني اللوح المشبكي والبيان الرسمي المرفق به: طائرة HU-53 مذهِلة مع طاقم رحلة، آليات، وموظفي دعم طبي متوجِّهة إلى... مكان جديد.

"مطار تايميري؟".

"إنه خارج جورجتاون، غايانا". عندما لم أُبدِ أي ردّة فعل، أكمل كلامه، "إنها مستعمرة بريطانية سابقة. كان تايميري فيما مضى قاعدة أتكينسون الجوية".

"ما هي المهمة؟".

"عملية إخلاء طبي ضخمة لمغتربين من مكان يدعى جونزتاون".

سفر أم خطر

أميركيون في ورطة. لقد أمضيتُ جزءاً كبيراً من مهنتي في سلاح الجو أُخرج أميركيين تحت الخطر. لكن إخراج أميركيين تحت الخطر أمر مُرضٍ أكثر بكثير من جرّ عجلات سيارات جيب. شَكَرتُه وأسرعَتُ في ارتداء بذلة طيران نظيفة.

كنتُ أتطلّع إلى تمضية يوم شُكر بنميّ آخر في قاعدة هاورد الجوية - حرارة ثلاثين درجة، ديك رومي في قاعة الطعام، كرة قدم على راديو القوى المسلّحة، ووقت كافٍ بعيداً عن نوبات الطيران لكي أكون قادراً على أن أستمتع بوقتي وأثمل. تمت رحلة العودة السريعة من الفيليبين بطريقة نظامية وكان الركاب والحمولة على حد سواء هادئين ومسترخين. والآن هذا.

كانت المقاطعة شيئاً تعتاد عليه كمسؤولٍ عن التحميل. وكانت الستارليفتر C-141 أكبر طائرة شحن ونقل للجنود في القيادة الجوية العسكرية، قادرة على حمل 32 طن من الحمولة أو مئتَي جندي جاهز للمعركة والطيران بهم إلى أي مكان في العالم. يبلغ طولها نصف طول ملعب كرة القدم، وجناحاها المرتدّان إلى الخلف يتهدّلان على المدرَج مثل مضربَين. ومع ذيلها المرفوع الذي على شكل الحرف T، وأبوابها التي على شكل البتلات، ومنحَدَر الحمولة المبيَّت داخلها، كانت ستارليفتر لا تُضاهى عندما يتعلق الأمر بنقل حمولات. بصفتي مضيفاً ورجل نقل في آن، كانت وظيفتي كمسؤول تحميل تقتضي أن أوضِّب الحمولة بأشدّ ما يمكن وبأكبر أمان ممكن.

بعد وضعي كل شيء على متن الطائرة وانتهائي من ملء كشوف الوزن والميزانية، وجدني نفس الطيّار أشتم طاقم الأرض البنميّ لتركه آثار خدوش على هيكل الطائرة.

"أيها الرقيب دايفس! تغيير في الخطط"، صاح فوق نحيب الرافعة الشوكية. ثم سلَّمني بياناً رسمياً آخر.

"مزيد من الركاب؟".

"ركاب جدد. سيبقى الطاقم الطبي هنا". قال شيئاً غير مفهوم عن تغيير المهمة.

"مَن هؤلاء الأشخاص؟".

جهدتُ مرة أخرى لأسمعه. أو ربما سمِعتُه جيداً لكنني أردتُه أن يكرِّر كلامه بسبب الانقباض في معدتي. أردتُ أن أُسيء سمعه.

"تسجيل قبور"، صاح.

هذا ما ظننتُ أنه قاله.

كان تايميري مطاراً نموذجياً من مطارات العالم الثالث - كبيراً كفاية ليحشر طائرةً 747، لكنه مليء بالحُفر وتتناثر فيه أكواخ كُوانسيت صدئة. وبدا الخط المنخفض للأدغال التي تحيط بالميدان كما لو أنه أُبعِد إلى الخلف قبل ساعة فقط. المروحيات تئزّ صعوداً ونزولاً والجنود الأميركيون يملأون المدرَج. عرَفتُ أن الوضع لا شك سيئ.

خارج الطائرة، الحرارة الصاعدة من الأسفلت هدَّدت بإذابة نعل حذائي حتى قبل أن أتمكّن من سنْد العجلة بوتدٍ. اقترب مني طاقم أرضي من جنود أميركيين، قلقين لتفريغ المروحية وتجميعها. سلَّمني أحدهم، وكان عاري الصدر وقد ربط قميصه حول خصره، بياناً رسمياً.

"لا تسترح"، قال. "حالما نُخرج المروحية، سنحمِّلك". أومأ برأسه وهو مدير لي ظهره.

سفر أم خطر

نظرتُ إلى المدرَج الجانبي المتلألئ. توابيت. صفوف وصفوف من الألومنيوم المملّ للصناديق الجنائزية تلمَع في الشمس الاستوائية غير المتسامحة. تعرَّفتُ عليها من رحلاتي من سايغون منذ ست سنوات، في بداياتي كمسؤول تحميل. ربما انقبضت معدتي لأنني لم أسترح، أو ربما لأنني لم أحمِّل حمولة صلبة منذ بضع سنوات. ومع ذلك، بلَعتُ ريقي بصعوبة. نظَرتُ إلى الوجهة: دوڤر، ديلاوير.

حمَّل الطاقم الأرضي فراش قش جديداً عندما علمتُ أن معي راكبين في الرحلة.

كان الأول ولداً، بدا من مظهره أنه أنهى المدرسة الثانوية للتو، ذا شعر أسود، وبزّة أدغال كبيرة جداً كانت مُنشّاة، نظيفة، وتُظهِر رتبة طيّار فئة أولى. قلتُ له، "مرحباً بك على متن طائرتنا"، وذهَبتُ لأساعده عبر باب الطاقم، لكنه ارتعَش مبتعداً، وكاد يضرب رأسه بالمدخل المنخفض. أعتقد أنه كان ليقفز إلى الخلف لو كان هناك مجال لذلك. أصابتني رائحته، قوية وطبية – مرهم ڤيكس.

خلفه ممرضة طيران، ناضرة ومحترفة في خطواتها، فستان، وإيماءة، دخلت الطائرة من دون مساعدة أيضاً. تعاملتُ معها بشكل متساوٍ. تعرَّفتُ عليها كواحدة من دُفعةٍ كنتُ أطير بها بشكل دوري من كلارك في الفيليبين إلى دا نانغ وبالعودة مرة أخرى في أيامي الأولى. ملازم قاسية النظرات، فضية الشعر. كانت واضحة جداً – أكثر من مرة – في الإشارة إلى أن أي مغفَّل تخلَّف عن دراسته الثانوية يستطيع أن يؤدّي عملي بشكل أفضل مني. الإسم على زيّها كان پمبري. لمَست

الولد على ظهره ووجّهته إلى المقاعد، ولا أدري إن تعرَّفت عليَّ أم لا، لكنها لم تقل شيئاً.

"اجلسا في أي مكان"، قلتُ لهما. "أنا الرقيب الفنّي دايفس. سنحلّق بعد أقل من نصف ساعة لذا خذا راحتكما".

جفل الولد. "لم تُخبِريني"، قال للممرضة.

جوف الستارليفتر يشبه كثيراً غرفة الغلاية، بكل أنابيب التسخين والتبريد والضغط مكشوفة بدلاً من أن تكون مخفية كما هو الحال في الطائرات السياحية. شكَّلت التوابيت صفّين على طول جوفها، تاركةً خطاً وسطياً خالياً. مكدّسةً على ارتفاع أربعة توابيت، كان عددها الإجمالي مئة وستين تابوتاً. وتم تثبيتها في مكانها بشبكات الحمولة الصفراء. بالنظر إلى ما ورائها، راقَبنا ضوء الشمس يختفي مع إغلاق باب مقصورة الحمولة، تاركاً إيانا في شبه ظلمة مُربكة.

"إنها أسرع طريقة لإيصالك إلى الوطن"، قالت له، بصوتٍ محايدٍ. "تريد أن تعود إلى الوطن، أليس كذلك؟".

امتلأ صوته بغضب مخيف. "لا أريد رؤيتهم. أريد مقعداً موجَّهاً إلى الأمام".

لو نظرَ الولد حوله لكان استطاع أن يرى أنه لا توجد مقاعد موجَّهة إلى الأمام.

"لا بأس"، قالت وهي تشدّ على ذراعه مرة أخرى. "إنهم ذاهبون إلى الوطن، أيضاً".

"لا أريد النظر إليهم"، قال وهي تدفعه إلى أقرب مقعد من النوافذ الصغيرة. عندما لم يتحرَّك ليشدّ حزامه، انحنت بمبري وفعلَت له ذلك. أمسَك الدرابزين كما لو أنه القضيب آه-تباً لأفعوانيةٍ. "لا أريد التفكير

بهم".

"فهمتُ". ذهَبتُ إلى الأمام وأطفأتُ أضواء المقصورة. الآن فقط ضوءا القفز الحمراوان يُضيئان الحاويات المعدنية الطويلة. عندما عدتُ، أحضَرتُ له وسادةً.

كانت رقعة الإسم على سترة الولد الفضفاضة تقول "هيرنانديز". قال، "شكراً"، لكنه لم يُفلِت مساند الأذرع.

شدَّت پمبري حزامها بنفسها بجانبه. خزَّنتُ أغراضهما وبدأتُ أستعرض لائحة تدقيقي الأخيرة.

بعدما أصبحنا في الجو، أعددتُ قهوةً على الموقد الكهربائي في منطقة فراش القش. رفَضت الممرضة پمبري، لكن هيرنانديز تناول بعضها. كان الكوب البلاستيكي يهتزّ في يديه.

"خائف من الطيران؟"، سألتُه. لم يكن هذا أمراً غير اعتيادي لسلاح الجو. "لديَّ بعض الدرامامين..."

"لستُ خائفاً من الطيران"، قال بأسنان مشدودة. وبقي في الوقت نفسه ينظر ورائي إلى الصناديق التي تملأ جوف الطائرة.

والآن الطاقم. لا يتم تعيين نفس الطاقم لكل طائرة، مثلما كان يتم في الأيام الخوالي. فقيادة الجسر الجوي العسكري تفتخر أن رجالها قابلين للاستخدام بشكل متبادل بحيث أن طاقماً لم يلتقِ ببعضه أبداً من قبل يستطيع التجمُّع في موقف الطائرات وتحليق أي ستارليفتر إلى أطراف الأرض. كل رجل يعرف عملي، وأنا أعرف عمله، بكل تفاصيله الدقيقة.

ذهَبتُ إلى قُمرة القيادة ووجدتُ كل شخص على محطته. كان المهندس الثاني الأقرب إلى باب قُمرة القيادة، يجلس محدَّباً فوق آلاته. "الرابع يتوازن الآن، ابق الخانق منخفضاً"، قال. تعرَّفتُ على وجهه المكشِّر وتشدّقه المميز بأركنساس، لكنني لم أستطع أن أحدِّد من أين هو بالضبط. ظننتُ أنه بعد قيادتي طائرات ستارليفتر لسبع سنوات، لا بدّ أنني سافرتُ مع كل شخص في وقت أو في آخر. شَكَرني بينما كنتُ أضع القهوة السوداء على طاولته. بذلة طيرانه سمّته هادلي.

جلس المهندس الأول على المقعد الخلفي، المخصَّص عادة لـ "صانع القبعات السوداء" - كان مفتّشو المهام لعنة كل الطواقم الجويين. طلَب قطعتين ثم وَقَف ونظر خارج قبّة الملاّح إلى الأزرق الذي يُسرِع في تجاوزنا.

"الخانق منخفض على الرابع، عُلِم"، ردَّ الطيّار. كان قائد الطائرة المُكلَّف، لكنه ومساعِد القبطان طيّاران نموذجيان لدرجة أنه كان من الممكن أن يكونا الشخص نفسه. شربا قهوتهما مع الكريما. "نحاول أن نتجاوز بعض المطبّات الهوائية، لكن الأمر لن يكون سهلاً. أخبِر ركابك أن يتوقّعوا بعض الطقس".

"سأفعل، سيدي. أي شيء آخر؟".

"شكراً، دايفس الحمولة، هذا كل شيء".

"نعم، سيدي".

أخيراً جاء وقت الراحة. بينما ذهَبتُ لأحصل على لحظة أفقية في مضجع الطاقم، رأيتُ يمبري تتطفّل حول منطقة فراش القش. "أي شيء يمكنني مساعدتك على إيجاده؟".

"بطانية إضافية؟".

سحَبتُ واحدةً من خزانة التخزين بين محطة الطبخ والمرحاض وكززتُ على أسناني. "أي شيء آخر؟".

"لا"، قالت وهي تسحب قطعة نُسالة خيالية من الصوف. "لعِلمك، لقد طرنا معاً من قبل".

"حقاً؟".

رفعت حاجب عينها. "الأجدر بي أن أعتذر على الأرجح".

"لا داعي، سيدتي"، قلتُ. درتُ حولها وفتحتُ البرّاد. "يمكنني تقديم وجبة طعام أثناء الطيران لاحقاً إذا كنتِ..."

وَضَعت يدها على كتفي، مثلما فعلت مع هيرنانديز، وهذا فرضَ انتباهي. "أنت تتذكَّرني".

"نعم، سيدتي".

"كنتُ قاسية جداً عليك خلال رحلات الإخلاء تلك".

تمنّيتُ لو تتوقف عن أن تكون مباشرة هكذا. "كنتِ تتكلَّمين بصراحة، سيدتي. وهذا جَعَلني مسؤول تحميل أفضل".

"ومع ذلك..."

"سيدتي، ليس هناك داعٍ". لماذا لا تستطيع النساء فهم أن الاعتذارات تجعل الأمور أسوأ فقط؟

"حسناً". ذابت صلابة وجهها إلى صدقٍ، وخطَر ببالي فجأة أنها أرادت أن تتكلَّم.

"كيف حال مريضك؟".

"يستريح". حاوَلت يمبري أن تتصرّف بشكل طبيعي، لكنني عرَفتُ أنها أرادت أن تقول المزيد.

"ما مشكلته؟".

"كان أحد أوائل الواصلين"، قالت، "وأوائل المغادرين".

"جونزتاون؟ هل كان الوضع سيئاً إلى هذا الحد؟".

استذكار رحلات إخلائنا السابقة. النظرة القديمة، القاسية والباردة، عادت فوراً. "طرنا من دوفر بناءً على أوامر البيت الأبيض بعد خمس ساعات من تلقيهم المكالمة. إنه متخصص في السجلات الطبية، بدأ خدمته منذ ستة أشهر، لم يذهب إلى أي مكان أبداً من قبل، لم ير أبداً يوم صدمةٍ في حياته. ثم فجأة يجد نفسه في الأدغال الأميركية الجنوبية مع ألف جثة".

"ألف؟".

"العدد النهائي غير معروف بعد، لكنه سيقارب هذا العدد". مسَّت الجهة الخلفية ليدها بخدها. "كثير من الأولاد".

"أولاد؟".

"عائلات بأكملها. كلهم شرِبوا سماً. قالوا إنه نوعٌ من طقس عبادة. أخبَرني شخصٌ أن الأهل قتلوا أولادهم أولاً. لا أعرف ما الذي يمكن أن يجعل شخصاً يفعل ذلك بعائلته". هزَّت رأسها. "بقيتُ في تايميري لتنظيم عملية فرز المُصابين. قال هيرنانديز إنه لا يمكن تخيّل الرائحة. اضطروا إلى رشّ الجثث بمبيد حشرات والدفاع عنها من جرذان عملاقة جائعة. قال إنهم جعَلوه يطعن الجثث بحَربة لتخفيف الضغط. حرَق زيّه". جرَّت قدمَيها لتحافظ على توازنها بينما اهتزَّت الطائرة.

شيءٌ بغيضٌ تسلَّل إلى الجهة الخلفية لحلقي عندما حاوَلتُ عدم تخيّل ما قالته. كافَحتُ كي لا أكشِّر. "يقول مساعد الطيّار إن الرحلة قد تصبح وعرة. من الأفضل أن تشدّوا الحزام". قدتُها إلى مقعدها. فغَر فم هيرنانديز وهو يتمدَّد على مقعده، باحثاً عن كل العالم كما لو أنه

خسر عراكاً في مقصف - أمر سيئ. ثم ذهَبتُ إلى سريري ونمتُ.

اسأل أي مسؤول تحميل: بعد تمضية هذا الوقت الطويل في الجو، يصبح هدير المحرّكات شيئاً تتجاهله. وتجد أنه يمكنك أن تنام مع صوت أي شيء. ومع ذلك فإن ذهنك يلتقط ويستيقظ من صوت أي شيء غير اعتيادي، مثل الرحلة من ياكوتا إلى إلمندورف عندما انفكّ رباط جيبٍ وتدحرَج مصطدماً بصندوق وجبات جاهزة للأكل. تطاير لحم البقر المقطَّع في كل مكان. كن واثقاً أن الطاقم الأرضي سمِع مني ما لا يعجبه بشأن ذلك. لذا لا يجب أن تكون صدمةً لك أنني جفلتُ من صوت صرخةٍ.

نهضتُ عن السرير وبدأتُ أمشي قبل أن أصبح قادراً على التفكير. ثم رأيتُ يمبري. كانت قد نهضت عن مقعدها وتقف أمام هيرنانديز، وتحاول أن تتفادى ذراعيه اللتين تتلوّحان عشوائياً وهو يتكلّم بهدوء في ضجة المحرّك.

"سمِعتُهم! سمِعتُهم! إنهم في الداخل! كل أولئك الأولاد! كل أولئك الأولاد!".

وَضَعتُ يدي عليه - بحزم. "اهدأ!".

توقَف عن التلويح بيديه. ارتسم تعبير خجل عليه. وتركَّزت عيناه على عينيَّ. "سمِعتُهم يغنّون".

"مَن؟".

"الأولاد! كل...". قام بإيماءة عاجزة إلى التوابيت غير المضاءة.

"كنتَ تحلم"، قالت يمبري. ارتعش صوتها قليلاً. "كنتُ معك

طوال الوقت. كنتَ نائماً. لا يمكن أن تكون قد سمِعت شيئاً".

"كل الأولاد ميتون"، قال. "كلهم. لم يعرفوا. كيف يمكنهم أن يعرفوا أنهم كانوا يشربون سماً؟ مَن يعطي ولده سماً ليشربه؟". أفلَتُّ ذراعه ونظَرَ إليَّ. "هل عندك أولاد؟".

"لا"، قلتُ.

"إبنتي"، قال، "سنّها سنة ونصف. وإبني ثلاثة أشهر. عليك أن تكون حذراً معهما، صبوراً معهما. زوجتي بارعة حقاً في ذلك، أتعلم؟". لاحَظتُ لأول مرة كيف يزحف العرق على جبهته، وعلى الجهة الخلفية ليديه. "لكنني جيد أيضاً، أعني، لا أعرف حقاً ما الذي أفعله، لكنني لن أؤذيهما. أحضنهما وأغنّي لهما و- وإذا حاوَل أي شخص آخر إيذاءهما...". أمسَك ذراعي التي كانت قد لمسته. "مَن يعطي سماً لولده؟".

"الذنب ليس ذنبك"، قلتُ له.

"لم يعرفوا أنه سم. لا يزالون لا يعرفون". شدّني صوبه وقال في أذني، "سمِعتُهم يغنّون". اللعنة عليَّ إن لم تجعل كلماته عمودي الفقري يرتعش.

"سأذهب وأتحقّق"، أخبَرتُه بينما أخذتُ مشعلاً كهربائياً عن الجدار وبدأتُ أسير في الرِواق الوسطي.

كان هناك سبب عملاني للتحقّق من الضجة. فبصفتي مسؤول التحميل، أعرف أن صوتاً غير اعتيادي يعني متاعب. وقد سمِعتُ قصةً عن كيف أن طاقماً جوياً بقي يسمع صوت مواء قط من مكان ما في الطائرة. لم يتمكن مسؤول التحميل من إيجاده، لكنه قدَّر أنه سيظهر عندما يفرّغون الحمولة. تبيَّن أن "المواء" كان معقّفة حمولة رخوة

انفكّت عندما لمست العجلات المدرَج، مما حرَّر ثلاثة أطنان من العتاد الحربي المتفجِّر وجعل الهبوط مثيراً للاهتمام كثيراً. الضجيج الغريب يعني متاعب، وسأكون مغفَّلاً إن لم أتحقّق منه.

فحَصتُ كل الأبازيم والشبكات، حيث رحتُ أنحني وأُنصت وأتأكد من عدم وجود أي دلالات على تحرّك أي شيء خارج عن المألوف. سرتُ ذهاباً على جهةٍ وعدتُ إياباً على الجهة الأخرى، حتى إنني فحصتُ الأبواب. لا شيء. كان كل شيء سليماً، نتاج عملي الجيد كالعادة.

عدتُ إليهما لكي أواجههما. بكى هيرنانديز، واضعاً رأسه في يديه. راحت بمبري تفرك ظهره بيدها بينما جلَست بجانبه، مثلما فعلت أمي لي.

"كل شيء سليم يا هيرنانديز". أعدتُ المشعل الكهربائي إلى الجدار.

"شكراً"، رَدَّت بمبري عنه، ثم قالت لي، "أعطيتُه حبة فاليوم، يجب أن يهدأ الآن".

"مجرد فحص وقائي"، أخبرَتُها. "استريحا الآن كليكما".

عدتُ إلى سريري لأجد هادلي، المهندس الثاني، قد احتلّه. استلقيتُ على السرير الذي تحته لكنني لم أتمكن من أن أغفو فوراً. حاوَلتُ إبقاء ذهني مشغولاً عن السبب الذي جعل التوابيت تأتي إلى طائرتي من الأصل.

الحمولة تعبيرٌ ملطَّفٌ. من بلازما دم إلى متفجرات إلى سيارات ليموزين للاستخبارات إلى سبائك ذهبية، تحزِّمها وتنقلها لأنها وظيفتك، هذا كل شيء، وأي شيء يمكنك تنفيذه لتسرّع عملك يكون مهماً.

مجرد حمولة، فكَّرتُ في سرّي. لكن عائلات بأكملها قتلت نفسها... كنتُ مسروراً من إخراجهم من الأدغال اللعينة، وإعادتهم إلى عائلاتهم – لكن المُسعِفين الذين وصلوا إلى هناك أولاً، كل أولئك الشباب على الأرض، حتى طاقمي، كنا قد تأخرنا لنفعل أي شيء أكثر من ذلك. كنتُ مهتماً بإنجاب أولاد بطريقة غامضة مشوَّشة، وأفقد أعصابي عند سماع أن أحدهم قد أذاهم. لكن أولئك الأهل فعلوا ذلك طوعاً، أليس كذلك؟

لم أستطع أن أستريح. وجَدتُ نسخة قديمة من نيويورك تايمز مطوية في السرير. "سلام في الشرق الأوسط في حياتنا"، قال العنوان. وبجانب المقال صورة للرئيس كارتر وأنور السادات يتصافحان. كنتُ على وشك أن أغفو عندما اعتقَدتُ أنني سمِعتُ هيرنانديز يصرخ مرة أخرى.

نهضتُ مرغماً. وجدتُ يمبري تقف واضعةً يديها على فمها. اعتقَدتُ أن هيرنانديز ضربها، لذا ذهَبتُ إليها وأبعدتُ يديها عن فمها، لأتفحّص الأضرار.

لم تكن هناك أضرار. بالنظر فوق كتفَيها، رأيتُ هيرنانديز يعود إلى مقعده، وعيناه مركِّزتان على الظلمة مثل تلفزيون ملوّن عكسي.

"ماذا حصل؟ هل ضربك؟".

"لقد – لقد سمِعه مرة أخرى"، تلعثمت بينما ارتفعت يدٌ إلى وجهها مرة أخرى. "عليك – عليك أن تعيد التحقّق مرة أخرى. عليك أن تعيد التحقّق..."

مالت الطائرة ووَقَعت عليَّ قليلاً، وبينما كنتُ أثبّت نفسي بإمساك مِرفقها، انهارت عليَّ. التقت عينانا بنظرة واقعية. أشاحت

بنظرها. "ماذا حصل؟"، سألتُ مرة أخرى.

"سمِعتُه أيضاً"، قالت يمبري.

انتقلت عيناي إلى رِواق الظل. "الآن بالتحديد؟".

"نعم".

"هل كان مثلما قال؟ أولاد يغنّون؟". أدرَكتُ أنني كنتُ على وشك هزّها. هل كانا يفقدان عقليهما؟

"أولاد يلعبون"، قالت. "مثل - ضجة الملعب، أتعلم؟ أولاد يلعبون".

عصرتُ دماغي لأجد شيئاً، أو تشكيلة أشياء، عندما يُحشا في ستارليفتر C-141 ويطير على ارتفاع 12,000 متر فوق البحر الكريبيّ، سيُصدر صوتاً يشبه صوت أولاد يلعبون.

عدَّل هيرنانديز طريقة جلوسه وركّزنا انتباهنا عليه في آن. ابتسم ابتسامة مهزومة وقال لنا، "لقد أخبَرتُكما".

"سأذهب وأتحقّق"، قلتُ لهما.

"دعهم يلعبون"، قال هيرنانديز. "يريدون فقط أن يلعبوا. أليس هذا ما كنتَ تريد أن تفعله عندما كنتَ صغيراً؟".

تذكّرتُ طفولتي كصدمةٍ، نزهات على الدرّاجة الهوائية ورُكب مجروحة في فصول صيف لا تنتهي والعودة إلى المنزل عند الغسق لأجد أمي تقول، "انظر كم أنت قذر". تساءلتُ إن غسلَ طواقم الإنعاش الجثث قبل وضعها في التوابيت.

"سأكتشف ما هو ذلك الصوت"، قلتُ لهما. ذهَبتُ وأخذتُ المشعل الكهربائي مرة أخرى. "ابقيا هنا".

استخدَمتُ الظلمة لأسدّ مجال بصري، لكي أتمكن من السماع

بشكل أفضل. همَد الاضطراب وقتها، واستخدَمتُ مشعلي الكهربائي فقط لأتجنَّب التعثّر بشبكات الحمولة. ترقَّبتُ سماع أي شيء جديد أو غير اعتيادي. لم يكن شيئاً واحداً – يجب أن يكون تركيبةً – فضجيج كهذا لا يتوقف ويبدأ فجأة. تسرُّب وقود؟ مسافر مختبئ؟ فكرة وجود أفعى أو وحش أدغال آخر مختبئ داخل تلك الصناديق المعدنية زاد من حالة ترقّبي وأعاد لي حلمي.

بالقرب من أبواب الطائرة، أطفأتُ ضوئي ورحتُ أُنصت. هواء مضغوط. أربع محرّكات تُربينية پرات وويتني. خشخشات تمزّق. أربطة الحمولة ترفرف.

ثم، شيءٌ. صدرَ شيءٌ حادٌ بعد لحظة، بشكل خافت في البدء، مثل الضجة التي تصدر من الجهة الخلفية لكهفٍ، ثم أصبح صافياً، مثل الأصوات لمتنصّتٍ متفاجئٍ.

أولاد. ضحك. مثل فترة الاستراحة في المدرسة الإبتدائية.

فتَحتُ عينيَّ وأشعلتُ ضوئي حول الصناديق الفضية. وجَدتُها تنتظر، تحتشد معي، مترقِّبة تقريباً.

أولاد، فكَّرتُ في سرّي، مجرد أولاد.

ركَضتُ متجاوزاً هيرنانديز ويمبري إلى منطقة فراش القش. لا يمكنني إخبارك ماذا شاهدا على وجهي، لكن إذا كان أي شيء مشابهاً لما رأيتُه في المرآة الصغيرة فوق مغسلة المرحاض، فلا شك أنني كنتُ مرتعباً جداً.

نقلتُ نظري من المرآة إلى الهاتف الداخلي. أي مشكلة في الحمولة يجب التبليغ عنها فوراً – هكذا تفرض الإجراءات – لكن ماذا بوسعي أن أُخبر مساعد الطيّار؟ كنتُ أشعر برغبة قوية برمي كل شيء، بمجرد

قذف التوابيت واعتبار مهمتنا انتهت. إذا أخبَرتُهم أن هناك حريقاً في جوف الطائرة، سينزلون إلى ما دون ثلاثة آلاف متر لكي أتمكن من تفجير المسامير الملولبة وإرسال الحمولة بأكملها إلى قعر خليج المكسيك، دون طرح أي أسئلة.

توقَفتُ عندها، قوّمتُ ظهري، وحاوَلتُ التفكير. *أولاد*، فكَّرتُ في سرّي. *ليس وحوشاً، ليس عفاريت، مجرد أصوات أولاد يلعبون. لا شيء سيقضي عليك. لا شيء يمكنه أن يقضي عليك*. نفضتُ الارتعاش الذي تملّك كل جسمي وقرَّرتُ الحصول على بعض المساعدة.

على السرير، وجَدتُ هادلي لا يزال نائماً. وتجثم على صدره كخيمةٍ روايةٌ مطوي طرف إحدى أوراقها ويُظهِر غلافها الورقيّ امرأتين في عناق شهواني. رحتُ أهزّ ذراعه فاستوى جالساً. لم يقل أي واحد منا شيئاً للحظة. فَرَك وجهه بيد واحدة وتثاءب.

ثم نظرَ إليَّ مباشرة وراقَبتُ وجهه يتقوَّس في نظرة قلق. ثم أمسكَ قارورة أكسجينه القابلة للحمل، واستعاد وجهه الجدّي في لحظة. "ما الأمر يا دايفس؟".

تحسَّستُ بحثاً عن شيء. "الحمولة"، قلتُ. "هناك... تحرُّك محتمل في الحمولة. أحتاج إلى مساعدة، سيدي".

تحوَّل قلقه إلى انزعاج. "هل أخبَرت مساعد الطيّار؟".

"لا سيدي"، قلتُ. "لا - لا أريد إزعاجه بعد. قد لا يكون شيئاً".

امتعض وجهه واعتقَدتُ أنني سأسمع بعض التوبيخ منه، لكنه تركني أقوده إلى الحمولة. مجرد حضوره كان كافياً ليعيد لي ارتيابي، احترافيتي. فأصبحت مشيتي أكثر حدّة، واتّسعت عيناي، وعادت

معدتي إلى مكانها في أمعائي.

وجَدتُ يمبري جالسةً بجانب هيرنانديز الآن، وكلاهما يتظاهران باللا مبالاة. نظرَ إليهما هادلي نظرة غير مبالية وتبِعني في الرِواق بين التوابيت.

"ماذا بشأن الأضواء الرئيسية؟"، سأل.

"لا تفيد"، قلتُ. "خذ". سلَّمتُه المشعل الكهربائي وسألتُه، "هل تسمعه؟".

"أسمع ماذا؟".

"فقط أنصِت".

مرة أخرى، فقط صوت المحرّكات. "لا..."

"صه! أنصِت".

فتح فمه وبقي هكذا لدقيقة، ثم أغلقه. هدأت المحرّكات وأتت الأصوات، تقطر من فوقنا مثل بخار ماء، ولفّنا ضباب الصوت. لم أُدرِك كم كنتُ أشعر بالبرد إلى أن لاحَظتُ أن يديَّ ترتجفان.

"ما هذا الصوت اللعين؟"، سأل هادلي. "يبدو كأنه –"

"لا"، قاطَعتُه. "لا يُعقَل أن يكون ذلك". أومأتُ برأسي إلى الصناديق المعدنية. "أنت تعرف ماذا يوجد في هذه التوابيت، أليس كذلك؟".

لم يقل شيئاً. بدا الصوت يتصفّى حولنا للحظة، فيقترب مرةً، ثم يبتعد. حاوَل اتباع الصوت بضوئه. "هل يمكنك تحديد مصدره؟".

"لا. أنا مسرور فقط من أنك تسمعه أيضاً، سيدي".

حكَّ المهندس رأسه، وبدا وجهه مرهقاً، كما لو أنه ابتلَع شيئاً كريهاً وبقي المذاق عالقاً في فمه. "اللعنة عليَّ"، تشدَّق.

فجأة، وكما من قبل، توقف الصوت، وملأ هدير المحرّكات النفّاثة أذنينا.

"سأُضيء الأضواء". ابتعَدتُ بتردّد. "لن أنادي مساعد الطيّار".

كان صمته تآمرياً. عندما أعدتُ الانضمام إليه، وجَدتُه يفحص صفاً معيّناً من التوابيت عبر الشبكة.

"عليك إجراء بحث"، قال برتابة.

لم أجبه. فقد أجريتُ عمليات بحث على الحمولة في الجو من قبل، لكن ليس مثل هذا أبداً، ليس حتى على جثث جنودٍ. إذا كان كل ما قالته پمبري صحيحاً، فلا يمكنني التفكير بأي شيء أسوأ من فتح أحد تلك النعوش.

جفل كلانا من الصوت التالي. تخيَّل كُرة مضرب رطبة. الآن تخيَّل الصوت الذي تُصدره تلك الكُرة عندما تصطدم بأرضية الملعب – نوعٌ من صفعة باهتة – مثل طائر يضرب هيكل الطائرة. صدرَ مرة أخرى، وأمكنني سماعه داخل الجوف هذه المرة. ثم، بعد سلسلة مطبّات هوائية، سمعنا الدوّي مرة أخرى. صدرَ بوضوح من تابوتٍ عند قدمَي هادلي.

ليس مشكلة خطيرة، حاوَل وجهه أن يقول. نحن نتخيَّله فقط. *ضجة من تابوت واحد لا تستطيع إسقاط طائرة*، قال وجهه. *الأشباح غير موجودة*.

"سيدي؟".

"نحتاج إلى أن نرى"، قال.

تجمّع الدم في معدتي مرة أخرى. *نرى*، قال. *لم أرغب أن أرى*.

"استخدم البوق وأخبِر مساعد الطيّار أن يتجنَّب تغيير اتجاهنا"، قال. عرَفتُ في تلك اللحظة أنه سيساعدني. لم يرغب في ذلك، لكنه

كان سيساعدني على أي حال.

"ماذا تفعل؟"، سألت پمبري. وَقَفت قربي بينما نزعتُ شبكة الحمولة عن صف النعوش وفكَّ المهندس الأربطة الفردية حول ذلك الصف بالذات. نام هيرنانديز مُحنياً رأسه، فقد بدأت مهدئات الأعصاب تعطي مفعولها أخيراً.

"علينا أن نفحص الحمولة"، أعلنتُ بنبرة واقعية. "فالطيران ربما جعلها تصبح غير متوازنة".

أمسَكت ذراعي بينما أكملتُ. "هل المسألة هذا فقط؟ حمولة متحرّكة؟".

كانت هناك لمسة يأس في سؤالها. *أخبِرني أنني تخيَّلته*، قالت النظرة على وجهها. *أخبِرني وسأصدِّقك، وسأذهب لأنام قليلاً*.

"نعتقد ذلك"، أومأتُ برأسي.

انخفض كتفاها وارتسمت ابتسامة عريضة جداً على وجهها لكي تكون حقيقية. "الحمد لله. اعتقَدتُ أنني أُصاب بالجنون".

ربَّتُّ على كتفها. "شدّي الحزام واستريحي قليلاً"، أخبرَتُها. ففعلت ذلك.

أخيراً، كنتُ أفعل شيئاً. بصفتي مسؤول التحميل، يمكنني أن أضع حدّاً لهذا الهُراء. لذا قمتُ بالعمل. فككتُ وثاق الأربطة، وتسلّقتُ النعوش الأخرى، ودفَعَتُ العلوي بعيداً عن مكانه، حملتُه، ثبَّتُه، أنزلتُ التالي، نقلتُه، ثبَّتُه، ومرة أخرى. فرحة التكرار السهل.

لم يتوقَف هادلي إلى أن وصلنا إلى النعش السفلي، النعش الذي تصدر الضجة منه. وَقَف هناك يراقبني بينما سحَبتُه من مكانه بما يكفي لأفحصه. كانت وقفته مستويةً، لكن رغم ذلك فقد أظهرت

اشمئزازاً، شيئاً يمكنه إخفاءه بين قدامى سلاح الجو المتبجّحين أثناء تناول شراب الشعير. ليس الآن، ليس عليَّ.

أجريتُ فحصاً سريعاً للسطح حيث كان يقبع، للنعوش التي بجانبه، ولم أر أي أضرار أو عيوب واضحة.

صدرت ضجة – "خبطة" رطبة. من الداخل. جفلنا في آن معاً. كان من المستحيل على المهندس أن يُخفي بغضه البارد. وقمَعتُ ارتعاشاً.

"علينا فتحه"، قلتُ.

لم يعارض المهندس، لكن مثلي، كان جسمه بطيء الحركة. قرفص وبيدٍ واحدةٍ مزروعةٍ بإحكامٍ على غطاء النعش، فكَّ المشابك من جهته. فككتُ مشابكي، ووجدتُ أن إصبعي زلقٌ على المعدن البارد، ويرتجف قليلاً بينما أبعدتُ يدي ووضعتُها على الغطاء. التقت عينانا في لحظةٍ حسمت قرارنا النهائي. فتَحنا النعش معاً.

أولاً، الرائحة: خليطٌ من فاكهة عَفِنة، معقَّم، وفورمالديهايد، ملفوف في بلاستيك مع رَوث وكبريت. لسعَ منخرينا بينما ملأ جوف الطائرة. أضاءت أضواء السقف كيسَين أسودين لامعين لحفظ الجثث، زلقَين من التكثّف والمخلّفات. عرَفتُ أنهما سيكونان جثتَي ولدَين، لكنهما أرعباني، آلماني. كان أحد الكيسين يحجب الآخر بشكل غير متساوٍ، وفهِمتُ حالاً أنه يحتوي على أكثر من ولد. تصفَّحت عيناي البلاستيك الغارق بالعصارة، وحدَّدتا كفاف ذراعٍ، ملامح وجهٍ. شكلٌ ملفوفٌ بالقرب من الدرزة السفلى، بعيداً عن البقية. كان بحجم طفل.

ثم اهتزّت الطائرة مثل حصان خائف وانزلق الكيس العلوي بعيداً ليكشف فتاةً صغيرةً، في الثامنة أو التاسعة كحد أقصى، نصفها داخل الكيس ونصفها خارجه. كانت محشورةً مثل بهلوان مجنون في الزاوية، بطنها متورّم وقد انتفخ مرة أخرى وعليه جروح طعنات خَربة، وكانت أطرافها المفتولة الآن سميكة مثل أطراف شجرة. بشرتها المخضَّبة تقشَّرت في كل مكان ما عدا وجهها النقي والبريء.

كان وجهها حقاً هو الشيء الذي ألمني. وجهها العذب.

تشبَّثت يدي بحافة النعش في بياض مؤلم، لكنني لم أتجرّأ على إبعادها. فقد علق شيءٌ في حنجرتي وأجبَرتُه على العودة نزولاً.

ذبابة واحدة، بدينة ومتلألئة، زحَفت من داخل الكيس وطارت بكسل نحو هادلي. وقف ببطء على قدمَيه ورفع يديه كما لو أنه يحمي نفسه من ضربةٍ. راقَبها ترتفع وترفرف في مسار أخرق في الهواء. ثم قطعَ اللحظة عبر تراجعه إلى الوراء، ويداه تلوّحان وتخبطان عشوائياً – سمِعتُ صفعة يده – وترك صوتاً مُصيباً بالغثيان يفرّ من شفتيه.

عندما نهضتُ، نبضَ صدغايَ وارتخت رِجلاي. تمسَّكتُ بنعش قريب، وامتلأت حنجرتي بشيء نتِن.

"أغلِقه"، قال مثل رجل فمه ممتلئ. "أغلِقه".

أصبحت ذراعيَّ مطاطيتين. بعد أن تمالكتُ نفسي، رَفَعتُ رِجلاً وركلتُ الغطاء. دوَّى مثل قذيفة مدفعية. تجمَّع الضغط بقوة في أذنيَّ مثلما يجري أثناء النزول سريعاً في الطائرة.

وَضَع هادلي يديه على وركَيه وأخفضَ رأسه، وراح يأخذ أنفاساً عميقةً مِن فمه. "يا إلهي"، نَقَّ.

رأيتُ حركةً. وَقَفت يمبري بجانب صف التوابيت، ووجهها

مشدود في قرف كريه. "ما - هذه - الرائحة؟".

"لا بأس". وجَدتُ أنه يمكنني استخدام ذراع واحدة وحاوَلتُ ما أملتُ أنها بدت إيماءةً عفويةً. "وجدنا المشكلة. لكننا اضطررنا إلى فتحه. اذهبي واجلسي".

رفعت يمبري يديها حول نفسها وعادت إلى مقعدها.

وجَدتُ أنه مع بضعة أنفاس عميقة أكثر، تبدَّدت الرائحة بما يكفي لأكون قادراً على التصرّف. "علينا تثبيته"، أخبَرتُ هادلي.

رفع نظره عن الأرض ورأيتُ عينيه مثل شقَّين ضيقَين. كانت يداه مكوَّرتين في قبضتين ووَقَف جذعه العريض شرِساً ومستقيماً. وفي زاوية عينيه، ومَضت الرطوبة. لم يقل شيئاً.

أصبحت حمولةً من جديد بينما قمتُ بتثبيت المزاليج. جهدنا نعيده إلى مكانه. وضبَّنا النعوش الأخرى في غضون دقائق، والأربطة الخارجية في مكانها، وشبكات الحمولة منسدلة ومثبَّتة.

انتظَرني هادلي لكي أنتهي من عملي، ثم سار معي إلى الأمام. "سأُخبر مساعد الطيّار أنك حللَت المشكلة"، قال، "وليعيدنا إلى سرعتنا الأساسية".

أومأتُ برأسي.

"شيء آخر"، قال. "إذا رأيتَ تلك الذبابة، اقتلها".

"ألم..."

"لا".

لم أعرف ماذا أقول، لذا قلتُ، "نعم، سيدي".

جلَست يمبري على مقعدها، أنفها متلوٍّ إلى أعلى، تتظاهر أنها نائمة. وجلَس هيرنانديز بظهر مستقيم، وجفنين نصف مفتوحين. أومأ

لي أن أقترب منه وأنحني.

"هل أخرجتهم لكي يلعبوا؟"، سأل.

وَقَفتُ فوقه ولم أقل شيئاً. شَعَرتُ في قلبي بنفس تلك الغُصّة التي كنتُ أشعر بها في صغري، عندما ينتهي الصيف.

عندما هبطنا في دوفر، قامت مفرزة الجنازات بكامل زيّها بإنزال كل تابوت، مع تقديم كل الشعائر الجنائزية لكل شخص. وقد قيل لي مع قدوم المزيد من الجثث، أن الشكليات أُلغيَت وفقط موقَّر واحد من سلاح الجو استقبل الطائرات. عدتُ إلى بنما في نهاية الأسبوع مع معدة مليئة بلحم ديك رومي وشراب رخيص. ثم طرتُ إلى جُزُر مارشال لإيصال مؤن إلى قاعدة الصواريخ الموجَّهة هناك. في القيادة الجوية العسكرية، لا يوجد نقص في الحمولة أبداً.

رعب الارتفاعات

آرثر كونان دويْل

بالإضافة إلى روايات شيرلوك هولمز، ألّف دويْل ما يزيد عن مئة قصة أخرى، العشرات منها حكايات عن الخوارق. يفتقر بعض تلك القصص للحافز "عليَّ أن أرى ماذا يجري بعد ذلك" الذي تتميَّز به قصص هولمز، ومعظمها تقدِّم لنا شاباً إنكليزياً شريفاً يواجه بعض الرعب الخارق وينتصر عليه بفضل عزيمته وذكائه، لكن قلّة منها مُرعِبة حقّاً. "الشقة رقم 249" هي إحداها؛ وهذه واحدة أخرى. على غرار مُعاصِره، برام ستوكر، كان دويْل مفتوناً بالاختراعات الجديدة (اشترى سيارةً في العام 1911 من دون أن يكون قد قاد واحدةً من قبل) ومن بينها الطائرة. عندما تقرأ "رعب الارتفاعات"، تذكَّر أنها نُشرت في العام 1913، بعد عشر سنوات فقط من تحليق فلاير طائرة الإخوة رايت من كيتي هوك لمدة 59 ثانية، وأورڤيل جالسٌ وراء أدواتها البدائية وويلبر واقفٌ على الأرض يراقبه. عندما نُشرت قصة دويْل في مجلة ذي ستراند، كان أقصى ارتفاع تصله معظم الطائرات يتراوح من 3,500 إلى حوالي 5,500 متر. تخيَّلَ دويْل ماذا قد يتواجد حتى أعلى من ذلك، فوق السُحُب، وفي فعله هذا أعطانا أكثر حكاية مروِّعة له.

فكرة أن القصة الرائعة التي سُمّيت "أجزاء جويس-أرمسترونغ" هي مقلبٌ مدروسٌ طوَّره شخصٌ مُصابٌ بلعنة حسّ فكاهة شرير ومنحرِف قد تخلّى عنها الآن كل الذين درسوا المسألة. وسيتردَّد معظم المتآمرين ذوي الخيال الخصب المروِّع قبل أن يربطوا أوهامهم المَرَضية بالحقائق المأساوية والمؤكَّدة دون أدنى شكّ التي تعزِّز هذه الإفادة. ورغم أن

التأكيدات المتواجدة فيها مدهشة وحتى شنيعة، إلا أنها تفرض نفسها على الانطباع العام بأنها حقيقية، وأن علينا أن نُعيد تعديل أفكارنا وفق الحالة الجديدة. يبدو عالمنا هذا مفصولاً بهامش بسيط ومتزعزع من الأمان عن خطر فريد وغير متوقع. سأسعى في هذه القصة، التي تعيد إنتاج المستند الأصلي في شكله المجزّأ قليلاً، لأقدِّم للقارئ كل الحقائق محدَّثةً، مستهِلاً إفادتي بقول إنه إذا كان هناك أي شخص يشكّ بقصة جويس-أرمسترونغ، فلا يمكن أن يكون هناك أي شكّ أبداً بالحقائق المتعلقة بالملازم ميرتل، ر. ن. وبالسيد هاي كونور، اللذين ماتا بلا شكّ بالأسلوب المشروح.

عُثر على "أجزاء جويس-أرمسترونغ" في حقل يسمّى "كومة التبن السفلى" ويبعد كيلومتراً ونصف غرب قرية ويثيهام، عند حدود كنتْ وساسيكس. ففي 15 سبتمبر الفائت، عثر العامل الزراعي جايمس فْلين، الذي يعمل لدى المُزارع ماثيو دودّ في مزرعة شانتري في ويثيهام، على غليون ملقى بالقرب من ممر المشاة الذي يجاور السياج النباتي في كومة التبن السفلى. بعد ذلك ببضع خطوات، وجدَ زجاج نظّارات مكسورة. أخيراً، وبين نبتات قرّاص في الخندق، لمحَ كتاباً قماشياً مسطَّحاً تبيَّن أنه مفكرة ذات أوراق قابلة للفصل، وقد انفصل بعضها وكانت ترفرف عند قاعدة السياج النباتي. لذا راح يجمِّعها، لكنه لم يجد بعضها، بما في ذلك الورقة الأولى، وهذا ترك ثغرة مُحزِنة في هذه الإفادة المهمة جداً. أخذ العامل المفكرة إلى رئيسه، الذي عرضها بدوره على الطبيب ج. هـ. أثرتون، من هارتفيلد. أدرك ذلك السيد حالاً الحاجة إلى إخضاع المفكرة لفحص دقيق، وأُرسلَت المخطوطة إلى نادي الطيران في لندن، حيث تتواجد الآن.

سفر أم خطر

الصفحتان الأولان من المخطوطة ناقصتان. كما أن هناك ورقة ممزّقة في نهاية القصة، لكن ذلك لا يؤثر على ترابطها العام. تشير تكهنّات إلى أن الافتتاحية الناقصة تتعلق بسرد كفاءات السيد جويس-أرمسترونغ كملاّح جوي، والتي يمكن تجميعها من مصادر أخرى وتُعتبر منقطعة النظير بين الطيّارين الإنكليز. بقي يُعتبر لسنوات عديدة كالأكثر جرأة وثقافة بين رجال الطيران، وهي تركيبة مكّنته من اختراع عدة أجهزة جديدة واختبارها، من بينها الوصلة الجيروسكوبية الشائعة المعروفة بإسمه. كُتب المتن الرئيسي للمخطوطة بحبر أنيق، لكن الأسطر القليلة الأخيرة مكتوبة بقلم رصاص وهي متعرّجة جداً لدرجة أنها بالكاد مقروءة - تماماً، في الواقع، مثلما يُتوقع منها أن تكون إذا تمت خربشتها على عجل عن مقعد طائرة متحرّكة. يمكن الإضافة أيضاً أن هناك عدة بُقع، على الصفحة الأخيرة وعلى الغلاف الخارجي، أشار خبراء وزارة الداخلية إلى أنها دم - بشري على الأرجح وبالطبع دم ثدييات. وحقيقة أن شيئاً يشبه كثيراً الكائن العضوي للملاريا تم اكتشافه في هذا الدم، وأن جويس-أرمسترونغ معروف أنه عانى من حمى متقطّعة، هي مثال باهر عن الأسلحة الجديدة التي وضعها العِلم الحديث بين أيدي محققينا.

والآن كلمة عن شخصية مؤلف هذه الإفادة الصانعة لعهد جديد. جويس-أرمسترونغ، وفقاً للأصدقاء القليلين الذين عرَفوا حقاً شيئاً عن الرجل، كان شاعراً وحالماً، وكذلك ميكانيكياً ومخترعاً. كان رجلاً غنياً جداً، وقد أنفَق معظم ثروته على هواية الطيران. كان يملك أربع طائرات خاصة في حظائره بالقرب من ديفايزز، وقيل إنه قام بما لا يقلّ عن مئة وسبعين تحليقاً في العام الماضي. كان رجلاً متقاعداً ذا

مزاجية داكنة تجعله يتجنَّب مجتمع زملائه. يقول القبطان داينجرفيلد، الذي عرَفه أفضل من أي شخص آخر، إنه مرَّت أوقات هدَّدت فيها غرابة أطواره بالتحوُّل إلى شيء خطير أكثر. وعادته بحمل بندقية صيد معه في الطائرة كانت أحد تجسيدات ذلك.

كان هناك تجسيد آخر هو التأثير المَرَضي الذي خلَّفه فيه سقوط الملازم ميرتل. فقد سقط ميرتل، الذي كان يحاول تحطيم الرقم القياسي للارتفاع، من ارتفاع يزيد عن تسعة آلاف متر. بسبب ضخامة الحادث، اختفى رأسه كلياً، لكن جسمه وأطرافه حافظت على تكوينها. وفي كل تجمُّع للطيّارين، يسأل جويس-أرمسترونغ، وفقاً لداينجرفيلد، مع ابتسامة مُبهَمة: "وأين رأس ميرتل؟".

في مناسبة أخرى بعد العشاء، وعلى مائدة مدرسة الطيران في سالزبَري بلاين، بدأ مناقشةً عن أكثر خطر دائم سيكون على الطيّارين مواجهته. بعد استماعه إلى آراء متتالية عن المطبّات الهوائية، عيوب التصنيع، والإفراط في إمالة الطائرة، انتهى بأن هزّ كتفَيه ورَفَض إعطاء رأيه، رغم أنه أعطى الانطباع بأنه يختلف عن آراء رفاقه.

الجدير بالذكر أنه بعد اختفائه الكامل، تبيَّن أنه تم ترتيب شؤونه الخاصة بدقة قد تُظهِر أنه كان لديه هاجس قوي بقُرب وقوع كارثة. بعد تقديم هذه الشروح الأساسية، سأروي القصة الآن بحذافيرها تماماً، بدءاً من الصفحة الثالثة للمفكرة المشبَّعة بالدم:

"ومع ذلك، عندما تعشّيتُ في رانس مع كوسَلّي وغوستاف ريموند، وجَدتُ أن كليهما لا يُدركان وجود أي خطر محدَّد في الطبقات العليا للغلاف الجوي. لم أقل في الواقع ماذا كان يجول في فكري، لكنني اقتربتُ منه كثيراً لدرجة أنه إذا كانت لديهما أي فكرة موازية له، لما

دانا فشلا في التعبير عنها. لكنهما في النهاية زميلان فارغان مغروران لا يملكان أي فكر أبعد من رؤية إسمَيهما السخيفين في الصحيفة. مثير للاهتمام ملاحظة أن كليهما لم يتخطّيا بكثير سقف ستة آلاف متر. بالطبع، ارتفع رجالٌ أعلى من ذلك سواء في بالونات أو في تسلّق الجبال. لا شكّ أنه أعلى من تلك النقطة بكثير تدخل الطائرة في منطقة الخطر - بافتراض دائماً أن هواجسي صحيحة.

"بدأ الإنسان التحليق في طائرات منذ أكثر من عشرين سنة، وقد يسأل المرء: لماذا هذا الخطر يكشف عن نفسه الآن فقط؟ الجواب واضح. في الأيام الخوالي للمحرّكات الضعيفة، عندما كانت قوة مئة حصان تُعتبر وافرة لكل احتياجاتنا، كانت الرحلات محدودة جداً. الآن وقد أصبحت قوة ثلاثمئة حصان هي القاعدة بدلاً من الاستثناء، أصبحت زيارة الطبقات العليا أسهل وشائعة أكثر. يستطيع بعضنا أن يتذكَّر، في شبابنا، كيف أن غاروس حقَّق شهرة عالمية ببلوغه خمسة آلاف وثمانمئة متر، واعتُبر ذلك إنجازاً باهراً في الطيران فوق الألب. رُفعَت معاييرنا الآن كثيراً، وهناك عشرون رحلة مرتفعة مقابل رحلة واحدة في السنوات السابقة. وقد تم العديد منها من دون نتائج سيئة. تم بلوغ ارتفاع تسعة آلاف متر مرة تلو الأخرى من دون انزعاج أكثر من مجرد برد وربو. ماذا يبرهن هذا؟ أن زائراً قد يهبط ألف مرة على هذا الكوكب ولا يرى نمراً أبداً. ومع ذلك فالنمور موجودة، وقد تفترسه إذا صدفَ وهبط في غابةٍ. هناك غابات في الهواء العلوي، وتقطنها أشياء أسوأ من النمور. أعتقد أنه مع مرور الوقت سيضعون خريطة دقيقة لها. حتى في هذه اللحظة بالذات يمكنني تسمية غابتين منها. إحداهما تقع فوق مقاطعة بوبيارتز الفرنسية. والأخرى فوق رأسي

مباشرة بينما أكتب هذا في منزلي في ويلتشر. أفضِّل أن أعتبر وجود واحدة ثالثة في مقاطعة هومبرغ-فيسبادن.

"اختفاء الطيّارين هو أول شيء جعلني أفكِّر. بالطبع، قال الجميع إنهم سقطوا في البحر، لكن ذلك لم يُقنعني أبداً. أولاً، هناك ڤيريبه في فرنسا؛ عُثر على آلته بالقرب من بايون، لكنهم لم يعثروا على جثته أبداً. وهناك باكستر أيضاً، الذي اختفى، رغم أنه عُثر على محرّكه وبعض القِطع الحديدية في غابة في ليسترشِر. في تلك الحالة، صرَّح الطبيب ميدلتون، من آيمزبَري، والذي كان يراقب الرحلة بالتلسكوب، أنه مباشرة قبل أن تحجب السُحُب الرؤية، رأى الآلة، التي كانت على ارتفاع شاهق، ترتفع فجأة بشكل متعامد في سلسلة ارتعاشات بطريقة ظنّها مستحيلة. كانت هذه آخر مرة شُوهد فيها باكستر. نُشرَت بعض المراسلات في الصحف، لكنها لم تؤدِّ إلى أي شيء أبداً. حصلت حالات عديدة مشابهة، ثم كان هناك موت هاي كونور. سرت شائعات كثيرة عن سر غير محلول في الجو، ونُشرت مقالات كثيرة في الصحف الرخيصة، لكن لم يُنجَز الكثير لكشف خبايا المسألة! سقط في انزلاق هائل من ارتفاع مجهول. ولم يخرج من آلته أبداً ومات على مقعد الطيّار. مات من ماذا؟ 'مرض القلب'، قال الأطباء. هراء! كان قلب هاي كونور سليماً مثل قلبي. ماذا قال ڤينابلز؟ كان ڤينابلز الرجل الوحيد الذي كان قربه عندما مات. قال إنه كان يرتعش وبدا خائفاً جداً. 'مات من الرعب'، قال ڤينابلز، لكنه لم يقدر أن يتخيَّل مما كان خائفاً. قال كلمة واحدة فقط لڤينابلز، والتي بدت كأنها 'متوحش'. لم يتمكنوا من استخلاص أي شيء منها في التحقيق. لكن يمكنني استخلاص شيء منها. وحوش! هذه كانت آخر كلمة قالها

هاري هاي كونور المسكين. ومات من الرعب فعلاً، مثلما ظنَّ ڤينابلز.

"ثم هناك رأس ميرتل. هل تصدِّق حقاً - هل يصدِّق أي شخص حقاً - أن رأس أي رجل يمكن أن ينفصل عن جسمه بشكل دقيق من قوة أي اصطدام؟ حسناً، قد يكون ذلك ممكناً، لكنني، شخصياً، لم أصدِّق أبداً أن هذا ما حصل مع ميرتل. والشحم على ملابسه - 'كلها دبقة من الشحم'، قال أحدهم في التحقيق. الغريب أن أحداً لم يفكِّر أبعد من ذلك! أنا فكّرتُ - لكنني بقيتُ أفكِّر لوقت طويل. لقد قمتُ بثلاثة تحليقات - كم كان داينجرفيلد يمزح معي بشأن بندقية الصيد - لكنني لم أصل أبداً إلى ارتفاعٍ كافٍ. الآن، ومع آلة پول ڤيرونر الخفيفة الجديدة ومحرِّكها روبر ذي قوة مئة وخمسة وسبعين حصاناً، يجب أن ألامس بسهولة ارتفاع تسعة آلاف غداً. ستسنح لي فرصة لأحطِّم الرقم القياسي. وربما ستسنح لي فرصة لأحطِّم شيئاً آخر أيضاً. هذا خطير طبعاً. إذا أراد المرء تجنُّب الخطر، من الأفضل له أن يبقى بعيداً عن الطيران كلياً ويكتفي بارتداء فانيلا وخُفّ طول النهار. لكنني سأزور الغابة الجوية غداً - وإذا كان هناك أي شيء فوق فسأعرف ذلك. إذا عدتُ، سأحقِّق بعض الشهرة لنفسي. وإذا لم أعد فإن هذه المفكرة قد تشرح ماذا كنتُ أحاول أن أفعل، وكيف فقدتُ حياتي أثناء فعلي ذلك. لكن لا هراء عن حوادث أو أسرار، رجاءً.

"اخترتُ طائرة پول ڤيرونر الأحادية الأسطح للمهمة. لا شيء يوازي طائرة أحادية الأسطح عند الحاجة إلى تنفيذ مهمة حقيقية. اكتشف بومونت ذلك في وقت مبكر جداً. فمن جهة، تتحمَّل الرطوبة، والطقس يبدو كما لو أننا يجب أن نكون في السُحُب طوال الوقت. قوامها نحيل وتستجيب لحركات يدي مثل حصان مطيع.

محرّكها محرّكٌ دوّارٌ ذو عشرة أسطوانات ماركة روبر تصل سرعته إلى مئة وخمسة وسبعين. وتتضمن كل التحسينات العصرية - هيكل مُغلق، مزلقة هبوط عالية الانحناءات، فرامل، مثبّتات جيروسكوبية، وثلاث سرعات، وتعمل بتعديل زاوية الأسطح وفق مبدأ الستائر ذات الأضلاع. أخذتُ بندقية صيد معي ودزينة خراطيش معبأة بالخُردُق. كان عليك رؤية وجه بيركنز، ميكانيكيي القديم، عندما طلبتُ منه وضعها فيها. ارتديتُ ملابس كأنني أريد استكشاف القطب الشمالي، مع قميصَين صوفيَين تحت ردائي السروالي، وجوارب سميكة داخل حذائي المبطَّن، وقبعة عواصف ذات رفاريف، ونظّاراتي الواقية. كان الجو خانقاً خارج الحظائر، لكنني كنتُ ذاهباً إلى قمّة الهيمالايا، وعليَّ أن أرتدي ما يناسب ذلك. عرَف بيركنز أنني أحضّر لشيء وناشَدني أن آخذه معي. ربما كان عليَّ أن آخذه معي لو كنتُ أستخدم طائرةً ثنائية الأسطح، لكن الطائرة الأحادية الأسطح تناسب رجلاً واحداً - إذا كنتَ تريد أن تحلب آخر قطرة من طاقتها. بالطبع، أخذتُ عبوة أكسجين؛ الرجل الذي ينوي تحطيم الرقم القياسي للارتفاع من دون واحدةٍ إما سيتجمَّد أو يختنق - أو الاثنين معاً.

"ألقيتُ نظرة جيدة على الأسطح، قضيب الدفّة، ورافعة الارتفاع قبل أن أركبها. بدا لي كل شيء سليماً. ثم شغَّلتُ محرّكي ووجدتُ أنه يعمل بسلاسة. عندما فكّوا وثاقها ارتفعت في الهواء حالاً تقريباً عند أدنى سرعة. حلَّقتُ دائرياً فوق حقل منزلي مرة أو مرتين بقصد تحميتها فقط، ثم بعد تلويحٍ لبيركنز والآخرين، سطَّحتُ أسطحي ودفعتُها إلى أقصى طاقتها. طارت مثل سنونو في مهبّ الريح لثلاثة عشر أو ستة عشر كيلومتراً إلى أن وجّهت أنفها صعوداً قليلاً وبدأت تتسلّق في

لولب كبير نحو السُحُب فوقي. من المهم جداً أن ترتفع ببطء وتكيِّف نفسك مع الضغط تدريجياً.

"كان يوماً دافئاً لسبتمبرٍ إنكليزيٍ، وكان هناك سكون وثقل مطر وشيك. وتهبّ رياح مفاجئة بين الحين والآخر من الجنوب الغربي – إحداها عاصِفة وغير متوقعة لدرجة أنها قبضت عليَّ آخذ قيلولة وقلبتني نصف دورة للحظات. أتذكَّر وقتاً كانت فيه الهبَّات والمطبّات الهوائية أشياء خطيرة – قبل أن نتعلَّم أن نضع قوة كبيرة في محرّكاتنا. حالما وَصَلتُ إلى كومة غيوم، ومقياس الارتفاع يشير إلى ألف متر، بدأ المطر يهطل. يا للهول كم كان غزيراً! راح يطرق أجنحتي ووجهي، مما غبَّش نظّاراتي وبالكاد عدتُ قادراً على الرؤية. خفَّفتُ سرعتي، لأنه كان مؤلماً الطيران بمواجهته. وعندما ارتفعتُ أكثر أصبح بَرَداً، وكان عليَّ الفرار منه. توقفت إحدى أسطواناتي عن العمل – قابس قذر، أظن، لكنني ومع ذلك كنتُ أرتفع بثبات مع كثير من الطاقة. بعد قليل، زالت المتاعب، مهما كانت، وسِمعتُ الخرخرة الجهيرة الكاملة – العشرة تغني بتناغم معاً. هنا يأتي جمال كاتمات الصوت العصرية. يمكننا أخيراً التحكّم بمحرّكاتنا عبر السمع. كيف تزعق وتُصدر صريراً وتشهق عندما تكون في ورطة! كل نداءات المساعدة تلك كانت تُهدَر في الأيام الخوالي، عندما كان الطرق الشنيع للآلة يبتلع كل صوت. فقط لو يستطيع الطيّارون الأوائل العودة ليروا جمال الآلية التي دفعوا حياتهم ثمناً لتوصّلنا إليها!

"كنتُ أقترب من السُحُب حوالي التاسعة والنصف. وتحتي، الفُسحة الشاسعة لسهول سالزبَري بلاين، ضبابية ومظلّلة من المطر. كانت ست آلات طيران تُجري أعمالها التجارية الطابع عند مستوى

ثلاثمئة متر، وتبدو كطيور سنونو سوداء صغيرة على الخلفية الخضراء. أتجرّأ أن أقول إنها كانت تتساءل ما الذي أفعله عالياً بين السُحُب. فجأة ارتسمت ستارة رمادية تحتي وكانت الطيّات الرطبة للأبخرة تتطاير في دوائر حول وجهي. كان الجو ندياً بارداً وبائساً. لكنني كنتُ فوق عاصفة البَرَد، وهذا شيء مكتَسَب. كانت السحابة داكنة وكثيفة مثل ضباب لندن. وفي لهفتي الكبيرة للخروج منها، أمَلتُ أنفها صعوداً إلى أن بدأ جرس الإنذار التلقائي يرنّ، وبدأتُ في الواقع أنزلق إلى الوراء. فقد جَعَلتني أجنحتي المبلَّلة بالكامل والتي تقطر ماءً أثقل مما ظننتُ، لكنني كنتُ حالياً في سحابة أخفّ وزناً، وسرعان ما خرجتُ من الطبقة الأولى. كانت هناك طبقة ثانية - بلون العقيق الأزرق وناعمة كالصوف - على ارتفاع شاهق فوق رأسي، سقف أبيض متواصل فوق وأرضية داكنة متواصلة تحت، والطائرة الأحادية الأسطح تجهد صعوداً على لولب شاسع بينهما. إنها وحيدة في فضاء تلك السُحُب. تجاوزني ذات مرة سرب كبير من بعض طيور الماء الصغيرة، التي كانت تحلّق سريعاً جداً إلى الغرب. الدويّ السريع لأجنحتها وصراخها الموسيقي أبهجا أذني. أظن أنها كانت زرقاء مخضّرة، لكنني عالِم بائس بعلم الحيوان. الآن وقد أصبح البشر طيوراً، علينا أن نتعلَّم حقاً كيف نتعرَّف على إخوتنا في الطيران من منظرها.

"راحت الرياح تحتي تدور وتتمايَل في سهول السُحُب العريضة. وذات مرة تشكَّلت دوّامة رائعة فيها، دوَّامة بخار، ومن خلالها، مثل قِمعٍ، لمحتُ العالم البعيد. كانت هناك طائرة ثنائية الأسطح بيضاء كبيرة تمرّ تحتي بمسافة كبيرة. أظن أنها طائرة بريد الصباح بين بريستول ولندن. ثم دار الانجراف إلى الداخل مرة أخرى وعادت الوحدة الكبيرة المتواصلة.

سفر أم خطر

"بعد العاشرة تماماً، لمستُ الحافة السفلى لطبقة السُحُب العليا، والتي تشكَّلت من بخار شفاف رقيق ينجرف بسرعة من الغرب. كانت الرياح تشتدّ بثبات طوال ذلك الوقت وبدأت تهبّ بقوة الآن - بسرعة خمسة وأربعين في الساعة بحسب أداة قياسي. وكان الجو بارداً جداً من قبل، رغم أن مقياس ارتفاعي أشار فقط إلى ثلاثة آلاف، والمحرّكات تعمل بشكل جميل، وكنا نُدندِن بثبات صعوداً. كانت السُحُب أكثف مما توقَّعتُ، لكنها رقَّت أخيراً أمامي إلى رذاذ ذهبي، ثم خرجتُ منها بلمح البصر، وعادت السماء غير ملبَّدة والشمس الرائعة فوق رأسي - كل شيء أزرق وذهبي فوقي، وفضي لامع تحتي، سهلٌ شاسعٌ مضيءٌ على مدّ عيني والنظر. كانت الساعة العاشرة والربع، وأشارت إبرة الباروغراف إلى اثنَي عشر ألفاً وثمانمئة. ارتفعتُ أكثر فأكثر، وأذنايَ مركَّزتان على الخرخرة العميقة لمحرّكي، وعينايَ مشغولتان دائماً بالساعة، ومؤشر سرعة الدوران، ومقبض الوقود، ومضخّة الزيت. لا عجب أن الطيّارين يوصفون بأنهم عرقٌ جَسورٌ. فبوجود أشياء كثيرة للتفكير فيها، لا يتوفّر وقتٌ للمرء ليقلق بشأن نفسه. لاحَظتُ عندها كم أن البوصلة غير موثوقة عندما تكون فوق ارتفاعٍ معيّنٍ عن سطح الأرض. فبوصلتي على ارتفاع خمسة آلاف متر كانت تشير شرقاً وجنوباً. أعطتني الشمس والرياح اتجاهاتي الحقيقية.

"كنتُ آمل الوصول إلى سكون أبدي عند تلك الارتفاعات الشاهقة، لكن العاصفة أخذت تشتدّ مع كل ثلاثمئة متر أصعدها. راحت آلتي تتأوه وترتعش عند كل مِفصَل وبرشام، وانجرفت مثل ورقة عندما أمَلتُها بقوة، وانزلقت على الرياح بوتيرة أسرع، ربما، من أي سرعة بلغها أي رجلٍ فانٍ من قبل. ومع ذلك كان عليَّ دائماً أن

أستدير مرة أخرى وأواجه عين الرياح، لأنني لم أكن أطمح فقط إلى تحطيم الرقم القياسي للارتفاع. بحسب كل حساباتي، تتواجد غابتي الجوية فوق ويلتشر الصغيرة، وكل جهودي قد تضيع إذا أصبتُ الطبقات الخارجية عند نقطةٍ أبعد من ذلك.

"عندما وَصَلتُ إلى ارتفاع ستة آلاف متر، وقد حصل ذلك عند الظهيرة تقريباً، كانت الرياح شديدة لدرجة أنني نظرتُ ببعض القلق إلى متانة أجنحتي، متوقعاً للحظة رؤيتها تنقصف أو تتراخى. حتى إنني فككتُ المظلّة التي خلفي، وأوثقتُ خطّافها بحلقة حزامي الجلديّ، لكي أكون جاهزاً للأسوأ. الآن هو الوقت الذي يدفع فيه الملاّح الجوي حياته ثمناً لكسل الميكانيكي. لكنها تماسَكت بشجاعة. فكل حبل ودعامة يهمهِم ويهتزّ كالعديد من أوتار القيثارة، لكن من الرائع رؤية كيف كانت، رغم كل الضرب والدفدفة، لا تزال غازية الطبيعة وعشيقة السماء. هناك بالتأكيد شيء إبداعي في الإنسان نفسه بحيث يرتقي متفوقاً على المحدوديات التي يبدو أن الحياة تفرضها عليه - يرتقي، أيضاً، بفضل تفانٍ بطوليٍ غير أناني كالذي أظهره هذا الغزو الجوي. ويتكلّمون عن الانحلال البشري! متى كُتبَت هكذا قصة في تاريخ عِرقنا؟

"هذه هي الأفكار التي كانت في ذهني وأنا أصعد بتلك الطائرة الشنيعة والرياح تضرب وجهي أحياناً وتصفر خلف أذنيَّ أحياناً أخرى، بينما أرض السُحُب تحتي تضمر إلى مسافةٍ بحيث أن التلال والروابي الفضية اضمحلت إلى سهل مسطَّح لامع. لكنني تعرَّضتُ فجأة لتجربةٍ رهيبةٍ لم يسبق لها مثيل. فقد عرفتُ من قبل شعور التواجد في ما كان جيراننا يسمّونه زوبعة، لكنني لم أختبر ذلك على هكذا مقياس أبداً. نهر الرياح الضخم ذاك الذي تكلَّمتُ عنه يتضمن، على ما يبدو،

دوَّامات شنيعة مثله. فمن دون أي تحذير، سُحبتُ فجأة إلى قلب واحدة منها. رحتُ أدور فيها لدقيقةٍ أو دقيقتين بسرعة كبيرة لدرجة أنني كدتُ أفقد صوابي، ثم سقطتُ فجأة، بجناحي الأيسر أولاً، داخل قِمع الفراغ الذي في الوسط. سقطتُ مثل حجر، وفقدتُ حوالي ثلاثمئة متر. حزامي هو الشيء الوحيد الذي أبقاني على مقعدي، والصدمة وضيق التنفّس تركاني مرمياً نصف فاقد الوعي فوق جانب هيكل الطائرة. لكنني قادر دائماً على تحمّل جهد كبير - وهذه ميزة رائعة لديَّ كطيّار. كنتُ أُدرك أن الهبوط أبطأ. فالدوّامة أشبه بمخروط أكثر مما تشبه قِمعاً، وقد وصلتُ إلى قمتها. بعزمٍ قويٍ، رميتُ كل وزني إلى إحدى الجهتين، وسويَّتُ طائرتي وأبعدتُ رأسها عن الرياح. تمكّنتُ من الخروج من الدوَّامات في لحظةٍ ورحتُ أحلِّق في السماء. ثم، متزعزعاً لكن منتصِراً، رفعتُ أنفها وبدأتُ مرة أخرى تحرّكي الهادئ على اللولب الصاعد. قمتُ بحركة مائلة كبيرة لأتجنَّب بقعة خطر الدوَّامة، وسرعان ما صرتُ فوقها بأمان. بعد الساعة الواحدة تماماً، كنتُ على ارتفاع ستة آلاف وخمسمئة متر فوق سطح البحر. شعرتُ بفرح كبير لصعودي فوق العاصفة، ومع كل ثلاثين متراً من الصعود يصبح الهواء أهدأ. من جهة أخرى، كان الجو بارداً جداً، وكنتُ مُدركاً لذلك الغثيان الغريب الأطوار الذي يرافق انخفاض الضغط الجوي. لأول مرة فَكَكتُ فوهة كيس أكسجيني وأخذتُ نَفَساً عَرَضيّاً من الغاز المجيد. أمكنني الشعور به يسيل بعمق في أوردتي، وابتهَجتُ إلى حدود الثمالة تقريباً. رحتُ أصرخ وأغنّي وأنا أحلِّق صعوداً إلى العالم الخارجي البارد الساكن.

"من الواضح جداً لي أن فقدان الوعي الذي أصاب غلايشر،

وبدرجة أقل كوكسْوَل، عندما صعدا، في العام 1862، في بالون إلى ارتفاع تسعة آلاف متر، كان ناتجاً عن السرعة الكبيرة التي جرى بها ذلك الصعود المتعامد. لأنه عند إنجازك ذلك الصعود بشكل تدريجي سهل بينما تعوِّد نفسك على انخفاض الضغط الجوي بدرجات بطيئة، لن تُصاب بهكذا عوارض مُرعِبة. عند نفس الارتفاع الشاهق، وجَدتُ أنه حتى من دون مِنشاق الأكسجين، يمكنني التنفّس دون استغاثة غير ضرورية. لكن الجو قارس، وميزان حرارتي ما دون الصفر مئوية. عند الواحدة والنصف، كنتُ تقريباً على ارتفاع أحد عشر كيلومتراً، ولا زلتُ أصعد بثبات. لكنني وجَدتُ أن الهواء الرقيق يوفِّر دعماً أقل بشكل ملحوظ لأجنحتي، وبالتالي يجب تخفيض زاوية صعودي إلى حد بعيد. كان جلياً لي من قبل أنه حتى مع وزني الخفيف وقوة المحرّك الكبيرة، كانت هناك نقطة أمامي عليَّ أن أحافظ عليها. ولجعل المسائل أسوأ، بدأت إحدى شمعات الإشعال تعاني مرة أخرى وكان هناك إخفاق متقطّع في اشتعال المحرّك. امتلأ قلبي خوفاً من الفشل.

"في ذلك الوقت تقريباً وقعتُ في تجربة استثنائيةً جداً. فقد أزَّ شيء بجانبي مخلِّفاً قافلة دخان وراءه وانفجَر مُحدِثاً صوت هسهسة صاخباً، وناشراً سحابة بخار. لم أستطع تخيّل ما حصل في البدء. ثم تذكَّرتُ أن كوكب الأرض يُقصَف بنيازك باستمرار، وبالكاد سيكون مكاناً قابلاً للسكن لو لم تتحوَّل تلك النيازك تقريباً دائماً إلى بخار في الطبقات الخارجية للغلاف الجوي. هذا خطرٌ إضافيٌ للرجل الذي يطير على ارتفاع شاهق، لأن نيزكين آخرَين تجاوزاني عندما كنتُ أقترب من علامة اثنَي عشر ألف متر. لا يمكنني أن أشكّ أن الخطر عند حافة غلاف كوكب الأرض سيكون خطراً حقيقياً جداً.

سفر أم خطر

"أشارت إبرة الباروغراف إلى اثنَي عشر ألفاً وستمئة عندما أدركتُ أنه لا يمكنني الصعود أكثر من ذلك. جسدياً، لم يكن الجهد بعد أكبر مما أستطيع أن أتحمّله لكن آلتي وصلت إلى حدها الأقصى. لم يعد الهواء الموهون يوفِّر دعماً متيناً للأجنحة، وأدنى إمالة تتطوّر إلى انزلاق جانبي، وبدا تجاوبها معي بطيئاً. ربما لو كان المحرّك بأفضل أحواله، لتمكّنتُ على الأرجح من الارتفاع لثلاثمئة متر أخرى، لكن الإخفاق في الاشتعال كان لا يزال مستمراً، وبدا أن أسطوانتين من الأسطوانات العشرة لا تعملان. لو لم أصل من قبل إلى المنطقة التي كنتُ أبحث عنها لما وجبَ أن أفكّر بالقيام بهذه الرحلة أبداً. لكن ألم يكن ممكناً أنني بَلغتُ الارتفاع المنشود؟ وأنا أحلِّق في دوائر مثل صقر ضخم على ارتفاع اثنَي عشر ألف متر، تركتُ الأحادية الأسطح ترشد نفسها، ومع عدستي المانهايم أجريتُ مراقبة دقيقة لمحيطي. كانت السماوات صافية تماماً؛ ولم تكن هناك أي دلالة على وجود تلك الأخطار التي تخيَّلتُها.

"لقد قلتُ إنني كنتُ أحلِّق في دوائر. أدركتُ فجأة أنه من الأفضل لي أن أقوم بحركة مائلة أعرض وأفتح مسلكاً جوياً جديداً. إذا دخلَ الصيّاد غابةً أرضيةً، فسيقود فيها إذا أراد إيجاد طريدته. قادني منطقي إلى الاقتناع بأن الغابة الجوية التي تخيَّلتُها موجودة في مكان ما فوق ويلتشر. يجب أن يكون هذا إلى الجنوب والغرب من مكاني الآن. أخذتُ اتجاهاتي من الشمس، لأن البوصلة ميؤوس منها ولا يمكن رؤية أي أثر للأرض - لا شيء سوى سهول السُحُب الفضية البعيدة. لكنني حصلتُ على اتجاهاتي بأفضل ما أستطيع وأبقيتُ رأسها مستقيماً نحو العلامة. احتسَبتُ أن كمية وقودي لن تدوم لأكثر من ساعة أخرى تقريباً، لكن يمكنني تحمّل ثمن استخدامها إلى آخر نقطة،

بما أن بإمكان انزلاق رائع واحد في أي وقت أن يأخذني إلى الأرض.

"أدركتُ فجأة شيئاً جديداً. الهواء أمامي فَقَد صفاءه البلّوري. كان مليئاً بخصلات طويلة متعرّجة من شيء لا يمكنني تشبيهه إلا بدخان سيجارة رفيع جداً يدور وينفتل ببطء في ضوء الشمس. مع مرور الأحادية الأسطح فيه، أدركتُ وجود مذاق خفيف من الزيت على شفتيّ، وكانت هناك طبقة دهنية على القِطع الخشبية للآلة. بدا أن مادة عضوية رقيقة جداً تطفو في الغلاف الجوي. لم تكن هناك حياة. كانت غير مكتملة ومنتشرة، وتمتدّ لعدة فدادين مربعة ثم تتبدَّد في الخلاء. لا، لم تكن حياةً. لكن ألا يمكنها أن تكون بقايا حياةٍ؟ قبل كل شيء، ألا يمكنها أن تكون طعام حياةٍ، حياةٍ شنيعةٍ، حتى كما الشحم المتواضع للمحيط هو طعام الحوت العظيم؟ كانت الفكرة في ذهني عندما نظرت عينايَ إلى فوق ورأيتُ أكثر مشهد مدهش رآه أي رجل في حياته. هل يمكنني أن آمل إيصاله لك حتى مثلما رأيته بنفسي الخميس الفائت؟

"تخيَّل قنديل بحر كأشرعةٍ في بحار صيفنا، جرسيّ الشكل وبحجم هائل - أكبر بكثير، حسب تقديري، من قبّة سانت پول. كان لونه زهرياً فاتحاً مع أخضر خفيف، لكن القماش الضخم بأكمله رقيق لدرجة أنه كان مجرد مخطط باهت في السماء الزرقاء الداكنة. كان ينبض بإيقاعٍ مُرهَفٍ ودوريٍ. وتدلّى منه هناك مجسّان طويلان متهدِّلان خضراوان يتمايَلان ببطء إلى الأمام والوراء. مرَّت هذه الرؤيا الفاتنة بلطف مع وقار صامت فوق رأسي، وبشكل خفيف وسريع العطب مثل فقاعة صابون، وانجرفت بطريقتها الفخمة.

"انعطفتُ نصف انعطافة بطائرتي لكي أتمكن من ملاحقة ذلك

المخلوق الجميل بنظري، عندما وجَدتُ نفسي فجأة بين أسطول مثالي منها، بكل الأحجام، لكنني لم أجد أي واحد كبير مثل الأول. كان البعض صغيراً جداً، لكن الأكثرية كبيرة كبالون وسطي، وبنفس الانحناء الكبير في الأعلى. كانت فيها رقة النسيج وألوانه بحيث ذكَّرني ذلك بأفخر زجاج صنع البندقية. كانت الظلال الشاحبة من الزهر والأخضر هي الصبغات السائدة، لكن كان للكل تقزُّح لوني جميل يجعل الشمس تتلألأ على أشكالها الأنيقة. انجرف بعض المئات منها حولي، سِربٌ مدهشٌ من سُفُن غريبة في السماء - مخلوقات أشكالها وموادها منسجمة جداً مع تلك الارتفاعات النقية بحيث لا يستطيع المرء أن يتخيَّل أي شيء مُرهَف إلى هذا الحد ضمن المنظر أو الصوت الفعلي لكوكب الأرض.

"لكن سرعان ما تركَّز انتباهي على ظاهرة جديدة - ثعابين الهواء الخارجي. كانت لفائف طويلة ورفيعة من مادة تشبه البخار، تدور وتنفتل بسرعة كبيرة، وتطير في دوائر بوتيرةٍ تصعِّب على العينين ملاحقتها. كان طول بعض تلك المخلوقات الشبحيّة ستة أو تسعة أمتار، لكن من الصعب تحديد عرضها، لأن محيطها ضبابي بحيث تتلاشى في الجو حولها. كانت تلك الثعابين الجوية بلون رمادي فاتح جداً أو لون الدخان، وعليها بعض الخطوط الداكنة أكثر، مما يعطي الانطباع بوجود كائن عضوي مؤكَّد. تجاوزت إحداها وجهي بخفّة، وشعرتُ بتلامس بارد دَبِق، لكن تركيبتها واهية لدرجة أنني لم أستطع ربطها بأي فكرة خطر جسدي، تماماً مثل المخلوقات الجرسية الجميلة التي سبقتها. لم تكن هناك صلابة في أطرها أكثر مما كان في الزبد العائم من موجةٍ متكسِّرةٍ.

"لكن كانت هناك تجربة فظيعة أكثر بانتظاري. فعائمةً نزولاً من ارتفاع شاهق، ظهرت رقعة بخار أرجوانية، صغيرة مثلما رأيتها أولاً، لكنها راحت تكبر بسرعة مع اقترابها مني، إلى أن ظهَر أن حجمها عشرات الأمتار المربعة. رغم أنها مصنوعة من مادة هُلامية شفافة، إلا أنها كانت ذات محيط واضح وقَوام خالص أكثر بكثير من أي شيء رأيتُه من قبل. وكانت هناك آثار أكثر، أيضاً، لتنظيم مادي، خاصة صفيحتين دائريتين شاسعتين مُبهَمتين، على الجهتين، ربما كانتا عينين، ونتوء أبيض خالص تماماً بينهما كان منحنياً ووحشياً مثل منقار نسر.

"كان المنظر الكلي لذلك الوحش مرعباً وتهديدياً، وبقي لونه يتغيَّر من بنفسجي فاتح جداً إلى أرجواني غاضب داكن وسميك لدرجة أنه ألقى ظلاً بينما مرَّ بين طائرتي والشمس. وعلى المنحنى العلوي لجسمه الضخم كانت هناك ثلاثة نتوءات كبيرة لا يمكنني وصفها إلا كفقاقيع هائلة، وكنتُ مقتنعاً بينما رحتُ أنظر إليها بأنها مشحونة بغازٍ خفيفٍ جداً وظيفته جعل الكتلة الغريبة الشكل وشبه الصلبة تطفو في الهواء الرقيق. اقترب مني المخلوق، وراح يحلِّق بسهولة بنفس سرعة الطائرة، وشكَّل مرافِقي الرهيب لخمسين كيلومتراً أو أكثر، وهو يحوم فوقي مثل طير جارح ينتظر أن ينقضّ عليَّ. طريقة تقدّمه - التي تمت بسرعة بحيث لم يكن من السهل اتباعها - كانت بقذف شريط ضوئي ملوَّن لزِج طويل أمامه، والذي بدا أنه بدوره يسحب بقية جسمه المتلوّي إلى الأمام. كان مرناً وهُلامياً لدرجة أنه لا يحافظ على شكله أبداً لدقيقتين متتاليتين، ومع ذلك فإن كل تغيير يجعله مهدِّداً وكريهاً أكثر من الذي سبقه.

"عرَفتُ أنه ينوي على الأذى. فكل فورة أرجوانية من جسمه

البشع أخبَرتني ذلك. العينان الجاحظتان الغامضتان اللتان بقيتا تنظران إليّ دائماً كانتا باردتين وعديمتي الرحمة في بغضهما اللزِج. وجهّت أنف طائرتي نزولاً للهرب منه. وأنا أفعل ذلك، انطلقَ بسرعة البرق مجسٌّ طويلٌ من تلك الكتلة الدهنية الضخمة العائمة، ووَقَع كضربة سوط خفيفة متعرِّجة على الجهة الأمامية لآلتي. سمعتُ هسهسة صاخبة وهو يستلقي للحظة على المحرّك الساخن، ثم ارتفع في الجو مرة أخرى، بينما تقوقع الجسم الضخم على نفسه كما لو أنه أُصيب بألم مفاجئ. غطستُ مرة أخرى، لكن سقط مجسّ آخر على الطائرة وتقطَّع من شفرات المروحة بالسهولة التي كان سيخترق بها سحابة دخان. ظهرت لفّة طويلة منزلقة لاصقة تشبه ثعباناً من الخلف والتفّت حول خصري، وسحبتني خارج هيكل الطائرة. رحتُ أغرز أصابعي في السطح الناعم كالغراء، وحرَّرتُ نفسي للحظة، لكن قبضت لفّة أخرى على حذائي، مما سبَّب لي ارتعاشة قلبتني إلى ظهري تقريباً.

"بينما كنتُ أقع أشعلتُ ماسورتَي بندقيتي، رغم أن ذلك كان في الواقع يشبه مهاجمة فيلٍ بأنبوب نفخ حبوب، ولا يمكن تخيّل أن بإمكان سلاح بشري تعطيل تلك الكتلة الضخمة. ومع ذلك فقد صوَّبتُ بأفضل ما أستطيع، وانفجرت إحدى البثور الكبيرة على ظهر المخلوق بصوتٍ صاخبٍ. كان واضحاً جداً أني كنتُ محقّاً في تخميني، وأن تلك المثانات الضخمة الشفافة معبأة ببعض الغاز الرافع، لأنه في لحظةٍ استدار الجسم الضخم الشبيه بالسحابة جانبياً، وراح يتلوّى بيأس ليجد توازنه، بينما فرقعَ المنقار الأبيض وفغَر فمه في حنقٍ رهيبٍ. لكنني كنتُ قد ابتعدتُ من قبل في انزلاقة شديدة الانحدار تجرّأتُ على تجربتها، ومحرّكي لا يزال يعمل بكامل طاقته، ومروحة الطيران وقوة

الجاذبية تدفعاني نزولاً مثل نيزك صخري. رأيتُ خلفي من بعيد لطخة أرجوانية باهتة تصغُر بسرعة وتندمج في السماء الزرقاء خلفها. خرجتُ بأمان من الأدغال المميتة للهواء الخارجي.

"بعدما ابتعدتُ عن الخطر، خفّفتُ سرعتي، لأن لا شيء يدمّر الآلة أسرع من تشغيلها بطاقتها القصوى على ارتفاع شاهق. كان انزلاقاً لولبياً رائعاً من ارتفاع حوالي ثلاثة عشر كيلومتراً - أولاً، إلى مستوى السُحُب الفضية، ثم إلى سُحُب العاصفة التي تحتها، وأخيراً، في المطر، إلى سطح الأرض. رأيتُ قناة بريستول تحتي عندما خرجتُ من السُحُب، لكن بما أنه كان لا يزال لديَّ بعض الوقود في خزّاني، حلّقتُ لمسافة خمسين كيلومتراً نحو الداخل قبل أن أجد نفسي مهجوراً في حقل يبعُد كيلومتراً عن قرية أشكومب. حصلتُ هناك على ثلاث صفائح وقود من سيارة مارّة، وعند السادسة وعشر دقائق من ذلك المساء، ترجّلتُ بهدوء إلى مَرج منزلي في ديفايزز، بعد هكذا رحلة لم يقم بها بعد أي فانٍ على كوكب الأرض وعاش ليروي ما حصل معه. لقد رأيتُ الجمال ورأيتُ رعب الارتفاعات - وجمالٌ أكبر أو رعبٌ أكبر من ذلك ليس ضمن مدى إدراك الإنسان.

"وأنوي الآن الذهاب مرة أخرى قبل أن أقدِّم نتائجي إلى العالم. سببي للقيام بذلك هو أنه لا بدّ أن يكون معي شيء لأظهره كبرهان قبل أن أروي هكذا حكاية لزملائي. صحيح أن الآخرين سيحذون حذوي قريباً ويؤكدون ما قلتُه، لكن يجب أن أتمنى اقناعكم من المرة الأولى. لا يجب أن يكون من الصعب التقاط تلك الفقاقيع الجميلة المتقزّحة لونياً. فهي تنجرف ببطء في الهواء، وتستطيع الطائرة الأحادية الأسطح السريعة اعتراض سبيلها. ستتلاشى على الأرجح في طبقات

الغلاف الجوي الأثقل، وأن كومةً صغيرةً من الهلام غير المنظَّم قد تكون كل ما يمكنني إحضاره معي إلى الأرض. ومع ذلك فإن شيئاً هناك سيساعدني بالتأكيد على إثبات صحة قصتي. نعم، سأذهب، حتى ولو كنتُ أخاطر بفعلي ذلك. لا يبدو أن تلك الأهوال الأرجوانية عديدة. من المحتمل أنني لن أرى أحدها. إذا رأيتُه سأغطس حالاً. في أسوأ الأحوال هناك دائماً بندقية الصيد ومعرفتي..."

هنا توجد صفحة ناقصة من المخطوطة لسوء الحظ. ومكتوب على الصفحة التالية، بخط كبير متطوّح:

"ثلاثة عشر ألف متر. لن أرى الأرض مرة أخرى أبداً. إنهم تحتي، ثلاثتهم. ليكن الله في عوني؛ إنها طريقة مُرعِبة للموت!".

هذه بأكملها إفادة جويس-أرمسترونغ. ولم يتم العثور على أي شيء آخر من الرجل. مجرد قِطع محطَّمة من طائرته الأحادية الأسطح في محميات السيد بادّ-لوشنغتون على حدود كنتْ وساسيكس، على بُعد بضعة كيلومترات من المكان الذي عُثر فيه على المفكرة. إذا كانت نظرية الطيّار المشؤوم صحيحة بأن تلك الغابة الجوية، مثلما سمّاها، موجودة فقط فوق الجنوب الغربي لإنكلترا، فيبدو أنه فرّ منها بالسرعة القصوى لطائرته الأحادية الأسطح، لكن تلك المخلوقات الرهيبة قبضت عليه وافترسته في مكان ما في الغلاف الجوي الخارجي فوق المكان الذي عُثر فيه على البقايا الكالحة. صورة تلك الطائرة الأحادية الأسطح تنزلق في السماء، وتلك الأهوال المجهولة تطير بسرعة تحتها وتقطع عنها الطريق نحو الأرض بينما تُطبِق على ضحيتها تدريجياً، هي صورة سيفضِّل كل رجل يقدِّر سلامة عقله عدم إمعان النظر فيها. هناك عديدون، مثلما أُدرك، لا يزالون يسخرون من الحقائق التي

عرضتُها هنا، لكن حتى هم يجب أن يقبلوا أن جويس-أرمسترونغ اختفى، وأُوصي لهم بكلماته الشخصية: "هذه المفكرة قد تشرح ماذا كنتُ أحاول أن أفعل، وكيف فقدتُ حياتي أثناء فعلي ذلك. لكن لا هراء عن حوادث أو أسرار، رجاءً".

11

كابوس على ارتفاع 6,000 متر

ريتشارد ماثيسون

هل هذه أعظم قصة في التاريخ عن الخوف من الطيران؟ ربما. لا أقصد أن أبدو مثل رود سيرلينغ، لكن فكّر لو سمحتَ بفكرة آرثر جيفري ويلسون، أثناء إقلاع طائرته الـ DC-7: "ها هو... على ارتفاع ستة آلاف متر فوق الأرض، عالقٌ في صَدفة موت عاوية". نُشرَت أصلاً في العام 1961، عندما كان يمكنك أن تدخِّن على متن الرحلات وحتى أن تحمل مسدَّساً في حقيبة ظهرك، تسير بك "كابوس" على حد السكين بين احتمالين: إما أن السيد ويلسون يعاني من إنهيار عصبي بسبب القلق، أو أن هناك حقاً شيئاً بشعاً على الجناح الخارجي لنافذته، يحاول إسقاط الطائرة. في كلا الحالتين، أنت في رحلة بغيضة جداً. من الأفضل أن تشدّ حزام أمانك.

"حزام الأمان، رجاءً"، قالت المضيفة بابتهاج أثناء مرورها.

في نفس لحظة تكلّمها تقريباً، أُضيئت اللافتة التي فوق الممر المقوَّس الذي يؤدّي إلى المقصورة الأمامية - شدّوا حزام الأمان - مع التحذير الذي يرافقها، تحتها - ممنوع التدخين. آخذاً نَفَساً عميقاً، زَفَر ويلسونه على دُفعات، ثم ضغط السيجارة في دُرج مسند الذراع بحركات طعن نَزِقة.

في الخارج، سعَلَ أحد المحرّكات بشكل مخيف، وتقيأ سحابة دخان تبدَّدت في هواء الليل. بدأ هيكل الطائرة يهتزّ ورأى ويلسون،

وهو يلقي نظرة سريعة إلى خارج النافذة، اللهب يخرج بشكل شاحب من كِنّة المحرّك. سعَلَ المحرّك الثاني، ثم زأر، وبدأت مروحته بالدوران فوراً. بإذعان متوتّر، شدّ ويلسون الحزام على حُضنه.

الآن أصبحت كل المحرّكات تعمل وبدأ رأس ويلسون ينبض بانسجام مع هيكل الطائرة. جلَس بصرامة، وهو يحدِّق في المقعد الذي أمامه بينما راحت الـ DC-7 تسير نحو المدرج، مسخِّنةً الليل بنفاث عوادمها المدوّية.

توقفت عند حافة المدرَج. نظرَ ويلسون من النافذة إلى التألق الهائل للمحطة. في وقت متأخر من الصباح، فكَّر في سرّه، وبعد أن يكون قد استحمّ وارتدى ثياباً نظيفة، سيكون جالساً في مكتب أحد معارفه يناقش صفقة خادعة أخرى نتيجتها الصافية لن تضيف مثقال ذرّة إلى تاريخ البشرية. كان كل ذلك ملعوناً -

لَهَث ويلسون عندما بدأت المحرّكات تحضيرات تسخينها للإقلاع. وأصبح الصوت، الصاخب من قبل، يُصمّ الآذان - أمواج أصوات تكسَّرت على أذنيَ ويلسون مثل ضربات هراوة. فتَح فمه كما لو أنه يريد السماح بتصريفها. اتخذت عيناه نظرات رجل يعاني، وانقبضت يداه على شكل مخالب متوترة.

جفلَ وانكمشت رِجلاه عندما شَعَر بلمسة على ذراعه. أمال رأسه ورأى المضيفة التي استقبلته عند الباب. كانت تبتسم له.

"هل أنت بخير؟"، بالكاد استطاع سماع كلماتها.

زمَّ ويلسون شفتيه وحرَّك يده لها كما لو أنه يُبعدها عنه. توهَّجت ابتسامتها في سطوع مُفرط، ثم سقطت عندما استدارت وابتعَدت.

بدأت الطائرة تتحرَّك. بلا مبالاة في البدء، كما لو أنها عملاق

ـافح لينقل وزنه الثقيل. ثم بسرعة أكبر، للتغلّب على جرّ الاحتكاك. استدار ويلسون نحو النافذة ورأى المدرَج الداكن يُسرع أكثر فأكثر. وعلى حافة الجناح، كان هناك نحيب ميكانيكي مع هبوط الرفاريف. ثم، وبشكل غير ملحوظ، فقدت العجلات العملاقة اتصالها بسطح المدرج، وبدأت الأرض بالضمور. وَمَضت الأشجار تحتهم، الأبنية، الأضواء الزئبقية للسيارات. مالت الـ DC-7 ببطء إلى اليمين، وهي تشدّ نفسها صعوداً نحو التألق القارس للنجوم.

استوت أخيراً وبدت المحرّكات كأنها توقفت إلى أن تأقلمت أذنا ويلسون والتقطتا همس سرعة تحليقها. لحظة ارتياحٍ أرخت له عضلاته، مُفصحةً عن إحساس بالرفاهية. ثم زال كلياً. جلَس ويلسون بلا حراك، وهو يحدِّق في لافتة ممنوع التدخين إلى أن انطفأت، ثم أشعلَ سيجارة بسرعة. مدَّ يده إلى الجيب في ظهر المقعد الذي أمامه، وأخرج صحيفته.

كالعادة، كان العالم في حالة تشبه حالته. احتكاكات في الدوائر الدبلوماسية، زلازل وطلقات نارية، قتل، اغتصاب، أعاصير وتصادمات، نزاعات تجارية، عصابات. إلى أين يسير العالم، تساءل آرثر جيفري ويلسون.

بعد خمس عشرة دقيقة، رمى الصحيفة جانباً. شَعَر شعوراً مريعاً في معدته. ألقى نظرة سريعة على اللافتتين بجانب المرحاضين. كلاهما مُضاءتان "مشغول". أطفأ سيجارته الثالثة منذ الإقلاع، ثم أطفأ ضوء السقف وراح يحدِّق خارج النافذة.

على طول المقصورة، بدأ الأشخاص يطفئون أضواءهم ويُرجعون ظهور مقاعدهم ليناموا. ألقى ويلسون نظرة سريعة على ساعته. الحادية عشرة وثلث. زفرَ نَفَساً مُتعَباً. مثلما توقع، فالحبوب التي أخذها قبل

الصعود إلى الطائرة لم تنفعه أبداً.

وَقَف فجأة عندما خرَجت المرأة من المرحاض، وانتزع حقيبته، وبدأ يسير في الرِواق.

نظامه، مثلما توقع، لم يتعاون معه أبداً. وَقَف ويلسون وهو يئنّ أنين تعب وعدَّل ثيابه. بعد أن غسل يديه ووجهه، أخرج طقم المرحاض من الحقيبة وعصرَ خيط معجون أسنان على فرشاة أسنانه.

بينما كان ينظّف أسنانه، وإحدى يديه متّكئة لدعمه على الحاجز البارد، نظرَ عبر النافذة. على بُعد أمتار كان الأزرق الشاحب للمروحة الداخلية. تخيَّل ويلسون ماذا سيحصل لو طارت من مكانها وأتت نحوه لتقطّعه مثل ساطور ثلاثي الشفرات.

انتابه اكتئاب مفاجئ في معدته. بلَع ويلسون ريقه غريزياً ونزل بعض اللعاب الملطَّخ بمعجون الأسنان في حنجرته. مختنقاً، استدار وبصَق في المغسلة، ثم غسل فمه بسرعة وشرب. يا إلهي، فقط لو كان بمقدوره أن يستقلّ القطار؛ ويحصل على مقصورة خاصة به، ويقوم بنزهة طبيعية إلى عربة النادي؛ ويرتمي على كرسي مريح مع كوب شراب ومجلة. لكن لم يكن هناك هكذا وقت أو حظ في هذا العالم.

كان على وشك أن يضع طقم المرحاض جانباً عندما لمحَ المغلف المشمَّع في الحقيبة. تردَّد، ثم وضع الحقيبة الصغيرة على المغسلة وأخرَجَ المغلف وفتحه على حُضنه.

جلَس يحدِّق في تماثل المسدَّس الملمَّع بالزيت. لا يزال يحمله معه أينما يذهب منذ حوالي سنة الآن. عندما خطرت بباله هذه الفكرة من الأصل، كانت بسبب نقله المال، للحماية من عمليات السطو، للحماية من عصابات المراهقين في المدن التي عليه زيارتها. ومع ذلك،

سفر أم خطر

لطالما عرَف في أعماقه أن كل تلك الأسباب واهية ما عدا واحداً فقط. إنه السبب الذي يفكِّر فيه أكثر كل يوم. كم سيكون سهلاً – هنا، الآن –

أغمض ويلسون عينيه وبلع ريقه بسرعة. لا يزال قادراً على تذوّق طعم معجون الأسنان في فمه، نكهة خفيفة من النعناع على براعمه. جلس بحدّة في القشعريرة الخفّاقة للمرحاض، والمسدس الزيتي يستريح في يديه. إلى أن بدأ يرتعش فجأة وبقوة من دون أي سيطرة على ذلك. اه، دعني أذهب! صرَخ ذهنه فجأة.

"دعني أذهب، *دعني أذهب*". بالكاد تعرَّف على التذمّر في أذنيه.

فجأة، جلَس ويلسون منتصباً. زمَّ شفتيه، وأعاد تغليف المسدَّس ودفعه إلى مغلفه، ووضعه في الحقيبة وأغلقها. وقف وفتَح الباب وخرج من الحمّام، وأسرع في العودة إلى مقعده وجلس، وأعاد حقيبة المبيت إلى مكانها بدقة. ضغط زر مسند الذراع ودفَعَ نفسه إلى الخلف. كان رحل أعمال وهناك أعمال يجب إنجازها في الغد. الأمر بهذه البساطة. الجسم يحتاج إلى نوم، وهو سيعطيه النوم.

بعد عشرين دقيقة، مدَّ ويلسون يده نزولاً ببطء وضغط الزر، واستوى جالساً مع الكرسي، ووجهه قناع قبولٍ مهزوم. لماذا يحاربه؟ فكّر في سرّه. كان واضحاً أنه سيبقى مستيقظاً. وهذا فصل الختام.

كان قد أنهى نصف الكلمات المتقاطعة قبل أن يدع الصحيفة تسقط على حُضنه. كانت عيناه مُتعَبتين جداً. استوى جالساً، وبرَم كتفَيه مطِّطاً عضلات ظهره. ماذا الآن؟ فكَّر في سرّه. لم يرغب أن يقرأ، ولا يمكنه أن ينام. ولا تزال هناك – فحَص ساعته – سبع إلى ثماني ساعات قبل بلوغ لوس أنجلوس. كيف سيُمضيها؟ جال بنظره في

المقصورة ورأى أن الجميع نائم ما عدا راكباً واحداً في الأمام.

غمره حنقٌ ساحقٌ مفاجئٌ وأراد أن يصرخ، أن يرمي شيئاً، أن يضرب أحداً. كزَّ ويلسون على أسنانه بقوة لدرجة أنه أذى حنكه، ودَفَع الستارة جانباً بيد متشنِّجة وراح يحدِّق بنظرات فتّاكة عبر النافذة.

في الخارج، رأى أضواء الجناح تومض بشكل متقطّع، الومضات الشنيعة للعادم من أغطية المحرّك. ها هو، فكَّر في سرّه؛ على ارتفاع ستة آلاف متر فوق الأرض، عالق في صَدَفة موت عاوية، ويطير في الليل القطبي نحو –

ارتعَش ويلسون عندما أضاء البرق السماء، غاسلاً ضوء نهاره الخاطئ على الجناح. بلَع ريقه. هل ستهبّ عاصفةٌ؟ فكرة المطر والرياح العاتية، فكرة الطائرة رقاقة في بحر السماء لم تكن فكرةً لطيفةً. كان ويلسون مسافراً جوياً سيئاً. فالحركة المُفرطة تُمرضه دائماً. ربما كان عليه أن يأخذ بضع حبّات درامامين أخرى من باب الاحتياط. وبالطبع، كان مقعده بجانب باب الطوارئ. فكَّر في أنه سيُفتَح عن غير قصد؛ في أن فرق الضغط سيمتصّه من الطائرة، فيسقط صارِخاً.

طرفت عينا ويلسون وهزَّ رأسه. شَعَر بوخز خفيف في الجهة الخلفية لعنقه عندما اقترب من النافذة وراح يحدِّق في الخارج. جلَس هناك ساكناً، مُحولاً عينيه. يمكنه أن يُقسِم أن –

فجأة، ارتعَشت عضلات معدته بعنف وشَعَر بعينيه تجهدان بالتحديق. هناك شيء يزحف على الجناح.

شَعَر ويلسون بارتعاش مفاجئ مُصيب بالغثيان في معدته. يا للهول، هل زحَف كلبٌ أو قطٌ إلى الطائرة قبل الإقلاع واستطاع البقاء على متنها بطريقة ما؟ كانت فكرة مُقرفة. سيُصاب الحيوان المسكين

الخبل من الرعب. ومع ذلك، كيف يمكنه أن يكتشف أماكن استمسّك بها على السطح الناعم التي تعصف عليه الرياح؟ هذا مستحيل بالتأكيد. ربما، في النهاية، كان مجرد طائر أو -

وَمَض البرق ورأى ويلسون أنه رجلٌ.

لا يمكنه أن يتحرَّك. راح يراقب الطيف الأسود يزحف على الجناح مشدوهاً. *مستحيل*. في مكان ما، مغلفاً بطبقات من الصدمة، سرّح صوتٌ عن نفسه لكن ويلسون لم يسمعه. لم يكن واعياً لشيء سوى للانقباض القوي في قلبه - وللرجل في الخارج.

فجأة، جاءت ردّة فعله مثل دلو ماء مُثلج رُمي عليه؛ فقد هرع ذهنه ليبحث عن شرحٍ يهدئ له أعصابه. لقد أقلع ميكانيكيٌّ، من خلال بصيرةٍ غير معقولةٍ، مع الطائرة وتمكّن من التشبّث بها رغم أن الرياح مزّقت له ملابسه، ورغم أن الهواء رقيقٌ وقريبٌ من درجة التجمّد.

لم يعطِ ويلسون نفسه أي وقت ليفنّد منطقه. فقفز واقفاً وصرَخ "أيتها المضيفة! أيتها المضيفة!" بصوتٍ مجوّفٍ راح يرنّ في المقصورة. ضغط زر مناداتها بإصبع متوتّر.

"أيتها المضيفة!".

أتت تركض في الرِواق، وإمارات القلق بادية على وجهها. عندما رأت النظرة على وجهه، تصلّبت في مسارها.

"هناك رجل في الخارج! رجل!"، صاح ويلسون.

"ماذا؟". انقبضت البشرة على خدّيها، وحول عينيها.

"انظري، *انظري!*". بيد ترتعش، ارتمى ويلسون على مقعده وأشار إلى النافذة. "إنه يزحف على -"

انتهت الكلمات باختناق في حنجرته. لم يكن هناك شيء على

الجناح.

بقي ويلسون يرتعش. لبرهةٍ، وقبل أن يستدير نحو المضيفة، نظَرَ إلى انعكاس صورتها على النافذة. كان هناك تعبير فارغ على وجهها.

استدار أخيراً ورفع نظره إليها. رأى شفتيها الحمراوين تفترقان كما لو أنها تنوي أن تتكلَّم لكنها لم تقل شيئاً، بل اكتفت بإعادة إطباق شفتيها وبلعت ريقها. ارتسمت محاولة ابتسامة على وجهها للحظة.

"آسف"، قال ويلسون. "لا شكّ أنه كان -"

توقَف كما لو أنه قال جملة مكتملة. عبر الرِواق كانت فتاة مراهقة تفغرَ [illegible] عليه بحشرية نعسانة.

تنحنحت المضيفة. "هل يمكنني أن أحضر لك شيئاً؟"، سألت.

"كوب ماء"، قال ويلسون.

استدارت المضيفة وعادت أدراجها في الرِواق.

أخذ ويلسون نَفَساً عميقاً واستدار بعيداً عن نظرات الفتاة الصغيرة الفاحصة. شَعَر نفس الشعور. هذا كان أكثر شيء صدمه. أين كانت الرؤى، الصرخات، الضربات المتكرّرة للقبضات على الصدغَين، اقتلاع الشعر؟

أغمضَ عينيه فجأة. كان هناك رجل، فكَّر في سرّه. كان هناك رجل في الواقع. لهذا السبب شَعَر نفس الشعور. ومع ذلك، لا يُعقَل أن يكون هناك رجل. عرَف ذلك بوضوح.

جلَس ويلسون مُغمضاً عينيه، وتساءل عما كانت جاكلين لتفعل الآن لو كانت جالسة على المقعد بجانبه. هل ستبقى صامتة، مصدومةً أبعد من القدرة على النطق؟ أم ستعتمد أسلوباً مقبولاً أكثر فتبدأ بالابتسام والثرثرة وتتظاهر أنها لم تر؟ ماذا سيظنّ أولاده؟ شَعَر ويلسون

..هقة جافة تهديدية في صدره. يا إلهي -

"هذا كوب الماء، سيدي".

فتح ويلسون عينيه وهو يرتعش بحدّة.

"هل تودّ بطانية؟"، استفسَرت المضيفة.

"لا". هزَّ رأسه. "شكراً"، أضاف وهو يتساءل عن سبب تهذيبه الـ..بير.

"إذا احتجتَ إلى أي شيء، فقط رنّ لي"، قالت.

أومأ ويلسون برأسه.

خلفه، وبينما جلَس وكوب الماء غير الملموس في يده، سمِع الأ..سوات المكتومة للمضيفة وأحد الركاب. امتعض ويلسون. أنزل يده ..اة وأخرَجَ حقيبة المبيت، مع انتباهه ألا يسكب الماء. فك سحّابها، وا..رج عبوة كبسولات النوم وبلعَ حبّتين منها مع الماء. جعَّد الكوب الـ..ارغ، ودفَعه في جيب المقعد الذي أمامه، ثم أغلق الستارة دون أن ..ظر. ها قد انتهت المسألة. هلوسةٌ واحدةٌ لا تجعل المرء مجنوناً.

استدار ويلسون إلى جهته اليمنى وحاوَل أن يتكيَّف مع الحركة المتقطّعة للطائرة. عليه أن ينسى هذه المسألة، هذا هو أهم شيء. لا ..ب أن يُسهِب في التفكير فيها. وجَد ابتسامة ساخرة غير متوقعة ..تسم على شفتيه. حسناً، لا أحد يستطيع أن يتّهمه بهلوسات دنيوية ..لى أي حال. فعندما قام بها، قام بها بشكل بارع جداً. رجلٌ عارٍ ..حف على جناح DC-7 على ارتفاع ستة آلاف متر - إنها خرافة ..ديرة بأنبل مجنون.

تلاشت الفكاهة بسرعة. شعَر ويلسون ببرد قارس. كان واضحاً ..داً، قوياً جداً. كيف يمكن للعينين رؤية شيء غير موجود؟ كيف

يمكن لما كان في ذهنه أن يجعل عملية الرؤية الفعلية تحقّق له هدفه بهذا التمام؟ لم يكن مترنّحاً، مذهولاً - كما أن الرؤيا لم تكن مشوَّهة. كانت حادة بالأبعاد الثلاثية، وجزءاً متكاملاً من أشياء رآها ويعرف أنها حقيقية. هذا هو الجزء المخيف في المسألة. لم تكن أشبه بحلم أبداً. نظَرَ إلى الجناح و-

بتهوّر، سحب ويلسون الستارة جانباً.

لم يعرف، فوراً، إن كان سينجو. بدا كما لو أن كل محتويات صدره ومعدته تنتفخ بشكل رهيب، وتندفع صعوداً إلى حنجرته ورأسه، وتخنق أنفاسه، وتضغط عينيه إلى الخارج. مسجوناً في هذه الكتلة المتورّمة، راح قلبه ينبض بقوة، مهدِّداً بتفجير قفصه الصدري بينما جلَس ويلسون مشلولاً.

على بُعد سنتيمترات فقط، ولا يفصل بينهما سوى سماكة قطعة زجاجٍ، كان الرجل يحدِّق فيه.

كان وجهاً حَقوداً ببشاعة، وجهاً ليس بشرياً. كانت بشرته وسِخة، ذات فظاظة عريضة المسام؛ أنفه كتلة قصيرة ثخينة مُفسدَة ألوانها؛ شفتاه مشوَّهتين، متشقّقتين، متباعدتين بأسنان معقوفة ذات حجم متنافر؛ وعيناه صغيرتين غائرتين - لا تطرفان. كان كل ذلك محاطاً بشعر أشعث متشابك متبرعم، أيضاً، في خصلات مكسوة بفراء من أذنَيِ الرجل، وأنفه، كالعصافير، ملتوٍ نزولاً على خدّيه.

جلَس ويلسون متصدِّعاً على كرسيه، غير قادر على أن يُجيب. فقد توقف الزمن وفَقَد معناه. وتوقّفت الوظيفة والتحليل. كان كل شيء مجمَّداً في جليد الصدمة. فقط نبضات القلب استمرت - لوحدها، قفزاتٌ مضطربةٌ في الظلمة. لم يستطع ويلسون حتى أن يحرِّك

عينيه. أعاد تحديقات المخلوق الخالية من أي تعبير بعينين ثقيلتين وأنفاس محبوسة.

أغمضَ عينيه وذهنه فجأة، وحرَّر نفسه من المنظر. ليس هناك، فكّر في سرّه. كزَّ على أسنانه، والأنفاس تتهدَّج في منخريه. ليس هناك، *ليس هناك بكل بساطة*.

مُمسكاً مسندَي الذراعين بأصابع ابيضَّت مفاصلها، حصَّن ويلسون نفسه. لا يوجد رجل في الخارج، أخبَر نفسه. من المستحيل أن يربض رجل على الجناح وينظر إليه.

فتَح عينيه –

– لينكمش على ظهر المقعد مع شهيق مختنق. لم يكن الرجل لا يزال هناك فحسب، بل وكان يبتسم أيضاً. أدار ويلسون أصابعه إلى الداخل وغرز أظافره في راحتَي يديه إلى أن توهَّج الألم. بقي يضغط بأظافره إلى أن لم يعد لديه أي شك أنه واعٍ كلياً.

ثم، ببطء، وبذراع مرتجِفة وخَدِرة، رفع ويلسون يده إلى الزر الذي يستدعي المضيفة. لن يرتكب نفس الخطأ مرة أخرى – لن يصرخ، لن يثب إلى قدمَيه، ولن يُخيف المخلوق ويدفعه إلى الهرب. واصَلَ مدّ يده إلى أعلى، وسرى الآن ارتعاش إثارة مذعورة في عضلاته لأن الرجل كان يراقبه، وعيناه الصغيرتان تتابعان حركة ذراعه.

ضغَط الزر بعناية مرة، مرتين. تعالي الآن، فكّر في سرّه. تعالي بعينيك الموضوعيتين وشاهدي ماذا أرى – لكن *أسرِعي*.

في مؤخرة المقصورة، سمِع ستارة تُفتَح، وتصلَّب جسمه فجأة. فقد أدار الرجل الوحشي رأسه لينظر في ذلك الاتجاه. حدَّق فيه ويلسون، مشلولاً. أسرِعي، فكَّر في سرّه. بالله عليك، أسرِعي!

انتهى كل شيء في ثانية. فقد عادت عينا الرجل إلى ويلسون، وعلى شفتيه ابتسامة ماكرة شنيعة. ثم قفز واختفى.

"نعم، سيدي؟".

للحظة، عانى ويلسون من كَرْب الجنون بحدّه الأقصى. وبقي نظره يقفز من البقعة التي وَقَف عليها الرجل إلى وجه المضيفة المستجوِب، ثم يعود إلى البقعة من جديد. عاد إلى المضيفة، إلى الجناح، إلى المضيفة، وأنفاسه محبوسة، وعيناه مليئتان بالرعب.

"ما الأمر؟"، سألت المضيفة.

النظرة على وجهها هي التي فعلَت ذلك. فأطبقَ ويلسون مِلزمةً على أحاسيسه. لا يُعقَل أن تصدّقه. أدرَك ذلك فوراً.

"أنا – آسف"، تلعثَم. بلَع ريقه الجاف بحيث سُمع صوت نقرة في حلقه. "لا شيء. أنا – أعتذر".

من الواضح أن المضيفة لم تعرف ماذا تقول. فبقيت متكئة بسبب الانحراف الغريب للطائرة، ويدها ممسكة بظهر المقعد الذي بجانب ويلسون، واليد الأخرى تتحرَّك بترهّل على طول درزات تنورتها. افترقت شفتاها قليلاً كما لو أنها أرادت أن تتكلَّم لكنها لم تستطع إيجاد الكلمات.

"حسناً"، قالت أخيراً وتنحنحت، "إذا احتجتَ – إلى أي شيء".

"نعم، نعم. شكراً. هل نحن – ندخل عاصفةً؟".

ابتسمت المضيفة بسرعة. "واحدة صغيرة فقط"، قالت. "لا شيء يدعو للقلق".

أومأ ويلسون برأسه بحركات صغيرة مرتعشة. ثم، مع انصراف المضيفة، تنفَّس فجأة، واشتعل منخراه. شَعَر بيقين أنها تعتبره مجنوناً

لكنها لم تعرف ماذا تفعل لأن تدريبها لم يتضمن تعليمات عن كيفية التعامل مع الركاب الذين يظنون أنهم رأوا رجالاً قِصار القامة يربضون على الجناح.

يظنّون؟

أدار ويلسون رأسه فجأة ونظر إلى الخارج. راح يحدِّق في حافة الجناح الداكنة، التوهّج المضيء للعوادم، الأضواء الوامضة. لقد *رأى* الرجل - هو متيقّن من ذلك. كيف يمكنه أن يكون مُدركاً بالكامل لكل شيء حوله - أن يكون، بكل الوسائل، عاقلاً ويظل يتخيَّل شيئاً كهذا؟ هل من المنطقي أن الذهن، في إفساحه المجال، يمكنه بدلاً من أن يشوّه كل الواقع، أن يُقحِم منظراً غريباً ضمن ترتيبات التفاصيل التي لا تزال سليمة؟

لا، ليس منطقياً أبداً.

فجأة، تذكَّر ويلسون الحرب، وقصص الصحيفة التي تروي الوجود المزعوم لمخلوقاتٍ في السماء أزعجت طيّاري الحلفاء خلال تأديتهم واجباتهم. تذكَّر أنهم سمّوها عفاريت. هل توجد هكذا كائنات فعلاً؟ هل تتواجد حقاً هنا، ولا تسقط على الأرض أبداً، بل تركب الرياح، وهي على ما يبدو ضخمة وذات وزن، ومع ذلك تقاوم الجاذبية؟

كان يفكِّر عندما ظهر الرجل مرة أخرى.

في لحظة كان الجناح فارغاً. وفي اللحظة التالية، ومع هبوطٍ منحنٍ، قفز الرجل عليه. لا يبدو أن لذلك أي تأثير. فقد حطَّ بخفّة تقريباً، وذراعاه القصيرتان الكثيرتا الشعر ممدودتان كما لو أنه فعل ذلك ليحافظ على توازنه. توتَّر ويلسون. نعم، كانت هناك معرفة في نظراته. الرجل - هل عليه أن يعتبره رجلاً؟ - فهِم بطريقة أو بأخرى أنه خَدَع

ويلسون في مناداة المضيفة عبثاً. شَعَر ويلسون بنفسه يرتعش حذراً. كيف يمكنه أن يبرهن للآخرين وجود رجلٍ؟ راح ينظر حوله بيأس. تلك الفتاة عبر الرِواق. إذا كلَّمها بلطف، أيقظها، ستكون قادرةً على –

لا، سيقفز الرجل مبتعداً قبل أن تتمكن من رؤيته. على الأرجح إلى أعلى هيكل الطائرة حيث لا أحد يستطيع رؤيته، ولا حتى الطيّارين في قُمرة قيادتهم. شَعَر ويلسون بموجة مفاجئة من إدانة الذات لأنه لم يُحضِر تلك الكاميرا التي طلَبها والتر. آه، فكَّر في سرّه، لو أكون قادراً على التقاط صورة للرجل.

انحنى ليقترب من النافذة. ماذا يفعل الرجل؟

فجأة، بدا أن الظلمة ابتعدت مع إضاءة البرق للجناح ورآه ويلسون. مثل ولد فضولي، كان الرجل يقرفص على حافة الجناح، يمطِّط يده اليمنى نحو إحدى المراوح التي تدور بسرعة.

بينما راح ويلسون يراقبه، وهو مروَّع ومفتون، اقترَبت يد الرجل أكثر فأكثر من الدوّامة الضبابية إلى أن ارتعَشت مبتعدةً فجأة وزمَّ الرجل شفتيه في صرخة صامتة. لقد خسِر إصبعاً! فكَّر ويلسون في سرّه باشمئزاز. لكن الرجل عاد ومدَّ يده إلى الأمام مرة أخرى فوراً، والإصبع المشوَّه ممدود، كأنه صورة رضيعٍ شنيع يحاول التقاط شفرة مروحة تدور.

لو لم يكن منظراً بشعاً خارجاً عن المألوف لكان منظراً مضحكاً، لأنك إذا نظرت إليه بموضوعية، سترى أن منظر الرجل كان هزلياً في تلك اللحظة – قزم في قصة خرافية تدبّ فيه الحياة بطريقة أو بأخرى، والرياح تضرب شعر رأسه وجسمه، وكل انتباهه منصبّ على دوران المروحة. كيف يمكن أن يكون هذا جنوناً؟ فكَّر ويلسون في سرّه فجأة. أي بوح ذاتي يمكن أن يمنحه هذا الرعب الصغير الهزلي؟

بقي الرجل يمدّ يده مراراً وتكراراً، تحت أنظار ويلسون. وبقي يُبعِد أصابعه إلى الخلف مراراً وتكراراً، ويضعها أحياناً، في الواقع، في فمه كما لو أن يريد تبريدها. ودائماً، كما لو أنه يتأكد، بقي يلقي نظرة سريعة فوق كتفه إلى ويلسون. إنه يعرف، فكّر ويلسون في سرّه. يعرف أن هذه لعبة بيننا. إذا تمكّنتُ من إحضار شخص آخر ليراه، سيخسر. وإذا بقيتُ الشاهد الوحيد، سيفوز. زال الآن الإحساس باللهو الخفيف. كزَّ ويلسون على أسنانه. لماذا لم يره الطيّارون اللعينون!

كان الرجل الآن، وبعدما لم يعد مهتماً بالمروحة، يسوِّي نفسه على غطاء المحرّك مثل رجل يحاول امتطاء حصان مطروح أرضاً. حدَّق فيه ويلسون. فجأة ملأت رجفةٌ كل ظهره. كان الرجل الصغير يرفع الصفائح التي تغطي المحرّك، محاولاً إدخال أظافره تحتها.

رفع ويلسون يده غريزياً وضغط زر مناداة المضيفة. في مؤخرة المقصورة، سمِعها قادمة وفكّر، لثانيةٍ، أنه خدع الرجل، الذي بدا منشغلاً بجهوده. لكن في اللحظة الأخيرة، وقبل وصول المضيفة، ألقى الرجل نظرة سريعة نحو ويلسون. ثم طار في الجو مثل دمية متحرِّكة ارتعَشت صعوداً عن المسرح بفضل أسلاكها.

"نعم؟"، نظَرَت إليه بقلق.

"هلاّ - جلستِ، رجاءً؟"، سأل.

تردَّدت. "لكنني -"

"رجاءً".

جلَست بحذر شديد على المقعد الذي بجانبه.

"ما الأمر يا سيد ويلسون؟"، سألت.

حصَّن نفسه.

"ذاك الرجل لا يزال في الخارج"، قال.

حدّقت فيه المضيفة.

"سبب إخبارك هذا"، أكمل ويلسون بسرعة، "هو أنه بدأ يعبث بأحد المحرّكات".

أدارت عينيها غريزياً نحو النافذة.

"لا، لا، لا تنظري"، قال لها. "ليس هناك الآن". تنحنح. "إنه – يقفز مبتعداً كلما أتيتِ إلى هنا".

تملّكه غثيان مفاجئ عندما أدرَك ماذا تقول عنه في سرّها. عندما أدرَك ماذا كان هو نفسه سيقول في سرّه إذا أخبَره شخصٌ هكذا قصة، بدا أن دوخة أصابته وفكَّر في سرّه – إنني أُصاب *بالجنون*!

"قصدي هو التالي"، قال طارداً الفكرة من رأسه. "إذا كنتُ لا أتخيَّل هذا الشيء، فالطائرة في خطر".

"نعم"، قالت.

"أعرف"، قال. "تعتقدين أنني فقدتُ عقلي".

"بالطبع لا"، قالت.

"كل ما أطلبه هو"، قال مكافِحاً الغضب الذي بدأ يتملّكه. "أخبري الطيّارين ماذا قلتُ للتو. اطلبي منهم مراقبة الأجنحة. إذا لم يروا شيئاً – لا بأس. لكن إذا رأوا –"

بقيت المضيفة جالسةً هناك بهدوء، تنظر إليه. تكوَّرت يدا ويلسون في قبضتين راحتا ترتعشان في حُضنه.

"*ماذا؟*"، سأل.

نهضت عن مقعدها. "سأُخبِرهم"، قالت.

انصرفت في الرِواق بحركةٍ كانت، بالنسبة لويلسون، مصطنعة

بشكل سيئ – سريعة جداً لتكون عادية، لكنها مكبوتة بوضوح كما لو أنها تريد طمأنته أنها لا تهرب. شعَر بمعدته تنقبض عندما نظر إلى الجناح مرة أخرى.

ظهر الرجل مرة أخرى فجأة، وحطَّ على الجناح مثل راقص باليه بشع. راقَبه ويلسون يشرع في العمل مرة أخرى، مفرشخاً رِجليه العاريتين البدينتين فوق غطاء المحرّك ومحاولاً رفع الصفائح.

حسناً، لماذا يكترث بما يفعل الرجل؟ فكَّر ويلسون في سرّه. لا يستطيع ذلك المخلوق البائس تحريك البراشيم بأظافره. في الواقع، لا يهمّ إذا رآه الطيّارون أم لا – على الأقل بما يخصّ سلامة الطائرة. أما بالنسبة لأسبابه الشخصية –

في تلك اللحظة رفعَ الرجل حافة إحدى الصفائح.

لَهَث ويلسون. "هنا، بسرعة!"، صرَخ، ملاحظاً أن المضيفة والطيّار قادمان نحوه عبر باب قُمرة القيادة.

ارتفعت عينا الطيّار لتنظرا إلى ويلسون، ثم فجأة، بدأ يندفع متجاوزاً المضيفة ومتطوّحاً في الرِواق.

"أسرِع!"، صاح ويلسون. ثم ألقى نظرة سريعة خارج النافذة في الوقت المناسب ليرى الرجل يقفز صعوداً. هذا لا يهمّ الآن. سيكون هناك دليل.

"ماذا يجري؟"، سأل الطيّار وهو يتوقف بتلهّف بجانب مقعده.

"لقد مزّق إحدى صفائح المحرّك!"، قال ويلسون بصوتٍ مرتعشٍ.

"ماذا فعل؟".

"الرجل في الخارج!"، قال ويلسون. "لقد أُخبرتُك أنه – !"

"سيد ويلسون، أخفِض صوتك!"، أمرَ الطيّار. ارتخى فك

ويلسون.

"لا أعرف ماذا يجري هنا"، قال الطيّار، "لكن –"

"هلاّ نظرتَ؟!"، صرخ ويلسون.

"سيد ويلسون، إنني أحذِّرك".

"بالله عليك!"، بلَع ويلسون ريقه بسرعة، محاولاً قَمع الغضب العارم الذي شَعَر به. ضغط نفسه على مقعده فجأة وأشار إلى النافذة بيد مشلولة. "هلاّ *نظرتَ*، بالله عليك؟"، سأل.

آخذاً نَفَساً مرتبكاً، انحنى الطيّار. بعد لحظة، انتقلت نظراته إلى ويلسون ببرودة. "ماذا؟"، سأل.

ارتعَش رأس ويلسون. كانت الصفائح في موضعها الطبيعي.

"آه، مهلاً لحظة"، قال قبل أن يتمكن الرعب من معاودته. "لقد رأيتُه يخلع تلك الصفيحة".

"سيد ويلسون، إذا لم –"

"*قلتُ إنني رأيتُه يخلعها*"، قال ويلسون.

وَقَف الطيّار هناك ينظر إليه بنفس الطريقة المذعورة تقريباً التي نظرت إليه بها المضيفة. ارتجَف ويلسون بعنف.

"اسمعني، لقد *رأيتُه*!"، صاح. روَّعه الانكسار المفاجئ في صوته.

في ثانية، كان الطيّار جالساً بجانبه. "سيد ويلسون، رجاءً"، قال. "حسناً، لقد رأيته. لكن تذكَّر أن هناك أشخاصاً آخرين على متن الطائرة. لا يجب أن نُرعبهم".

كان ويلسون متزعزعاً جداً ليفهم في البدء.

"أنت – تقصد أنك رأيتَه لحظتها؟"، سأل.

"بالطبع"، قال الطيّار، "لكننا لا نريد أن نخيف الركاب. أنت

..هم ذلك".

"بالطبع، بالطبع، لا أريد أن –"

شعَر ويلسون بتشنج في فخذه وأسفل معدته. زمَّ شفتيه فجأة ونظر إلى الطيّار بعينين حاقدتين.

"أفهم"، قال.

"ما يجب أن نتذكّره –"، بدأ الطيّار.

"يمكننا التوقف الآن"، قال ويلسون.

"سيدي؟".

ارتجَف ويلسون. "اخرج من هنا"، قال.

"سيد ويلسون، ما –؟"

"*هلاّ توقفتَ؟*". بوجهٍ أبيض، استدار ويلسون عن الطيّار وراح ..دّق في الجناح بعينين مثل الصخر.

ثم حملَق فيه فجأة.

"اطمئن أنني لن أقول كلمة أخرى!"، قال بحدّة.

"سيد ويلسون، حاول أن تفهم –"

استدار ويلسون بنظره وراح يحدِّق في المحرّك بحقد. من زاوية بصره، رأى راكبَين يقفان في الرِواق ينظران إليه. *حمقى!* تفجَّر ذهنه. شعَر ب..داية ارتعاش في يديه، وقلِق لثوانٍ قليلةٍ من أنه سيتقيأ. إنها الحركة، أخبر نفسه. كانت الطائرة تهتزّ في الجو الآن مثل زورق في عاصفة.

أدرَك أن الطيّار لا يزال يكلّمه، فأعاد تركيز بصره ونظَرَ إلى انعكاس صورة الرجل على النافذة. بجانبه، كئيبة بصمت، وَقَفت المضيفة. أحمقان أعميان، كلاهما، فكَّر ويلسون في سرّه. لم يحدِّد ملاحظته انصرافهما. منعكسةً صورتهما على النافذة، رآهما يتوجّهان

نحو مؤخرة المقصورة. سيتناقشان بشأني الآن، فكَّر في سرّه. يضعان خططاً في حال أصبحتُ عنيفاً.

تمنّى الآن لو يعاود الرجل الظهور، يخلع صفيحة الغطاء ويخرّب المحرّك. أعطاه ذلك إحساساً بمتعة انتقامية لأنه الوحيد الذي وَقَف بين النكبة وأكثر من ثلاثين شخصاً على متن الطائرة. فلو اختار، يمكنه ترك تلك النكبة تحدث. ابتسم ويلسون من دون فكاهة. سيكون هناك انتحار مَلَكي، فكَّر في سرّه.

انخفض الرجل الصغير مرة أخرى ورأى ويلسون أن ما فكَّر فيه كان صحيحاً – فقد أعاد الرجل ضغط الصفيحة إلى مكانها قبل أن يقفز مبتعداً. وعاد يخلعها مرة أخرى الآن وكانت ترتفع بسهولة، تتقشَّر مثل بشرة يستأصلها جرّاح شنيع. كانت حركة الجناح متقطّعة جداً لكن بدا أن الرجل لا يجد أي صعوبة في المحافظة على توازنه.

شَعَر ويلسون بالذعر مرة أخرى. ماذا عليه أن يفعل؟ لا أحد يصدِّقه. إذا حاوَل إقناعهم مرة أخرى، سيقيِّدونه بالقوة على الأرجح. وإذا طلبَ من المضيفة أن تجلس بجانبه فإن ذلك سيكون، في أفضل الأحوال، مجرد إرجاءٍ وجيز جداً. فلحظة مغادرتها أو نومها وهي تنتظر، سيعود الرجل. حتى ولو بقيت مستيقظة بجانبه، ما الذي سيمنع الرجل من العبث بالمحرّكات التي على الجناح الآخر؟ ارتجَف ويلسون، وسرت برودة رعب في عظامه.

يا إلهي، لم يكن هناك مجال لفعل أي شيء.

ارتعَش بينما مرَّ انعكاس صورة الطيّار على النافذة التي راقَب منها الرجل الصغير. كاد جنون اللحظة يحطّمه – الرجل والطيّار على بُعد أمتار عن بعضهما البعض، كلاهما مرئيان له ومع ذلك لا يُدركان وجود

بعضهما البعض. لا، هذا خطأ. ألقى الرجل الصغير نظرة سريعة على الطيّار وهو يمرّ. كما لو أنه عرَف أنه لم يعد هناك داعٍ ليقفز مبتعداً، أن قدرة ويلسون على التدخّل انتهت. ارتعَش ويلسونً فجأة بغضب خارق للذهن. سأقتلك! فكّر في سرّه! أيها الحيوان الصغير القذر، *سأقتلك!*

في الخارج، تلعثَم المحرّك.

دام ذلك لثانية فقط، لكن بدا لويلسون في تلك الثانية كما لو أن قلبه توقف أيضاً. ضغَط وجهه على النافذة، وراح يحدِّق. لقد لوى الرجل صفيحة الغطاء إلى الخلف كثيراً وكان الآن على رُكبتَيه، يُقحِم يداً فضوليةً في المحرّك.

"لا"، سمِع ويلسون تذمُّر صوته يتوسّل. "*لا*..."

فشل المحرّك مرة أخرى. نظرَ ويلسون حوله مرتعباً. هل الجميع صُمّ؟ رفع يده ليضغط زر مناداة المضيفة، ثم أعاد إخفاضها بسرعة. لا، سيسجنونه، يقيِّدونه بطريقة أو بأخرى. وكان الوحيد الذي يعرف ماذا يجري، الوحيد الذي يستطيع المساعدة.

"يا إلهي..."، عضَّ ويلسون شفته السفلى إلى أن جعَله الألم يئنّ. استدار مرة أخرى واهتزّ. كانت المضيفة تُسرِع في الرِواق المهتزّ. لقد سمِعته! راقَبها بثبات ورآها ترمقه بينما مرَّت بجانب مقعده.

توقَفت بعيداً عنه مسافة ثلاثة مقاعد في الرِواق. شخصٌ آخر سمع! راقَب ويلسون المضيفة تميل، تتكلّم مع الراكب غير المرئي. في الخارج، سعَلَ المحرّك مرة أخرى. جال ويلسون بنظره حوله ونظر إلى الخارج بعينين مرتعبتين.

"*اللعنة عليك!*"، انتحَب.

استدار مرة أخرى ورأى المضيفة تعود في الرِواق. لم تبدُ قلقة. حدَّق فيها ويلسون بعينين غير مصدِّقتين. هذا غير ممكن. فتَل جسمه ليتابع حركة تمايلها ورآها تدخل المطبخ.

"لا". كان ويلسون يهتزّ بعنف لدرجة أنه لم يستطع أن يتوقف. لم يسمع أحدٌ.

لا أحد عرَف.

انحنى ويلسون فجأة وأخرَج حقيبة مبيته من تحت المقعد. فتح سحّابها، وأخرَج المغلف المشمَّع ورمى الحقيبة على السجادة. من طرف عينيه، رأى المضيفة تعود ودفَعَ الحقيبة تحت المقعد بحذائه، وخبأ المغلف المشمَّع بجانبه. جلَس هناك جامداً، والأنفاس تتهدَّج في صدره، أثناء مرورها.

ثم سحَب المغلف إلى حُضنه وفتحه. كانت حركاته محمومة لدرجة أنه كاد يُسقِط المسدَّس. أمسكه بفوهته، ثم تمسّك بمقبضه بأصابع مفاصلها بيضاء وضغط زر الأمان. ألقى نظرة سريعة على الخارج وشَعَر بالبرد يملأ جسمه.

كان الرجل ينظر إليه.

زمَّ ويلسون شفتيه المرتعشتين. من المستحيل أن يعرف الرجل ماذا كان ينوي أن يفعل. بلَع ريقه وحاوَل تمالك أعصابه. نقل نظراته إلى حيث كانت المضيفة تسلِّم بعض الحبوب إلى الراكب الذي في الأمام، ثم عاد والتفَت إلى الجناح. كان الرجل يستدير إلى المحرّك مرة أخرى، يُقحِم يده فيه. اشتدّت قبضة ويلسون على المسدَّس. بدأ يرفعه.

أخفَضه فجأة. النافذة سميكة جداً، والرصاصة قد تنحرِف وتقتل أحد الركاب. ارتجَف وحدَّق في الرجل الصغير. فشل المحرّك مرة أخرى

رأى ويلسون ثورة شرارات تُلقي ضوءاً على ملامح الرجل الحيوانية. سمّن نفسه. كان هناك جواب واحد فقط.

أخفَض نظره إلى مقبض باب الطوارئ. هناك غطاء شفاف فوقه. ره ويلسون ورماه أرضاً. نظر إلى الخارج. لا يزال الرجل هناك، يربض يستطلع المحرّك بيده. أخذ ويلسون نَفَساً مرتعشاً. وَضَع يده اليسرى على مقبض الباب واختبره. لن يتحرَّك نزولاً. وصعوداً هناك ارتخاءٌ.

أفلته ويلسون فجأة ووضع المسدَّس في حُضنه. لا وقت للجدال، أ.بر نفسه. بيدين ترتعشان، شدَّ الحزام على فخذَيه. عندما يُفتَح الباب، سيندفع الهواء بقوة إلى الخارج. ومن أجل سلامة الطائرة، لا يجب أن يذهب معه.

الآن. أمسك ويلسون المسدَّس مرة أخرى، وقلبه ينبض بقوة. عليه أن يكون مفاجئاً، دقيقاً. فإذا لم يُصبه، قد يقفز الرجل إلى الجناح الاخر - أو أسوأ، إلى الذيل حيث سيكون بمأمن منه، ويمزِّق الأسلاك، يشوّه الرفاريف، يُفسِد توازن الطائرة. لا، هذه هي الطريقة الوحيدة. سيُطلق النار على علو منخفض ويحاول إصابة الرجل في صدره أو معدته. ملأ ويلسون رئتيه بالهواء. الآن، فكَّر في سرّه. *الآن*.

أتت المضيفة عبر الرِواق بينما بدأ ويلسون يسحب المقبض. جمُدت في مكانها للحظة، غير قادرة على النطق. واعترت ملامحها نظرة رعب مشدوه ورفعت يدها كما لو أنها تناشده. ثم، فجأة، كان صوتها يلعلع بقوة فوق ضجة المحرّكات.

"*سيد ويلسون، لا!*".

"تراجعي!"، صاح ويلسون وسحب المقبض إلى أعلى.

بدا الباب كأنه اختفى. في لحظة كان هناك، في قبضته. وفي

اللحظة التالية، اختفى مع هديرٍ صاخبٍ.

في اللحظة ذاتها، شَعَر ويلسون بنفسه مغلّفاً بامتصاصٍ شنيعٍ يحاول أن ينزعه عن مقعده. غادر رأسه وكتفاه المقصورة وأصبح فجأة يتنفس هواءً رقيقاً قارس البرودة. للحظة، كادت طبلتا أذنَيه تنفجران من رعد المحرّكات، وعيناه أعمتهما رياح القطب الشمالي، ونسي أمر الرجل. بدا أنه سمِع صراخاً في الدوّامة التي أحاطت به، صراخاً بعيداً.

ثم رأى ويلسون الرجل.

كان يسير على الجناح، وشكله المشوّه يميل إلى الأمام، ويداه الملتويتان ممدودتين في لهفةٍ. قذَف ويلسون ذراعه عالياً، وأطلق النار. كان الانفجار مثل فرقعةٍ في العنف الهادر للهواء. ترنّح الرجل واندفع فجأة، وشعَر ويلسون بألم في رأسه. أطلق النار مرة أخرى بشكل مباشر ورأى الرجل يتخبّط إلى الوراء - ثم اختفى فجأة كأنه دمية ورقية في مهبّ عاصفة. شعَر ويلسون بتخدير قوي في دماغه. شعَر بالمسدّس يُنتزع من أصابع ضعيفة.

ثم ضاع كل شيء في ظلمة الشتاء.

تحرَّك وتمتم. كان هناك دفء في أوردته، وشعَر بأطرافه متخشّبة. في الظلمة، استطاع سماع صوت أقدام، دوّامة مُرهَفة من الأصوات. كان مستلقٍ، وجهه إلى أعلى، على شيء - يتحرَّك، يهتزّ. رياح باردة لفحت وجهه، وشعَر بالسطح يميل تحته.

تنهّد. لقد حطّت الطائرة وكان يُنقَل على نقّالة. جرح رأسه، على الأرجح، زائد حقنةٍ لتهدئته.

سفر أم خطر

"أغرب طريقة للانتحار سمِعتُها في حياتي"، قال صوتٌ في مكان
ما.

شَعَر ويلسون بمتعة اللهو. أياً يكن المتكلِّم فقد كان مخطئاً،
بالطبع. مثلما تبيَّن قريباً كفاية عندما فُحص المحرّك وتفحَّصوا جرحه عن
كثب. أدركوا عندها أنه أنقذهم كلهم.

نام ويلسون من دون أحلام.

الآلة الطائرة

أمبروز بِيرس

رغم أن بِيرس عاش حتى عصر الطيران (مات في العام 1914)، إلا أن المرء يشكّ إن كان طار فعلاً. المقال الوصفيّ المقتضَب الذي يلي يتكلَّم أقل عن الطائرات مما يتكلَّم عن سذاجة الناس المستعدين أن يستثمروا فيها، ويساعد بالطبع على شرح لقبه، بِيرس "الساخر". ملاحظة بِيرس الظريفة المفضَّلة لديَّ: "الحرب هي الطريقة التي اختارتها السماوات لتعليم الأميركيين الجغرافيا".

رجل مُبدِع بنى آلة طائرة ودعا حشداً كبيراً من الناس ليشاهدوها ترتفع. في اللحظة المحدَّدة، وبعد تجهيز كل شيء، ركب السيارة وأدار المحرّك. اخترَقت الآلة فوراً البنية الضخمة التي كانت مبنية عليها، وغرِقت في الأرض بعيداً عن الأنظار، وبالكاد تمكّن الملاّح الجوي من إنقاذ نفسه في الوقت المناسب.

"حسناً"، قال الرجل، "لقد قمتُ بما يكفي لأوضِّح صواب تفاصيلي. العيوب"، أضاف بنظرة إلى قِطع الطوب المتُلَفة، "مجرد أشياء بديهية وأساسية فقط".

بناءً على هذه الضمانة، قدَّم الناس اشتراكات لبناء آلة ثانية.

لوسيفر!

إ.ت. تَبّ

إليك حقيقة السفر الجوي: بعدما تُقلع الطائرة، ستبقى فيها طوال مدة الرحلة. يجمع تَبّ هذه الحقيقة البسيطة غير القابلة للجدل بمفهوم أصلي جداً - وشرير - عن السفر عبر الزمن. وقول المزيد سيُفسِد هذه القصة البغيضة المخيفة الفريدة من نوعها. كان إدوين تشارلز تَبّ أحد أكثر كتّاب الخيال العلمي المُثمرين في بريطانيا العُظمى. في مهنة امتَدّت لستين سنة تقريباً، كَتَب 150 رواية على الأقل وأكثر من عشر مجموعات قصص قصيرة. حرَّر مجلة Authentic Science Fiction [الخيال العلمي الأصلي] في العامين 1956-1957، وتحت أسماء مستعارة متنوعة، كَتَب معظم القصص بنفسه (بما في ذلك عمود نقد الكتب). "لوسيفر!" هي إحدى أفضل قصصه، وقد نالت جائزة أفضل قصة قصيرة في أول مؤتمر Eurocon في العام 1972.

كانت جهازاً ذا فائدة اجتماعية كبيرة والجميع يستخدمونها. المقصود بالجميع، في هذه الحالة، "الناس المميّزين" الذين كانوا كلهم أغنياء، فاتنين، وناجحين اجتماعياً. أولئك الذين أتوا لدراسة ثقافة بدائية مضحكة وأولئك الذين فضّلوا، لأسباب شخصية، البقاء في عالمٍ يمكنهم أن يكونوا فيه سمكةً كبيرةً جداً في بحرٍ صغيرٍ جداً.

الناس المميّزون، هواة "المجموعة بين المجرّات"، المحميون والمدلّلون بعلومهم، يلعبون ألعابهم مع السكان الأصليين المحليين وينتبهون دائماً ليحافظوا على سرية هوياتهم. لكن الحوادث أمور تحصل حتى للإنسان

الخارق. أشياء غبية مستحيلة إحصائياً، بسبب قلّة احتمال حصولها.

مثل سلك فولاذي ينقطع عندما تتدلّى الخزنة التي يحملها ستة أمتار فوق الأرض. تسقط الخزنة، فتحطِّم الرصيف لكنها لا تُحدث أي أضرار أخرى. والسلك، الذي تحرَّر فجأة من الجهد، يقفز مثل سوطٍ، ويرتعش طرفه في حركة عشوائية من المستحيل توقّعها. احتمالات عدم ارتطامه بأي مكان معيّن كبيرة إلى حدود فلكية. واحتمالات عدم وجود أحد الناس المميّزين في تلك البقعة بالذات وفي تلك اللحظة بالذات مرتفعة لدرجة أنها تُبطل الاحتمال العادي. لكنه حصَل. ارتطم الطرف المُنهَك للسلك بجمجمةٍ، فمزَّق العظم والدماغ والنسيج في فوضى شريرة. أرسلت آليةٌ مزروعةٌ جراحياً نداء استغاثة. وتلقى أصدقاء الرجل إشارتها. حصل فرانك وسْتون على الجثة.

فرانك وسْتون، مفارقة تاريخية. في عصرٍ حديثٍ لا يجب أن يضطر أي رجل إلى جرّ قدم مفتولة طوال 28 سنة من حياته. خاصة عندما يملك وجهاً بريئاً لعصر النهضة. لكن إذا بدا وجهه بريئاً، فهو بريءٌ ساقطٌ. لا يمكن أن يتألم الميت لكن أنسباءه يتألمون. أخبِر أباً انتحارياً أن إبنته الميتة كانت حاملاً. أخبِر أماً شغوفةً أن قُرَّة عينها كان مريضاً جداً. لم يتكبَّدوا عناء التحقّق، ولماذا عليهم فعل ذلك؟ وحتى لو تحقّقوا، ماذا كان ليختلف؟ أي شخص يستطيع أن يرتكب خطأً وكان ناطور مشرحة وليس طبيباً.

فحَص الواصل الجديد بغير انفعال. لقد قام السلك بعمل جيد في إتلاف الوجه - كانت الهوية البصرية مستحيلة. والدم أتلَف البذلة لكن بقي ما يكفي منها لإظهار أن مُرتديها اشترى مادة باهظة الثمن. احتوت المحفظة على أوراق نقدية قليلة لكن الكثير من بطاقات

الإئتمان. وكانت هناك بعض الفكّة، علبة سجائر، ولاّعة سجائر، مفاتيح، ساعة مِعصَم، دبوس ربطة عنق... راحت تُحدِث خشخشة خافتة بينما وضعها فرانك في مغلف. ثم توقف عندما رأى الخاتم.

أحياناً، في وظيفته، بإمكان رجل عديم الضمير أن يجني القليل على الهامش. لم يكن لدى فرانك أي ورع، فقط حذر دفاعي. كان من الممكن أن يضيع الخاتم قبل وصول الجثة المتيبّسة إلى عهدته. لكن الدم متخثرٌ على اليد وربما لم يلاحظه أحد. وحتى لو لاحظوه، ستكون كلمته مقابل كلمتهم. إذا استطاع إخراجه من الإصبع، وغسل اليد من الدم، وتخبئته والتصرّف ببراءة، فسيصبح الخاتم ملكه. وسيُخرجه من الإصبع حتى لو اضطر إلى تحطيم اليد. الحوادث تُحدِث أحياناً إصابات غريبة.

وَصَلا بعد ساعة للمطالبة بالجثة. رجلان هادئان، يرتديان ملابس أنيقة. كان الرجل الميت شريكهما التجاري. أعطوه إسمه وعنوانه، وأوصاف البذلة التي كان يرتديها، ومعلومات أخرى. لم يكن هناك شكّ بوقوع جريمة ولا يوجد أي سبب للتحفّظ على الجثة.

نظر أحدهما بحدّة إلى فرانك. "هل هذا كل ما كان معه؟".

"صحيح"، قال فرانك. "هذا كل شيء. وقِّع هنا وسيصبح لك".

"لحظة واحدة". نظَرَ الرجلان إلى بعضهما البعض ثم استدار الرجل الذي كان قد تكلَّم نحو فرانك. "كان صديقنا يرتدي خاتماً. كان يشبه هذا". مدَّ يده. "للخاتم حجر وحزام عريض. هل يمكننا الحصول عليه من فضلك؟".

كان فرانك عنيداً. "ليس معي. لم أره حتى. لم يكن يرتديه عندما جاء إلى هنا".

المؤتمر الصامت مرة أخرى. "ليس للخاتم أي قيمة جوهرية بل قيمة عاطفية. أنا مستعد أن أدفع مئة دولار ثمناً له ولن تُطرَح أي أسئلة".

"لماذا تُخبِرني هذا؟"، قال فرانك ببرودة. شعَر في داخله بالدفء المتزايد الذي ينبع من المتعة السادية. كيف لم يعرف، لكنه كان يؤذي هذا الرجل. "هل ستوقِّع أم ماذا؟"، أدار السكين. "إذا كنتَ تعتقد أنني سرَقتُ شيئاً، اتصل بالشرطة. في كلا الحالتين، اخرج من هنا".

فحَص ما سرقه خلال ساعة استراحته. جلس محدَّباً في زاويته الاعتيادية في المقصف، محجوباً بصحيفة، وقد بدا للآخرين الذين في المكان مجرد جزء آخر من الأثاث. راح يدير الخاتم ببطء. كان الحزام سميكاً وعريضاً، مرفوعاً في جهةٍ، نتوءاً يمكن تسطيحه بضغطه بإصبع. كان الحجر مسطَّحاً، باهتاً، على الأرجح عيّنة حجر شبه كريم مصقول بشكل سيئ. من الممكن أن يكون المعدن خليطاً مطلياً. إذا كان كذلك فإن مئة دولار تستطيع شراء دزينة مثله.

لكن - هل رجل يرتدي ملابس فخمة مثل الرجل المتيبّس سيضع هكذا خاتم؟

كانت الجثة تعبق بالمال. فعلبة السجائر والولاّعة مصنوعتان من بلاتين مرصَّع بالجواهر - خطيرتان جداً ليفكِّر بسرقتهما. وبإمكان بطاقات الإئتمان أخذه في جولة حول العالم في الدرجة الأولى طوال الطريق. فهل رجل مثله سيرتدي خاتماً رديئاً ثمنه مئة دولار؟

راح يحدِّق في المقصف بشكل خالٍ من أي تعبير. على الطاولة المواجهة لطاولته جلس ثلاثة رجال يشربون القهوة. استوى أحدهم،

سفر أم خطر

نهض، تمطَّط، وتوجَّه نحو الباب.

أخفض فرانك المتجهِّم عينيه إلى الخاتم. هل تخلّى عن مئة دولار ثمن لخردةٍ؟ لمس ظفره النتوء. غرِق قليلاً فلم يستطع أن يقاوم الرغبة وضغطه إلى الحد الأقصى.

لم يحصل شيء.

لا شيء سوى حقيقة أن الرجل الذي كان قد نهض عن الطاولة المواجهة له والذي سار نحو الباب عاد جالساً إلى الطاولة فجأة. بينما كان فرانك يراقبه، نهض، تمطَّط، وسار نحو الباب. ضغَط فرانك الحجر. لم يحصل شيء.

حرفياً لا شيء.

عبس وحاوَل مرة أخرى. عاد الرجل جالساً إلى طاولته فجأة. نهض، تمطَّط، وتوجَّه نحو الباب. ضغَط فرانك الحجر باستمرار وراح يعدّ. سبع وخمسون ثانية وفجأة عاد الرجل جالساً إلى طاولته مرة أخرى. نهض، تمطَّط، وتوجَّه نحو الباب. هذه المرة، تركه فرانك يذهب.

عرَف الآن ماذا كان معه.

مال إلى الوراء وكله دهشةً. لم يكن يعرف شيئاً عن الناس المميّزين سوى أنهم أنجبوا علماء، ورغم أنه ساديّ، إلا أن فرانك لم يكن مغفَّلاً. سيرغب الرجل بالاحتفاظ بشيء كهذا لنفسه. سيحتاجه أن يكون بمتناول يده طوال الوقت. يجب أن يكون في شكلٍ يمكّنه من استخدامه بسرعة. لذا هل هناك أفضل من خاتمٍ؟ صغير الحجم. للزينة. أبدي على الأرجح.

آلة زمن أحادية الاتجاه.

الحظ، التركيبة المثمرة للظروف المؤاتية، لكن مَن يحتاج إلى الحظ عندما يعرف ماذا سيجري قبل أن يجري بسبع وخمسين ثانية؟ لنقل دقيقة. ليس وقتاً طويلاً؟

حاول حبْس أنفاسك لدقيقة كاملة. حاول أن تضع يدك على موقد حار جداً لنصف دقيقة حتى. في دقيقة يمكنك أن تسير مئة متر، تركض أربعمئة متر، تسقط ثلاث مرات. يمكنك أن تحبل، تموت، تتزوَّج. سبع وخمسون ثانية كافية للقيام بأشياء كثيرة.

لتنقلب بطاقة لعب، لتستقر كُرة، ليتشقلب نردان. كان فرانك فائزاً مؤكَّد النجاح وفي أكثر من طريقة واحدة.

تمطَّط، استمتع بالدُش، بتأثير الماء الساخن النازل بضغطٍ عالٍ. أدار مقبضاً ولهث مع تحوّل الماء إلى جليد وإحداثه بثور قشعريرة على بشرته. الحمّام البارد في الشتاء هو مشقّة عندما لا يكون لديك خيار آخر، وتأنُّق لطيف عندما يكون لديك. أعاد المقبض إلى وضعية الساخن، انتظَر، ثم أوقف تدفّق الماء وخرج من الدُش وهو يجفّف نفسه على منشفة زغِبة.

"فرانك، حبيبي، هل ستتأخر أكثر؟".

صوت أنثى باللكنة المميزة للفئات العليا الداخلية الاستيلاد؛ عضو في طبقة الأرستقراطيين بالزواج والولادة. كانت السيدة جاين سميث-كونورز غنية، فضولية، ضجِرة، وقليلة الصبر.

"لحظة، حبيبتي"، أجابها ورمى المنشفة. أخفَض النظر إلى نفسه مبتسماً. لقد اهتَم المال بالقدم المفتولة. اهتَم المال بأشياء أخرى كثيرة، ملابسه، لكنته، تهذيب أذواقه. كان لا يزال بريئاً ساقطاً لكن كان هناك ضوء مذهَّب جديد على جناحيه المتكسّرين.

سفر أم خطر

"فرانك، حبيبي!".

"قادم!". انقبض حنكه إلى أن أصبحت عضلاته تؤلِمه. السافلة الأرستقراطية المتعجرفة! لقد انخدعت بوجهه وسُمعته وستدفع ثمن مشريتها. لكن بإمكان ذلك أن ينتظر. أولاً يجب على العنكبوت أن يجعل الذبابة تطير وتعلق بشبكته.

رداء حريري ليستر عريه. فراشٍ ليرتّب شعره. رذاذ ليغطي رائحة فمه الكريهة. كان الفحل جاهزاً تقريباً للعمل.

للحمّام نافذة. فتح الستارة ونظَرَ إلى الليل. تحت بمسافة طويلة مجموعة أضواء غطّت الأرض الضبابية كسجادة. لندن مدينة لطيفة، وإنكلترا مكان لطيف. لطيف جداً، خاصة للمُراهِنين - لا يدفعون أي ضريبة على الأرباح. وهنا، أكثر من أي مكان آخر، توجد جوائز كبيرة ليفوز بها المرء. ليس سيولة نقدية فقط، فهذه لعامة الشعب، بل بناء العلاقات الصحيحة وسيصبح كل يوم بمثابة احتفال الشتاء.

لندن. مدينة يعتبرها الناس المميّزون ذات مقام رفيع.

"فرانك!".

نفاد الصبر. غضب. غطرسة. المرأة تنتظر أن تُخدَم.

كانت طويلة القامة وذات زوايا حادة غريبة، طالبة مفرطة النمو يجب أن تكون مرتدية بذلة وتحمل عصا هوكي. لكن المظهر مُخادِعٌ. أجيال من الاستيلاد الداخلي أنتجَ أكثر من مجرد تعديل طريقة توزيع اللحم والعظام. لقد طوّر انحطاطاً ناضجاً وأنشأ عدداً كبيراً من خيبات الأمل المتأجّجة. كانت غير عاقلة سريرياً، لكن الذي ينتمي إلى طبقتها لا يُعتبر غير عاقل أبداً بل فقط "غريب الأطوار"، غير غبي أبداً بل فقط "أرعن"، غير حقود أو وحشي أبداً بل فقط "مضحك".

فتح ذراعيه، احتضنها، وضغط كل إبهام على عينيها. تراجعت من الألم المفاجئ. ضغَط أكثر وبدأت تصرخ من العذاب والخوف الكبير من العمى. كانت ساعةٌ ذهنيةٌ داخله تعدّ الثواني. واحدة وخمسون... اثنتان وخمسون...

ضغطت أصابعه على الخاتم.

"فرانك!".

فتح ذراعيه واحتضنها، وقلبه لا يزال يخفق بسرعة من متعة إيلامها. قبَّلها بمهارة تمرَّن عليها، وقضمها بأسنانه بلطف. مرَّر يديه على جسمها، حفيفٌ أثناء وقوع مادة رقيقة عن كتفَيها. عضَّها بقوة أكثر وشَعَرها تتوتّر.

"لا تفعل ذلك!"، قالت فجأة. "أكره أي شخص يفعل ذلك!".

علامة سيئة واحدة. عدَّ فرانك الثواني بينما مدَّ يده إلى زر الضوء. تشنَّجت في الظلمة، ودفَعَت نفسها بعيداً عن ذراعيه.

"أكره الظلمة! هل يجب أن تكون مثل كل الآخرين؟".

علامتان سيئتان. عشرون ثانية باقية. حان الوقت لاستكشافٍ سريعٍ آخر. بدأت يداه تتلمَّسان، وصلتا إلى المكان المنشود، وراحتا تتحرّكان بتصميم مثقَّف. تنهَّدت بسرور.

نشَّط الخاتم.

"فرانك!".

فتح ذراعيه واحتضنها، ولم يحاول هذه المرة أن يقضمها أو يعضّها أبداً. أصدرت ثيابها حفيفاً وهي تقع على الأرض ولمَعت بشرتها مثل لؤلؤة في الضوء. نظَرَ إليها، مُبدياً إعجابه بها بوقاحة، وراحت يداه تتحرّكان بطريقة أعطتها متعةً.

سفر أم خطر

أغمضت عينيها، وحَفرت أظافرها في ظهره. "تكلَّم معي"، طالبته. "تكلَّم معي!".

بدأ يعدّ الثواني.

لاحقاً، وبينما كانت ممدَّدة في نوم مُتخَم، استراح، وهو يدخِّن ويفكِّر، مستمتعاً بشكل غريب. كان الحبيب المثالي. يقول ويفعل الأشياء التي تريدها بالضبط وفي الترتيب الدقيق الذي تريدها به، وأهم من أي شيء آخر، يقولها ويفعلها من دون أن تطالبه في أي وقت. كان انعكاساً لنفسها. صدىً لاحتياجاتها - ولما لا؟ فقد عمِل بجهد ليضع خريطةً برغباتها. يستكشف، يتحقّق، يمحو كل البدايات الخاطئة والأخطاء. وهل يمكن أن يكون مثالياً أكثر من ذلك؟

استدار، وراح ينظر إلى المرأة، ولم يرها كلحم ودم بل كدرجة في سُلّم يقود إلى القبول. لقد قطعَ فرانك وسْتون مسافة طويلة. وينوي أن يواصل التسلّق.

تنهَّدت، فتحت عينيها، ونظَرَت إلى الجمال الكلاسيكي لوجهه. "حبيبي!".

قال ما أرادته أن يقول.

تنهَّدت مرة أخرى، نفس الصوت لكن بمعنى مختلف. "هل سأراك هذه الليلة؟".

"لا".

"فرانك!". غمرتها الغيرة. "لما لا؟ لقد قلتَ -"

"أعرف ما قلتُ وقصدتُ كل كلمة منه"، قاطَعها. "لكن عليَّ أن

أسافر إلى نيويورك. زيارة عمل"، أضاف. "في النهاية، عليَّ أن أكسب لقمة عيشي".

التقَطت الطُعم. "لستَ مضطراً إلى القلق بشأن ذلك. سأكلِّم بابا و–"

أغلق شفتيها بشفتيه. "لا يزال عليَّ أن أذهب"، أصرَّ. تحت الأغطية كانت يداه تفعلان ما أرادتهما أن تفعلا. "وعندما أعود –"

"سأحصل على الطلاق"، قالت. "وسنتزوج".

احتفال الشتاء، فكَّر في سرّه، بينما شحب الفجر السماء.

تعال، طِر معي! تقول الأغنية، وأنا مذنّبٌ جديدٌ لامعٌ، مضيفتان كلهما أرجل وعيون وشعر حريري وسلوكهما "يمكنك أن تنظر إليَّ لأنني جميلة لكن لا يجب أن تلمسني أبداً، أبداً"، طاقم رحلة وثلاثة وسبعون راكباً آخر فقط ثمانية عشر منهم يسافرون في الدرجة الأولى. مساحة كبيرة للجميع وكان فرانك مسروراً من ذلك.

شَعَر بالتعب. كان الليل صاخباً والصباح لم يكن أفضل. كان جيداً الجلوس والاسترخاء بحزام مشدود بشكل أنيق على كرسي مطابق لشكل الجسم بينما الطائرة النفّاثة تبتلَع الهواء وتتقيأه خلفها في إعصارٍ من صنع الإنسان يدفع الطائرة على المدرَج ثم يرفعها إلى السماء. ضَمَرت لندن إلى إحدى الجهتين، وانخفضت السُحُب مثل خصلات قطن قذر ثم لم يعد هناك سوى الشمس، عين يقظة في قزحية زرقاء هائلة.

اذهب غرباً، أيها الشاب، فكَّر في سرّه باعتدادٍ بالنفس. لماذا؟

سفر أم خطر

..ون أي سبب سوى أنه يحبّ السفر وبعض الغياب يمكن أن يجعل القلب أكثر ولعاً. كما أن هناك نشوة في الطيران. فهو يحبّ أن ينظر من فوق ويفكِّر بكل الفراغ بينه وبين الأرض. أن يشعر بمعدته تنقبض من رُهاب المرتفعات، الإحساس الشهي للخوف في أمان مثالي. ليس للارتفاع أي معنى في الطائرة. كل ما عليك فعله هو النظر إلى الأمام مباشرة ومن الممكن أن تكون في حافلة.

فكَّ حزامه، ومطَّط رِجليه، وألقى نظرة سريعة خارج النافذة بينما أتى صوت القبطان عبر مكبِّرات الصوت ليُخبرهم أنهم يطيرون على ارتفاع 10,000 متر وبسرعة 860 كيلومتراً بالساعة.

بإمكانه رؤية القليل جداً من النافذة. السماء، السُحُب تحته، طرف ورقة معدنية مرتجِفة كانت جناحاً. أمور قديمة. كانت المضيفة الشقراء بعيدة من ذلك. كانت تتمايَل في الرِواق، التقت عيناها بعينيه، واستجابت بانتباهٍ فوريٍ. هل هو مرتاح؟ هل يريد وسادة؟ صحيفة؟ مجلة؟ شيء ليشربه؟

"شراب عنب مقطَّر"، قال. "مع ثلج ومياه غازية".

جلَس على المقعد الداخلي القريب من جدار المقصورة لكي تضطر أن تخطو من الرِواق لكي تُنزل المنضدة وتضع كوبه. رَفَع يده اليسرى ولمسَ ركبتها، ترك يده تنزلق صعوداً على فخذها، شَعَر بها تتصلَّب، ورأى التعبير على وجهها. كان خليطاً من عدم التصديق، غضب، اهتمام، وتخمين. لم يدم طويلاً. ارتفعت يده اليمنى وضغطت أصابعه على حنجرتها. تسبَّب احتقان الدم بتورّد خدّيها وجحظ عينيها، وأحدثت الصينية المرمية فوضى بينما راحت يداها ترفرفان في كرْب عاجز.

كانت الساعة التلقائية في ذهنه تعدّ الثواني. اثنتان وخمسون... ثلاث وخمسون... أربع وخمسون...

ضغَط الحجر على خاتمه.

أحدثَت المنضدة صوتاً مكتوماً خافتاً وهي تستريح في موضعها الأفقي، وشراب العنب المقطَّر غرغرةٌ سائلةٌ وهو يتدفّق من الزجاجة الصغيرة جداً فوق قِطع الثلج. ابتسمت وهي تُمسك عبوة المياه الغازية المثقوبة. "كلها، سيدي؟".

أومأ برأسه، وراح يراقبها وهي تصبّ له، وتذكَّر الدفء الناعم لفخذها، وملـ لحمها. هل تعرف أنه كاد يقتلها؟ هل يمكنها أن تتكهّن بذلك؟

لا، قرَّر بينما ابتعَدت. كيف يُعقَل لها؟ فبالنسبة لها، لم يحصل شيء. لقد قدَّمت له شراباً وهذا كل شيء. *كل شيء* ما عدا –؟

حدَّق في الخاتم مكتئباً. لقد نشَّطتَه وعُدتَ سبعاً وخمسين ثانية في الزمن. كل ما فعلتَه خلال تلك الفترة قد مُحِيَ. يمكنك أن تقتل، تسرق، تسبِّب أذى، وكل ذلك لن يهمّ لأنه لم يحصل. لكنه *حصَل*. يمكنه تذكّره. هل يمكنك أن تتذكّر شيئاً لم يحصل أبداً؟

تلك الفتاة، مثلاً. لقد شعَر بفخذها، بالمكان الدافئ بين رِجليها، بنعومة حنجرتها المسلِّمة للروح. كان بإمكانه أن يفقأ عينيها، يُضاعف حدّة صراخها، يشوِّه وجهها. لقد فعل ذلك وأكثر لآخرين، مُشبعاً ساديّته، حبّه بالتسبّب بالألم. وقد قَتَل. لكن ما قيمة القتل عندما يمكنك التراجع عن عواقب جريمتك؟ عندما يمكنك مراقبة الجسم يبتسم ويبتعد؟

اهتزّت الطائرة قليلاً. كان الصوت من مكبِّرات الصوت هادئاً،

سفر أم خطر

ر مستعجل. "هلاّ شدَّ كل الركاب أحزمة أمامهم رجاءً. سندخل طقة إزعاج طفيف. قد ترون بعض البرق لكن لا شيء يدعو إلى القلق على الإطلاق. نحن، بالطبع، نطير فوق العاصفة بمسافة جيدة".

تجاهَل فرانك التعليمة، وهو لا يزال منهمِكاً بالخاتم. بدا الحجر ر المصقول مثل عين ميتة، حاقداً فجأة، مهدِّداً بطريقة أو بأخرى. أمى شرابه بانزعاج. لم يكن الخاتم سوى آلة.

مرَّت الشقراء في الرِواق، استهجنت عندما رأت حزامه المفكوك، وشدّته له. لوَّح لها أن تبتعد، وراح يعبث بالأربطة، وتركه يسقط فتوحاً. لا يحتاج إليه ولا يحبّه. استوى على مقعده عابساً، وراح يفكِّر.

الزمن. هل كان خطأً واحداً أو خطأً بعدة تفرّعات؟ هل يُعقَل أنه كلما ينشِّط الخاتم يتم إنشاء كون بديل؟ أن هناك في مكان ما عالماً هاجم فيه المضيفة واضطر أن يدفع ثمن جريمته؟ لكنه هاجَمها فقط لأنه يعرف أنه يمكنه محو الحادث. لولا الخاتم لما كان لمسها. لكن مع وجود الخاتم، يمكنه فعل أي شيء يريده لأنه يستطيع العودة دائماً والإفلات من العواقب. لذا فإن نظرية الكون البديل لا تصحّ. ما الذي يصحّ؟

لا يعرف وهذا لا يهمّ. لديه الخاتم وهذا يكفي. الخاتم الذي عرضوا مئة دولار تافهة لاستعادته.

ارتطم شيءٌ بسقف المقصورة. سُمع صوت تمزّق، وشعَر بتيار هوائي، بقوة لا تُقاوَم انتزعته عن مقعده وقذَفته في الفضاء. خرج الهواء من رئتَيه بينما بدأ يسقط. بلع ريقه وهو يحاول أن يتنفس، أن يفهم. راح برد القطب الشمالي يخدِّر لحمه. استدار، ورأى بعينين دامعتين

الطائرة وقد انفصل عنها أحد جناحَيها، والمعدن يتمزّق أمام ناظريه، ويرافق سقوطه في البحر على بُعد ثمانية كيلومترات تحته.

حادث، فكَّر بعنف. كُرة نار، نيزك، إجهاد المعدن حتى. صدعٌ في جدار المقصورة وسيتكفّل الضغط الداخلي بالباقي. والآن كان يسقط. يسقط!

انقبضت أصابعه في ردة فعل مسعورة.

"رجاءً، سيد وسْتون". تقدَّمت المضيفة الشقراء بينما نهض عن مقعده. "يجب أن تبقى جالساً وتشدّ حزام أمانك. إلا إذا -؟". نظرت بديبلوماسية نحو المراحيض في مؤخرة المقصورة.

"اسمعي!". أمسَكها بذراعيها. "أخبري الطيّار أن يغيِّر مساره. أخبريه الآن. أسرعي!".

يمكن تفادي كُرة نار أو نيزك بهذه الطريقة. يمكنهم النجاة إذا تم تغيير المسار بسرعة كافية. لكن يجب أن يتم ذلك بسرعة! بسرعة!

"أسرعي". ركَض نحو قُمرة القيادة، والفتاة في أعقابه. تباً للسافلة الغبية! ألا يمكنها أن تفهم؟ "إنها حالة طارئة!"، صرَخ. "يجب على الطيّار أن يغيِّر المسار فوراً!".

ارتطم شيءٌ بسقف المقصورة. انفتحت الحُجَيرة بعنف، وبدأ المعدن يلتفّ مثل قشرة موزة مقشَّرة. تلاشت الشقراء. ضاع زعيق تمزّق المعدن في عصفة الهواء المتفجِّر. تشبَّث فرانك بمقعدٍ بيأس، وشَعَر بيديه تُنزعان عن القماش، وجسمه يُسحب نحو الفتحة. قُذف إلى الفضاء مرة أخرى ليبدأ السقوط الطويل المُغثي ذي الكيلومترات الثمانية.

"لا!"، صَرَخ مضطرباً من الرعب. "يا إلهي، لا!".

نشَّط.

سفر أم خطر

"سيد وسْتون، عليَّ أن أصرّ حقاً. إذا كنت لا تريد الذهاب إلى المرحاض، يجب أن تدعني أشدّ لك حزام الأمان".

كان يقف قرب مقعده وكانت الشقراء تُبدي علامات انزعاج. انزعاج!

"هذا مهم"، قال، وهو يضغط على نفسه ليبقى هادئاً. "بعد أقل من دقيقة ستتمزَّق هذه الطائرة. هل تفهمين؟ سنموت كلنا إلا إذا غيَّر الطيّار المسار فوراً".

لماذا عليها أن تقف هناك بتلك النظرات الغبية جداً؟ لقد أخبَرها كل هذا من قبل!

"أيتها البقرة الغبية! ابتعدي عن طريقي!". دفَعها جانباً واندفَع مرة أخرى نحو قُمرة القيادة. تعثَّر، سقط، ونهض مستعِراً. "غيِّر المسار!"، صاح. "بالله عليك اسمعني و–"

ارتطم شيءٌ بالسقف. مرة أخرى الهدير، عصف الهواء، القوة التي لا تُقاوَم. اصطدم شيءٌ برأسه وكان قد أصبح تحت السُحُب قبل أن يتمكّن من استعادة كامل سيطرته. نشَّط ووجد نفسه لا يزال في الفضاء، يبتلع الهواء الرقيق ويرتعش من البرد الهمجي. إلى إحدى جهتيه وقفت الطائرة المحطَّمة كما لو أنها معلَّقة، كتلة أنقاض تتفتَّت أثناء سقوطها. وأجزاء صغيرة جداً معلَّقة حولها؛ أحدها ربما الشقراء.

مرَّت السُحُب. وانتشر البحر تحته في تلألؤ ضوء وماء. انقبضت معدته من الرعب الساحق بينما راح يحدِّق في الأمواج، وتضاعف رُهاب مرتفعاته المختبئ عشرات المرات وبدأ يمزّق كل خلية. الاصطدام بالبحر سيشبه الاصطدام بأرضية أسمنتية صلبة وسيبقى واعياً حتى النهاية. نشَّط بشكل متشنّج وعاد فوراً إلى ارتفاعٍ عالٍ في الجو مع

دقيقة سماح تقريباً ليسقط خلالها.
سبع وخمسون ثانية من الجحيم غير المخفَّف.
تتكرَّر.
تتكرَّر.
تتكرَّر مرة تلو الأخرى لأن البديل هو التحطّم في البحر المنتظر.

الفئة الخامسة

توم بيسيل

توم بيسيل هو أحد أفضل الكتّاب في أميركا وأكثرهم إثارة للاهتمام (ليسوا دائماً هكذا). بالإضافة إلى غير الخيال، مثل :Extra Lives Why Video Games Matter [حيوات إضافية: لماذا ألعاب الفيديو مهمة] التي بطول كتابٍ، كَتَب سيناريوهات لألعاب فيديو مثل Gears of War [تروس الحرب] وشارك في تأليف The Disaster Artist: My Life Inside the Room, the Greatest Bad Movie Ever Made [الفنان الكارثة: حياتي داخل الغرفة، أعظم فيلم سيئ صُنع في التاريخ] المنتقَد بشكل لاذع، والذي أصبح فيلماً حائزاً على جوائز من بطولة جايمس فرانكو وإخراجه. بيسيل، الذي غطّى حروب الخليج كصحافي، وجدَ أيضاً وقتاً ليكتب بعض القصص القصيرة الرائعة. هذه الحكاية عن مؤلف عدة مذكرات قانونية مثيرة للجدل يستيقظ على متن طائرة مهجورة في رحلة من استونيا هي إحدى أفضل رواياته.

استيقظ جون وهو يشعر بكهرباء ساكنة في جسمه من حلم لم يستطع تذكّره. طرفت عيناه بتتابع سريع لكي يعيد تعيير دماغه الذي يعاني من سوء تغذية. النوم على متن طائرة يشبه دفع بعض المال لأحدهم لكي يهاجمك في منتصف الليل. لكن الغريب في الأمر هو أنه لم يتذكّر أنه غفا. علماً أنه لا يتذكّر رغبته بالنوم من الأساس.

آخر شيء يتذكّره: شربْ مشروب غازي، الدردشة مع جارته، جانيكا، امرأة أستونية طويلة ذات وجه خبيث أخبَرته أنها في طريقها

إلى الولايات المتحدة في زيارتها الأولى. لم يتذكَّر جون بالطبع سحب البطانية إلى ذقنه أو وضع الوسادة الناعمة الرائعة التي يشعر بها الآن خلف رأسه. وكان ليتذكَّر ذلك. فلديه عادة قديمة عند النوم، تعود إلى أيام الطفولة، بأن يتذكَّر جيداً وضعية نومه - الملعقة، المقصّ، الرجل الميت، الجنين، انبطاح - قبل التلاشي الأخير. فقط مرتين في حياته كلها وجَد نفسه في نفس الوضعية عند استيقاظه. كان جون يعتبر النوم نوعاً من السفر عبر الزمن. تحصل أشياءٌ، تنشأ أفكارٌ، تتحرَّك أعضاء الجسم - ولن تعرف ذلك أبداً.

اختفت جانيكا، ويعتقد أن الطائرة المظلمة موجودة فوق وسط الأطلسي الآن. ذهبت على الأرجح لكي تتمدَّد قليلاً. الأوروبيون وألعابهم الجمبازية أثناء الطيران، وتصفيقهم عند الهبوط. كانت ستارة كل نافذة معينة الشكل في المقصورة مغلقة. والإنارة الوحيدة صادرة عن الأضواء الأمامية البرتقالية المتوهجة للمقصورة. رَفَع جون ستارة نافذته. الذي رآه أمر لا يُعقَل. لقد حطَّت رحلته في نيويورك عند الرابعة بعد الظهر ولم تكن رحلة ليلية. ومع ذلك فقد حلّ الليل في الخارج. أدرك جون الآن أن مقعد جانيكا لم يكن المقعد الشاغر الوحيد. فقد كانت بقية مقاعد درجة رجال الأعمال الأربعين ونيّف فارغة أيضاً. اندفَع على حزام أمانه.

كانت أزواج العروش المتّسِمة بالحميمية لدرجة رجال الأعمال منتشرة بشكل رحِب في كل أرجاء المقصورة، ولا توجد حُجَيرات أمتعة فوقها لتعيق حركته حولها. كان العديد منها مكسواً ببطانيات ملتوية. وبعضها الآخر لا تزال سمّاعات الرأس موصولة بمقابس مساند أذرعها. ونصف دزينة وسادات مرمية على الأرض. وبقيت هناك حقائب يد

ـت عدد من المقاعد. في صف واحد إلى الأمام، ترك أحدهم دُرج المقعد مفتوحاً، ورأى عليه زجاجة شراب عنب أحمر بحجم زجاجة العطر وكوباً بلاستيكياً. وفوق كل مقعد يحوم نفس الإحساس بالهجر المفاجئ.

لقد حصل شيءٌ، فكَّر في سرّه، جذب انتباه الجميع إلى الدرجة السياحية. فنلندي ثمل يلكم مضيفةً. نوبة قلبية. رسَمَ علامة شطب ذهنية هشّة، في الوقت الحاضر، على أي احتمالات أخرى. دفعَ جون جانباً الستارة الزرقاء الرفيعة التي تسمح لركاب الدرجة السياحية بتخيّل مقدار حرمانهم. وبحثت يده عن الواقع الثابت للمقطع الفاصل الرمادي المرقّط بالأبيض الذي تتدلّى منه الستارة.

امتدَّ أمامه ثلاثون صفاً مظلماً من المقاعد الشاغرة. خطا خطوة واحدة إلى الأمام بسبب الصدمة. مدَّ يده إلى هاتفه الآيفون، وشَعَر بغيابه حتى قبل أن تلمس يده جيبه. رغم الظلمة، رأى بضعة أشكال بدائية على صف المقاعد الأول: كتب ورقيّة الغلاف، صحف، حقيبة. ازدادت الظلمة كلما سار أكثر بين الصفوف، كما لو أنه يدخل غابة اصطناعية.

كم قوي الشعور بالخطأ الذي يولّده السير في الرِواق الضيق لطائرة تجارية. عندما وَصَل إلى القسم الخلفي الداكن الضيق شَعَر أنه عالقٌ في فخ خزانة غير مألوفة تثير الارتباك. بحَثت يداه بارتباك عن برايل العالم المرئي. كانت المقاعد القابلة للطيّ للمضيفات مغلقة. وهناك مشعل كهربائي بجانب أحدها، فسحَبه من حمّالته. سلَّط شعاع ضوء على المطبخ، فبدت جواريره الفضية الطويلة كما لو أنها تنتمي إلى غواصة، ورأى عربة عشاء مفرَّغة قد دُفعَت إلى أعمق مكان في المطبخ.

استدار، ومرَّ الضوء على حاوية فوق رأسه مكتوب عليها "إسعافات أولية"، ثم نقل الشعاع إلى أحد أبواب مخرَج الطائرة - شيء هائل، أقل شبهاً ببابٍ من واجهة كوخ الإسكيمو. وعبر كُوَّته الصغيرة جداً رأى جون شرائح سُحُب تدور في الليل الخالي من النجوم. استدار إلى لوح تحكم المضيفات، المعقَّد بمقابض وأزرار عديدة. رغم أنها كانت رحلة للخطوط الجوية الفنلندية، إلا أن كل شيء كان بالإنكليزية. رأى زر إخلاء أحمر في أسفل اللوح. سار صعوداً متجاوزاً عدة أزرار اتصال (كلها داكنة)، شاشة خضراء صغيرة متوهجة بمعلومات يُتعذَّر فهمها تماماً، زر إعلان عام، وأخيراً لوح الإضاءة الذي احتوى على مسكات وليس أزراراً، فبدأ يبرم كل واحدة منها.

في الضوء الجديد اللاذع فتَح باب المرحاض، دون أن يتوقع إيجاد غرفة هائلة الحجم ينتظر فيها مئات الأشخاص الذين كانوا ركّاب هذه الرحلة بقبعاتهم المدبَّبة المخصَّصة للحفلات وأشرطة ورقية ملوَّنة. لكنها كانت فارغة، بيضاء بشكل مروع، وتعبق برائحة البراز والنعناع. وهناك بُقع شفافة من المياه الراكدة تزيِّن حوض المغسلة المعدني.

عاد أدراجه عبر الدرجة السياحية ثم درجة رجال الأعمال، ووجد نفسه عند باب قُمرة القيادة، الذي بدا سميكاً معزّزاً. "مقوَّى" هو المصطلح التقني، حسبما يظنّ. لم يكن واضحاً له كيف يتابع من هناك. فأي عرض للقوة على مقربة من الطيّارين بدا لجون أمراً غير حكيم وغير شرعي ربما. لذا قرَع الباب. عندما لم يُجبه أحدٌ، حاوَل فتحه. مُقفل. قرَع مرة أخرى. لاحَظ خزانة صغيرة عالية حتى الرُكبتين. وجد في داخلها أربع سترات نجاة صفراء وضاغط هواء فولاذياً ثقيلاً. نظَرَ إلى باب المخرَج الأمامي، باب ضخم آخر لم يكن متأكداً أنه

،كنه اكتشاف كيفية فتحه إذا حاوَل. لكن لماذا سيريد فتحه؟ أدرَك أن •كرته باستخدامه كمخرَج محتمل لم تنجح بشكل جيد.

أصبح يشعر بالحر الآن. وبدأ جسمه، الذي بدا كما لو أنه تقبَّل أخيراً المعلومات التي أرسلها له ذهنه وحلَّلها ورفضَها، بشنّ هجوم •ضاد عديم الفائدة. فمن معدته، منطقة الإعداد والتجهيز، بصقَ جسمه أحدث وجبة طعام تناولها إلى أنابيبه المِعَوية. وَقَف هناك مشدوداً، وراح يستمع إلى نبضات قلبه، ورئتاه تمتلئان وتتفرّغان. الستارة المعلَّقة بين الوظيفة الإرادية واللاإرادية تمزَّقت من جذورها. بدا جهازه العصبي على بُعد زلة تركيز واحدة من الشلل التام.

راح يضرِب بقوة على باب قُمرة القيادة، ويصرخ أن شيئاً حصل، وأنه يحتاج إلى مساعدة. عندما توقَّف أخيراً، أسندَ جبهته على القشرة الخارجية المقوّاة للباب. كانت أنفاسه حامضة وجرثومية مثل طبق مخبري. شَعَر أنه ضعيف ومكشوف. ثم سمِع شيئاً على الجهة الأخرى للباب وقفز إلى الوراء. عاد واقترب ببطء، وحشر أذنه في الكوب الذي شكّلته يده على المعدن البارد. على الجهة الأخرى للباب، في قُمرة قيادة طائرة خالية من أي ركاب، هناك شخص يبكي.

كان قد تلقى نصيحة بعدم السفر إلى خارج الولايات المتحدة من محاميه، ومن زملائه الودّيين في الجامعة (كان عددهم أكبر مما سيخمّن معظم الناس - لم يكن جون شيئاً لولا دماثة الهيئة التعليمية)، ومن أولئك القلّة من وزارة العدل الذين لا يزال يتواصل معهم. لكن عندما تلقى دعوة ليلقي خطاباً في مؤتمر ("القانون الدولي ومستقبل العلاقات الأميركية الأوروبية") في تالين، استونيا منذ ستة أشهر، قام جون بما يقوم به دائماً: كلَّم زوجته.

أحد أكثر الأشياء التي يقدِّرها في تركه وظيفته لدى الحكومة هو أنه يستطيع، مرة أخرى، التكلّم مع زوجته عن عمله. أي شخص عاش في ذهنه إلى حدّ أن جون لم يطلب أي شيء مثالي أكثر من رفيقة قادرة على دخول ذلك الذهن عندما يدعوها وعلى الخروج منه قبل أن يحتاج إلى الطلب منها فعل ذلك. طوال السنتين الأخيرتين كانت كاتمة أسراره، حارسته، ممرضته، وثقل استقراره. ومع ذلك فإنه يشهد إحدى أطول ليالي زواجه وأصعبها عندما يتسرَّب عددٌ مما يسمى مذكرات تعذيبه، ثم، ومن دون أي تحذير له، تُرفَع عنها السرية ويتم التنصّل منها. لم تكن زوجته الشخص الوحيد الذي برهَن أنه قادر على توضيح له نواياه في كتابة المذكرات. فكل صحافي يأخذ الوقت ليقابل جون يخرج مُقِرّاً أن المستذئب المزعوم بدا لائقاً بما فيه الكفاية.

بعد إخباره زوجته عن الدعوة إلى المؤتمر، أقرَّ، "كانت فكرتي الأولى أن أرفض. لكنني أعتقد أنني قد أرغب في الذهاب".

منذ سنتين، تم تقديم شكوى تتَّهم جون بارتكاب جرائم حرب في محكمة ألمانية؛ وبالكاد تحرَّكت عجلة تلك الدعوى بالذات منذ ذلك الوقت. كما تم تقديم دعوى أخرى منذ ستة أشهر، في محكمة كاليفورنيا، من قِبل إرهابي أميركي مُدان وأمه، ادّعى فيها أن مذكرات جون أدّت إلى سوء معاملته بينما كان قيد الاعتقال الأميركي. لم يجادل جون - لكنه بالطبع لم يستطع أن يقرّ بذلك - أن البائس عومِلَ بشكل سيئ في الاعتقال، لكن إلقاء الملامة عليه يُظهِر نوعاً من الابتكار القانوني الساذج. صحيح أن جون لم يُمنَع رسمياً من السفر على الإطلاق، إلا أن فكرة مغادرة المجال الجوي الأميركي ملأته بقلق غير مألوف. وهذا صدمه. كما زاد من جرأته أيضاً.

"لا تدع رحلتك تمرّ عبر ألمانيا"، قالت زوجته. "أو فرنسا. أو اسبانيا. أنا سأتجنَّب ايطاليا أيضاً".

أدرَك أنها اعتقَدت أنه يمزح بشأن الذهاب، وانتظَر لحظةً قبل إخبارها ما يحبّه في استونيا، دولة يافعة ذات ذكريات اضطهاد فعلي. لطالما كان مهتماً بدول المعسكر السوفياتي السابق ودول ما بعد الشيوعية بشكل عام. (فرحلة والدَيه من الشيوعية الكورية، في النهاية، كانت السبب الوحيد لكونه أميركياً الآن). لم يعتقد أن لديه أي سبب ليخاف من استونيا، والتي كانت حليفاً رسمياً لأميركا في الحرب. هل تُدرك زوجته أنه يوجد مليون أستوني فقط في العالم؟ ربما هذه النقطة من طبائع الكوريين، لكنه شعَر بقرابة غريبة مع الدول الصغيرة التي يتم التنمّر عليها روتينياً وغزوها كثيراً. وهو مُعجَب، قال ذلك ببعض العظمة والافتخار، بطموحاتهم الضيقة النظر. كان يناشد الآن بلا خجل المشاعر المعقَّدة لزوجته بخصوص إرثها الفييتنامي.

سألته كيف يمكنه أن يكون أكيداً أنه ليس فخاً لإذلاله علناً. كان لديه جواب من نوعٍ ما من قبل. فقد وعده منظِّمو الحدث، من تلقاء أنفسهم، أنه لن يُناقَش أي موضوع لا يرغب جون بمناقشته. كانوا يُدركون الدعاوى القضائية ووعدوه بحُجيرة هروب متكاملة خلال أي استجواب. ("حُجيرة هروب". كلماته، وليست كلماتهم. مثل أي مدمن تعلّمٍ كبُر في السبعينات، كان جون بارعاً دائماً كمرجع لفيلم *حرب النجوم*). بالإضافة إلى ذلك، كانت السفارة الأميركية "تُدرك" دعوة جون ("تُدرك". كلمتهم، وليست كلمته. فسفارة عادية مثل سفارة استونيا كانت بلا شك مزدحمة بموظفين خدّام للإدارة وآخذي عطلة محترفين. ونظراً لأن جون كان العضو السابق الوحيد للإدارة الذي

أصَرَّ على التكلم عن القرارات التي أخذها بينما كان جزءاً منها، فقد كان شعبياً بينهم مثل جرس شخص مُصاب بالجُذام).

"لكنك ستتكلَّم عنها كلها على أي حال"، قالت، "أليس كذلك؟". غالباً ما كان جون يختزل محاميه إلى خيبة أمل مشابهة. لم يكن يخاف من الدفاع عن نفسه، شرط ألا يكون مُحاوِره يحمل بوضوح مِشعلاً ومادةً ملتهبةً. بعدما أجرى جون مقابلة مع الإسكواير، بقي محاميه لا يكلِّمه لأسبوع. ثم قرأ محاميه النبذة غير المتملِّقة كلياً التي نتجت عن ذلك. "أنت شخص ناعم، أيها المستشار القانوني"، قال لجون.

ابتسم جون لزوجته. بالطبع سيتكلَّم عنها كلها. كان يعرف ماذا يستطيع وماذا لا يستطيع أن يقوله. كان محامياً.

عندما أخبَر منظِّمي الحدث أنه سيكون قادراً على القدوم، عبَّروا عن تفاجئهم بنفس قدر تشوّقهم. فهو سيكون الأميركي الوحيد، حسبما قالوا، وبالتالي جزءاً لا يُقدّر بثمن في المناقشة. وجرى الاتفاق أنه سيتكلَّم لوحده، في نهاية المؤتمر، لساعةٍ، ثم يُجيب على الأسئلة، وقد يكون بعضها، حذَّروه، عدائياً. بدا كل ذلك ممتازاً، هكذا ردَّ جون عليهم بالبريد الإلكتروني. فقد واجَه غُرفاً متعطِّشة للدم أكثر مما تخيَّل أن استونيا يمكن أن تحشد أمامه. قبل أن يوافق، تحقَّق مع السفارة في تالين. فأرسَلوا إقراراً بالمؤتمر وتمنوا له رحلة موفّقة. واعتبر أن هذا هو آخر شيء سيتلقاه منهم.

بعد ستة أشهر، انتظر ساعتين في مطار هلسنكي. وعندما توقف حارسا أمن فنلنديان بالقرب من مخرج جون ليدردشا، لم يكن متأكداً من سبب توتّره إلى ذلك الحد. لم يكن الأمر كما لو أن الانتربول

أصدر مذكرة باعتقاله. لكن أي شخص يستطيع أن يهدأ حقاً عندما يعرف أن المحاكم في قارتين تتسلى باحتمال ارتكابه جرائم ضد الإنسانية؟ افترَض أنه شجاع لتواجده هنا. لا، في الواقع. هذه الفكرة جعلته يشمئز. كان أستاذاً ومحامياً، في هذا الترتيب. ولا يتذكَّر آخر مرة رفع فيها صوته. لا يتذكَّر مرةً، في عقوده الأربعة، أذى فيها أي شخص عن قصد. ابتعَد الحارسان الفنلنديان.

استقلّ الرحلة إلى تالين بإخفاءٍ نشطٍ للهوية. وحين رأى الأسطح الحمراء بجانب البحر لوجهته تظهر خارج نافذة الميمنة، عرَف أنه أخذ الخيار الصحيح. كان الوقت ظهراً حين وَصَل إلى فندقه في ساحة تالين القديمة. كان تسجيل نزوله في الفندق عمليةً ممتعةً جداً. وقد أرسل له منظِّمو المؤتمر زهوراً. اتصل بهم ليسألهم عن الإرشادات إلى قاعة المؤتمر في تلك الليلة، والتي صدف أنها تبعد أقل من ثلاثة شوارع، في فندق آخر، ڤيرو. لا، لا شكراً، يمكنه الوصول إلى هناك من تلقاء نفسه. كان موعد خطابه عند 8:00 مساءً، وهذا يعني أن لديه بعد الظهر ليقضيه في تالين. وقد فعل ذلك بالنوم ليضبط ساعته البيولوجية التي أُصيبت بنكبة جرّاء عبوره عشر مناطق زمنية.

استيقظ عند الساعة 5:00، واستحمّ، وارتدى بذلة بلون الأسمنت مع قميص أزرق (لا ربطة عنق)، وراح يتجوّل في شوارع تالين القديمة بحثاً عن عشاء. عرض عليه المنظِّمون إرسال شخص، لكنه رفض. فقد أراد الإعلان عن حضوره المؤتمر بنفس المباغتة الفعّالة التي كان يستخدمها لدخول قاعات تدريسه. وإذا كان أيٌّ من المشاركين في المؤتمر يسعى بالفعل إلى مواجهته، فمن الأفضل تقليل قدر الإمكان نقاط الضغط التي قد يشكّلونها عنه مع الوقت.

كانت نقاط جمال شوارع تالين القديمة بالآلاف وسخيفة كلياً. لا يستطيع أي إنسان فعلي أن يعيش هنا. فهي تشبه ستديوهاً لملحمة ما. الشوارع - المرصوفة بأشرس طريقة رآها في حياته - بدت أنها تذرف أسماءها عند كل تقاطع. معظمها يوصل إلى مقاصف، مطاعم، متاجر تبيع الكهرمان، ولا شيء آخر. ومن السهل التفريق بين السيّاح والسكان المحليين: فأي شخص لا يعمل هو سائح. وخارج مطعم من القرون الوسطى في شارع متفرّع من ساحة البلدة، كان أستونيون يافعون يرتدون مثل عوانس وحاملي دروع الرابطة الهانزية يراقبون زملاءهم يعيدون تمثيل مشهد قتالٍ بالسيوف. وفي شارع جانبي طويل، لفحته رياح من الميثان: الصرف الصحي في أنابيب عمرها ثلاثمئة سنة كان إحدى مزايا ماضي تالين التي لا تحتاج إلى تجديد. أربكه الشبه بين أبراج دور العبادة السوداء المبهرَجة العديدة في البلدة القديمة. وكلما اعتمد أحدها كنقطة مرجعية ليعود منها إلى ڤيرو، أدرَك أنه البرج الخطأ. بقي تائهاً قليلاً لساعتين على الأقل.

من ارتفاعه وتصميمه الوحشي، خمَّن بشكل صحيح أن الڤيرو كان فيما مضى فندق الإنتوريست خلال العصر السوفياتي. وجَد في ردهته "جدار شهرة" يسرد بعض أبرز نزلاء الفندق: أبطال أولمبيون، موسيقيون، ممثلون، أمراء عرب، والرئيس نفسه. وهناك ملاحظة مؤطَّرة مكتوبة إلى مدير الفندق على ورقة رسائل رسمية من البيت الأبيض: "شكراً أيضاً للكنزة والقبعة الجميلتين". بعد استفسارات عند مكتب الاستقبال، ونزهة في المصعد إلى طابق المؤتمر، ومرافقة امرأة معطَّرة برائحة متفجِّرة له، سار جون في رواق مكسو بسجاد فاخر نحو مكتب التسجيل. أشار له الشاب الجالس هناك إلى آخر القاعة، نحو

سفر أم خطر

مجموعة صغيرة من الأشخاص ينتظرون بتهذيب خارج قاعة المؤتمرات انتهاء الخطيب الحالي. سيأتي دور جون بعد نصف ساعة. انضم إلى المستمعين المنتظرين خارج قاعة المؤتمرات، وهي عبارة عن كهف ذهبي مزدان بالثريات.

كانت الخطيبة ألمانية. من الترجمة المعروضة على شاشة خلفها (بالفرنسية والأستونية والإنكليزية – هو أيضاً كان قد طُلب منه إرسال خطابه إلى المنظِّمين مسبقاً، بعد حصوله على وعد منهم أنها ستُترجم من أشخاصٍ الإنكليزية لغتهم الفطرية) عرَف جون أن ليلة أكثر صعوبة قليلاً تنتظره. فقد سمِع كل العبارات المَجازية لخطاب المرأة الألمانية من قبل. أنهت خطابها بتصفيق وأجابت على الأسئلة، ثم أُعلِن عن استراحة لعشر دقائق. مع نهوض الناس عن مقاعدهم، استدارت امرأة أخرى بالقرب من الجهة الخلفية للغرفة، لمحت جون، وسارت نحوه بابتسامة تُظهِر أنها تعرَّفت عليه. لاقاها جون في منتصف الطريق، وهو يناور بين جماهير فترة الاستراحة.

كانت إيلفي أحد المنظِّمين وهي الشخص الذي تواصل معه، وأستاذة قانون يافعة جداً في جامعة تارتو رحَّبت فوراً بجون الذي لا يزال يبدو لها شاباً. تصافحا، ثم بدأت إيلفي تغزل يديها كما لو أنها تصنع كُرة طين صغيرة. ثم مزاح: الرحلات، النوم، تالين. سألته، "هل أنت جاهز؟". ضحِك جون وقال أنه يعتقد ذلك. ضحِكت أيضاً، ومينا أسنانها تبعث مسحةً صفراء خفيفةً. لإيلفي شفتان متشقِّقتان وشعر بني مجعَّد. ووجهها الطويل والزاويّ تكعيبي تقريباً، وجماله غير الاعتيادي يتشكَّل فقط بعدما تُمضي بعض الوقت تنظر إليه.

لسببٍ لا يمكن فهمه، قادت إيلفي جون إلى الخطيبة الألمانية التي

أنهت للتو إدانة دولتها. كانت تتكلّم مع أربعة أشخاص دفعةً واحدةً، كلهم يقفون في دائرة حولها. بدت معتادةً على أن تكون مركز الانتباه؛ وبدوا معتادين على توفير ذلك. كل هذه المؤتمرات متشابهة. والأجدر إعطاء الحاضرين سيناريوهات وأدوار لكي يؤدّوها. عند إعلان إيلفي عن إسم جون، استداروا كلهم ليتأمّلوه. ابتسم، ومدَّ يده. فقط شخص واحد، رجل أكبر في السنّ يرتدي سترة رياضية من الصوف الثقيل، تنازَل لكي يصافحه، رغم أنه فعل ذلك كما لو أنه سجين يلتقي آمر سجنه. أصبحت ابتسامة جون الآن ابتسامة رجل يُحتضَر يحاول بلوغ السكون. لم يقل أحد شيئاً بعد ذلك.

لفترة أطول بكثير مما أعجب جون، بقيت إيلفي - لم تكن لديه أي طريقة ليعرف إن كانت تشعر بالخزي أو غافلةً عن ذلك - بجانبه، ثم رافَقته إلى بضعة تجمّعات صغيرة أخرى من مرتادي المؤتمرات. وقد استُقبل ببعض الحرارة فقط. قادته أخيراً إلى المنبر. غرق على الكرسي الوحيد وسحَب خطابه من جيب صدره. وَقَفت إيلفي على منصة القيقب، تنظر إلى ساعتها كمدرِّسة تراقب امتحاناً.

لقد أصبح معتاداً الآن على معاملة المنبوذ، لكن ذلك لا يعني أن الأمر لا يجرحه. الطلاب أحياناً (ليس طلابه أبداً؛ فحصصه لديها إفراط في عدد المتسجّلين دائماً) يرتدون أطواق ذراع سوداء ويقفون بصمت على الدرجات الخارجية لكلية الحقوق، بانتظار مرور جون في طريقه إلى مكتبه. في مرتين من المرات ارتدوا بذلات برتقالية رثّة شبيهة ببذلات غوانتانامو. كان يلقي عليهم تحية الصباح دائماً. ومرةً، مرةً واحدةً فقط، توقَف ليتكلّم معهم. كانت شكاواهم عديدة ومتفرِّعة لدرجة أن الحديث كان أشبه بجدال مع شِعر وجوديّ. كان يخرج من

دل تلك الخبرات مُربَكاً أقل مما هو خائب الأمل. لم يرغب جون أن يوافقوه هم أو أي شخص آخر الرأي. فهو يحترم الخلاف في الرأي المهذَّب. كل ما أراده هو شخص غير نفسه يقرّ أن الأمر معقَّد.

باكراً في فترة الحرب، أُلقي القبض على معتقَلين، أحدهما مواطن أميركي، والآخر أسترالي. ما هي القوانين التي تنطبق عليهما؟ مثلما تعلّم جون، عليك العودة كثيراً في تاريخ الفقه القانوني الأميركي - الحروب الهندية، قانون القرصنة - لكي تجد تشبيهات ملائمة قانونياً. أراد بعض أعضاء وزارة العدل أن تُقرأ على المعتقَل الأميركي حقوقه، لكن كل محكمة على هذا الكوكب تقبل تلك القوانين غير المنظَّمة أكثر التي تحكم السلوك في ساحات القتال. ومعاملة ذانك الرجلَين كمجرمَين عَنَت خسارة ما يعرفاه. وقد جادَل جون أن المعتقَلين الأميركي والأسترالي لم يتمتعا بالحمايات الممنوحة لسجناء الحرب وفق البند الثالث لاتفاقيات جنيف. لا يتمتّعان بأي رتبة، ولا جيش معرَّف بوضوح، ولا تراتبية واضحة في إصدار الأوامر - وهي متطلبات أساسية تتوفر على أساسها حمايات سجناء الحرب وفق البند الثالث - لم يمكن اعتبار ذانك الرجلَين سجناء حرب في أي معنى قانوني.

عندما اعتُقل صاحب ثالث أعلى رتبة في تنظيم القاعدة في باكستان، طُلب من جون تقديم مشورة قانونية لوكالة الاستخبارات المركزية. وذلك استغرق معظم صيف 2002، ولا يستطيع جون أن يتذكَّر أنه اشتغل بجهد أكبر أو بشكل تام أكثر على مذكرةٍ أخرى. كان عليه تحديد ما إذا كانت أساليب الاستجواب التي استخدمتها وكالة الاستخبارات المركزية خارج الولايات المتحدة تخالف الالتزامات الأميركية وفق اتفاقية مناهضة التعذيب للعام 1984. لذا نظَرَ إلى ما

تستوجبه تلك الالتزامات. وأول شيء تعلَّمه هو أن التعذيب هو "أي تصرّف يسبِّب ألماً حاداً أو معاناة، سواء جسدياً أو ذهنياً، يوجَّه إلى الشخص عن قصد". لذا فكلمة "حاد" جزءٌ من التعريف القانوني. وقد أضافت الولايات المتحدة إلى آلية إقرارها تعريفاً إضافياً للتعذيب بأنه تصرّف "يتقصَّد توجيه ألم جسدي أو ذهني حاد". ما هو "الألم الحاد"؟ وما معنى "يتقصَّد " فعلياً؟ فحَص جون الأدب الطبي ذي الصلة. هل يستطيع أي طبيب أن يعرِّف "الألم الحاد"؟ لا. هل يستطيع القانون نفسه؟ لا. الحقيقة هي أنه يمكنك البحث كيفما شئت في المستندات القانونية عن تعريف عملي "للألم الحاد" ولن تجده أبداً. لذا زوَّد جون، من دون استمتاع، تعريفاً: لكي يُعتبر تعذيباً، يجب على "الألم الحاد" أن يرتقي "إلى مستوى يترافق عادة بحالة جسدية خطيرة بشكل كافٍ كالموت، فشل عضو، أو ضُعف خطير في وظائف الجسم". أما بالنسبة لـ "الأذى الذهني المطوَّل"، وهو جزء آخر من اللغة غير المشروحة لاتفاقية مناهضة التعذيب، فلا يظهر في أي مكان في القانون الأميركي، أو الأدب الطبي، أو تقارير حقوق الإنسان الدولية. مرة أخرى، اضطر جون إلى تزويد تعريف بنفسه. لكي يرتقي الألم الذهني أو المعاناة الذهنية إلى حدود التعذيب، وبالتالي يستوفي الشرط القانوني "للأذى الذهني المطوَّل"، يجب أن تكون النتيجة النهائية مشابهة للاضطراب ما بعد الصدمة أو لاكتئابٍ مزمنٍ ذي مدة كبيرة، والمقصود بذلك عدة أشهر أو سنوات. كان جون يقصد أن تنطبق تلك الإرشادات على وكالة الاستخبارات المركزية لا غير، وفقط فيما يتعلق بما كان معروفاً بـ "الأهداف العالية القيمة"، وليس على السجناء العاديين أبداً وخاصة ليس في العراق، حيث ينطبق البند الثالث

لاتفاقيات جنيف بشكل مُطلق. بسبب حدود الاستجواب التي كان عملاء مكتب التحقيقات الفدرالي في غوانتانامو يصرّون عليها - أرادوا أخذ كل شيء من السجناء لاستخدامه في المحكمة، ونسوا (أو تناسوا) أن أياً من أولئك الرجال سيُحاكَم في محكمة غير المحكمة العسكرية - لا يمكن تقديم حتى لوح شوكولا للسجناء دون اعتبار ذلك إرغاماً. إلى أن صدرت مذكرة جون. بعد سريان مفاعيلها بشكل كبير وإحداثها تأثيراً غير متوقع، بالنسبة لجون، كَتَب كبير المستشارين القانونيين لمكتب التحقيقات الفدرالي مذكرة خاصة به تدعي أن الاستجوابات التي يراها عملاؤه في غوانتانامو غير قانونية. اليوم الذي رُفعَت فيه السرية عن مذكرات جون، تنصّل منها غونزاليس في مؤتمر صحفي، مدّعياً أنها "لا تعكس سياسة الإدارة". لن يسامحه جون على ذلك.

صفَّق الجمهور، على الأقل، بعد مقدمة إيلفي، وكانت عبارة عن مقتطفات من السيرة الذاتية التي أرسَلها جون لها. شقَّ طريقه إلى المنصة، انحنى نحو الميكروفون، ألقى نظرة سريعة على الشاشة خلفه، انحنى نحو الميكروفون، وألقى نظرة سريعة أخرى على الشاشة خلفه. منحنياً نحو الميكروفون للمرة الأخيرة، مع التأكد أن صوته الهادئ من قبل لطيفٌ مثل حبة أسبرين الأطفال، قال إنه غير متأكد أي خطاب يجب أن يبدأ أولاً. بضع ضحكات خافتة مبعثرة، ثم ضحك فعلي. استدار جون إلى الشاشة للمرة الأخيرة لكي يتحقق من ظهور القسم الأول من خطابه المترجَم بمنتهى الكرم. حسناً، فكَّر في سرّه. جيد.

سطَّح الصفحة الأولى من خطابه، الذي كان قد ألقاه عدة مرات، ونظر إلى وجوه جمهوره. ثلاثمئة شخص؟ تعابيرهم فضولية أكثر منها عدائية، فكَّر في سرّه. ثم فرقَع شيءٌ في ذهنه فجأة مع ظهور

الكلمات على الشاشة خلفه: هذا كان بعيداً جداً لكي يحصل. كان أستاذ قانون مثبّتاً في جامعة أميركية كبيرة. تساءل، مرة أخرى، لماذا كان مصمِّماً كثيراً ليدافع عن نفسه. هل عزاء معرفة أنه يستطيع فعل ذلك مهمٌ إلى هذا الحد؟

في بداية سبتمبر 2001، كان سنّ جون 34 سنة ويراجع معاهدة معظم مسائلها الجوهرية قانونياً تتعلق بالدببة القطبية.

قبل العودة إلى مقعده، جرَّب جون شيئين. ضرب باب قُمرة القيادة بضاغط الهواء الفولاذي حوالي خمسين مرة. هو عاد إلى مؤخرة الطائرة، وضغط زر الإعلان العام على لوح تحكم المضيفة، وصَرَخ. نوبة الهستيريا لا تحلّ شيئاً. بعد أن أصبح أكثر هدوءاً، وجلس، حاوَل صياغة شرح معقول لما يحصل معه. لم يعتقد أنه تم تخديره. ولم يأكل أي شيء ذلك اليوم وشرب فقط عبوة مشروب غازي بعد الصعود إلى الطائرة بقليل. المضيفة أعطته العبوة وفتحتها بنفسه.

أعاد استعراض بضع ذكريات قصيرة الأجل. الرحلة الصباحية من تالين. خمس وأربعون دقيقة في هلسنكي. المحنة البليدة للصعود إلى الطائرة. تذكَّر قدر ما يستطيع من الركاب الآخرين. جانيكا الثرثارة، الأستونية في طريقها إلى الولايات المتحدة. الرجل الذي بلا رقبة ويشبه ضفدعة كبيرة الذي جلَس جون بجانبه عند البوابة. الشابة العريضة الحاجبَين التي ترتدي كنزة أكسفورد والتي ابتسمت له عند مرورها بمقعده في طريقها إلى الدرجة السياحية (لا يوجد أي رجل آسيوي ينسى فتاةً بيضاءً ابتسمت له، سواء كان حاجباها متصلين ببعضهما

أم لا). تذكَّر شاباً لمجرد أنه كان أسود البشرة. فتاة مجتهدة ذات شعرٍ
ءاسٍ في بلوزة بيضاء فضفاضة. شاب في أوائل عشريناته يرتدي قميصاً
،الياً مكتوباً عليه "أنت حثالة". المضيفات في بذلاتهن النسائية الزرقاء
الشاحبة. كان جون مُدركاً لآسيويته في هذه الرحلة للخطوط الجوية
الفنلندية، في هذا المناخ الشمالي، وتذكَّر الآن ترقّبه ارتياحه عند العودة
إلى كاليفورنيا، مدينته الجامعية، أرصفتها المتعددة الأعراق، متاجر
الموسيقى فيها ومطاعمها، تشكيلات نقعها القنب لاستخراج أريجه.

لكن كانت هناك مسألة هاتفه الآيفون. من الواضح أن أحدهم
أخذه. بَحَث عنه تحت مقعده وكل المقاعد الأخرى في درجة رجال
الأعمال. ماذا سيفعل؟ ماذا يمكنه أن يفعل؟ لقد أحدثَ ضاغط الهواء
ضرراً حقيقياً في الباب، فبعجَ قشرته الصلبة وأوقع المقبض. كان
المقبض الآن في جيب جون، في حال احتاج إلى إصلاحه لاحقاً، لكن
لم تكن لديه أي فكرة كيف قد يفعل ذلك. وجَد بعض الأدوات في
خزانةٍ في مؤخرة الطائرة، أصبحت الآن على المقعد الذي بجانبه. الباب
نفسه لم يتزحزح.

شَعَر بحاجة مفاجئة للحضور الناقل لبندٍ خارجيٍ، فسحَب مجلة
من السلة الشبكية التي على جهة مقعده، المغشّاة بصفائح سميكة باردة
زلقة مثل الزجاج. مجلة الخطوط الجوية الفنلندية للتسوّق أثناء الطيران.
حتى في ظروفه الحالية، بقيت جاذبية التسوّق من على متن الطائرة
غامضةً. لكنه راح ومع ذلك يتصفَّح الصفحات السميكة المتموِّجة.
قلادات من اللؤلؤ بخمسين يورو. قوارير مزيل رائحة دولشي أند غابانا
بعشرين يورو. كريمات أساسية غروب برونزي باهر وإشراق باهر من
لوريال بثلاثين يورو. صفحات للشوكولا والحلويات الأوروبية. وصل إلى

الصفحات الأخيرة، الإلكترونيات، وتوقف عند هاتف ذكي بلاكبيري كورف 8310 يعمل على الطاقة الشمسية ثمنه 245 يورو. بكل تأكيد أن عشرات الركاب على متن هذه الطائرة كانوا يحملون هواتف، وربما لا يزال عددٌ منها في حقائب اليد الخاصة بهم. رغم أن التقاط إشارة بث أمر غير محتمل، إلا أنه قد يجد جهازاً يسمح له بإرسال رسالة بريد إلكتروني أو نص مخزَّن بعدما تصل الطائرة إلى ارتفاع منخفض.

عندما نهض، اهتزّت الطائرة كما لو أنها عاودت الدخول إلى الغلاف الجوي. جلَس وشدَّ حزام أمانه. بدا خوفه، الذي أصبح تحت سيطرة أمله تقريباً، متوحشاً حديثاً. تنفَّس. لم يكن متأكداً من الوقت، أو منذ متى وهو على متن هذه الطائرة، لكن ستارة نافذته، مثل كل نافذة أخرى في درجة رجال الأعمال، كانت مفتوحة الآن، وراح يحدِّق مرة أخرى في الظلمة الجليدية للتروبوسفير. فكَّر بزوجته، طلابه، همّهم عليه، ونهض مرة أخرى.

شَعَر جون بتحسّن غريب بعدما جمَّع كل حقائب اليد من درجة رجال الأعمال حول مقعده. فالبقاء قريباً من مقعده بدا مهماً، لكن لا يمكنه أن يشرح السبب. بدأ يعمل مع الحقائب، علماً أن معظمها صغيرٌ. الأشخاص الذين يدفعون ثمن تذكرة في درجة رجال الأعمال لا يتردَّدون في إرسال أمتعتهم في مقصورة الشحن. فليس لديهم صف سيارات أجرة ليتسابقوا عليها؛ بل يحطّون ليجدوا رجالاً يحملون لافتات بيضاء صغيرة عليها كنياتهم. راح جون يفك سحّاب كل حقيبة تلو الأخرى ويُدخل يده ليتلمّس ويبحث فيها. لم يرغب أن يزعج أغراض أي شخص بشكل غير ضروري. وكل شيء يبدو واعداً، يُخرجه من الحقيبة. في نهاية بحثه، جلَس بين أطقم حلاقة، كاميرات

رقمية، أجهزة آيبود، زجاجات شراب من السوق الحرة، عدة أقلام مونبلان، وطُربيد بلاستيكي زهري ناعم أدرَك لاحقاً أنه لعبة جنسية. كما عثر على نصف دزينة علب كمبيوترات، كلها فارغة.

انتقَل إلى الدرجة السياحية، لكن قبل أن يتمكَّن من تفريغ أي حاوية علوية، أرسلت معدته جرعة مخلّفات نارية أخرى نحو نقطة خروجه. ترنَّح إلى الحمّام، فك بنطلونه، وبدأ يرشّ قبل أن يتمكّن من الوقوف فوق الحلقة البلاستيكية للحوض المعدني للمرحاض. لم يكن للرائحة أي مرادف يمكنه تسميته. كانت رائحة برتقالية، بطريقة أو بأخرى. انفتحت حنفيته المِعَوية مرة أخرى؛ وفرَّت منها المخلّفات على دُفعات شرِهة. كان مريضاً الآن، ومصاباً بدُوار، ودماغه شخصٌ عاجزٌ لم يفكِّر أحد بزيارته منذ أشهر. غسَل يديه عندما انتهى.

لم يعد يكترث للاحتشام. راح يتنقَّل بين الحاويات العليا للرِواق الأول ويرمي محتوياتها على الأرض بشراسة. سرعان ما أصبحت الأمتعة عالية حتى مستوى الرُكبتين. هل سيبحث فيها كلها حقاً؟ لا. كان غضبه كبيراً جداً الآن، وعليه أن يدع نفسه يستعيد الاهتمام واليقظة اللذين يتطلبهما البحث في الحقائب. انتقَل إلى الرِواق الثاني، وراح يضغط أزرار فتح الحاويات العليا أثناء اجتيازه لها. بعد سماعه صوت الفرقعة المُرضي، بدأت الأبواب تُفتَح ببطء. إن مقداراً كبيراً من هذه الطائرة يُضبَط في مكانه بفضل مِفصَلات بلاستيكية. كان داخل أنبوب معدني، يُبحِر عند حدود الفضاء الخارجي، بينما محرّكات ضخمة تبعد خمسة عشر متراً عنه تتقيأ نيراناً غير مرئية حرارتها 500 درجة مئوية. هل هذا أقل استثنائيةً ولو قليلاً من الواقع العالق فيه الآن؟

وجَد جانيكا في الحاوية الثالثة ما قبل الأخيرة للرِواق - رغم أن كل ثلاث حاويات عليا موصولة ببعضها، إلا أنها احتلّتها كلها، لكنها اتّسعت فيها بتعاسة. وجهها المرضوض والأحول العينين وفمها المغلق بشريط لاصق أوقع جون على الأرض بصوتٍ مدوٍ كالانفجار. عندما عاد ورفع نظره إليها أخيراً رأى أن إحدى ذراعيها انزلَقت من مكانها، وأن يدها تهتزّ قليلاً من اضطراب جوي لم يعد يستطيع الشعور به. أخرجها من الحاوية العليا بعناية. وعندما تحرَّر كل جسمها بدت وكأنها اكتسبت خمسين كيلوغراماً فجأة. وقع جون إلى الخلف، وجانيكا فوقه، على سرير حقائب يد ومحتوياتها الناتئة.

بدت عينا جانيكا المحولّتان، القريبتان جداً من عينَي جون لكن غير القادرتين على التقاط نظراتهما، منزعجتين من معلومة أخيرة غير مرغوب بها. رأى بقايا نقاط دم أحمر تملأ منخرَيها، وكان خدّاها مكسوَين بشُعَيرات مقصوصة، وأوردة جبهتها وصدغاها شاحبين للغاية تحت الجلد. دفَعها جون عنه وأصدرَ زعيقاً صاخباً طويلاً. حاوَل نزع الشريط اللاصق عن فمها، لكن صوت شدّ البشرة الميتة على الجهاز العضلي كان رهيباً بحيث توقَف وركَض صارِخاً نحو درجة رجال الأعمال.

قرَّر ضرب باب قُمرة القيادة بضاغط الهواء مرة أخرى. لكنه لن يتوقف هذه المرة. دخلَ درجة رجال الأعمال ليجد أن الشاشة التي تُبَثّ عليها إعلانات الخدمة العامة ما قبل الرحلة تضعف. وانطفأت الأضواء بصمت. دبّ فيه الذعر. خطا خطوتين إلى الأمام فتعثَّر وسقط. غير قادر على الرؤية ويزحف عائداً إلى الدرجة السياحية على تلال أمتعة غير مستقيمة، عادت أفكاره إلى العصر الحجري. إلى ما

قبل ذلك، إلى الكهوف. لكن لم يكن هناك كهف. ما كان يشعر به قبل الآن لم يكن خوفاً. كان الخوف سائلاً؛ ينتقل في مجرى الدم؛ ويسعى نحو خزّان الدماغ. الخوف الحقيقي، أصبح يعرف الآن، يستمدّ قوته ليس مما يمكن أن يحصل بل مما تُدرِك أنه سيحصل. فوقه كان صوت طنين صناعي صغير. عرَف ما هو: في كل أرجاء الدرجة السياحية كانت الشاشات الصغيرة تضعف في مكانها. نظَرَ جون إلى أقرب واحدة منه. كانت مشتغلة لكن فارغة. راحت الشاشة تتوهَّج كالفينيل: داكنة أكثر، بطريقة أو بأخرى، من الظلمة الفعلية.

ثم، صورة نقية ذات جودة رقمية، رغم أن حافتها السفلى تترجرج بغموض مع شكل الموجة. كان جون بعيداً جداً ليفهم ما هي. وَقَفَ. ما رآه عندما أصبح قريباً بما فيه الكفاية هو غرفة خشبية صغيرة تم تصويرها من الزاوية العالية غير الشخصية الخاصة بكاميرات المراقبة. كان هناك شخصان في الغرفة. امرأةٌ على كرسي خلف طاولة صغيرة. ويدور حولها رجلٌ يرتدي جزمةً، بنطلوناً أسود فضفاضاً، قميصاً أسود بلا أكمام، وقناع تزلّج أسود. كان الصوت ناشزاً، بعيداً، من الواضح أنه يُسجَّل بلا ميكروفون. في الفيديو الرقمي السيء النوعية والإضاءة، لم يتعرَّف جون على جانيكا فوراً. ظهَرت مقيَّدة بكرسيها وكانت تبكي بشكل متواصل وهدوء ميؤوس منه. نظَرَ الرجل إلى الكاميرا، سار نحوها، ورفع يده أخيراً وأمسكها. لم تكن الكاميرا مثبَّتةً على منصة مراقبة أبداً؛ بل كانت كاميرا تُحمَل باليد. اهتزّت الصورة بعنف لكنها سرعان ما توازَنت، ما خلا من بضعة اهتزازات بسيطة.

دخلَ رجلٌ ثانٍ، يرتدي بشكل مماثل، الغرفة عبر باب لم يلحظه حتى ذلك الحين. نظَرَ إلى الكاميرا مباشرة، وأغلق الباب بدماثة غريبة.

لا شك أن الرجل الأول الذي يحمل الكاميرا بعَّد مشهد التصوير عندما اقترب الرجل الثاني، فقد ملأ وجهه ذو قناع التزلّج مساحةً أقل على الشاشة. راح جون يحدِّق في هذا الرجل الذي يحدِّق فيه. هذا أيضاً كان سفراً عبر الزمن. الآن وقد حُجبَت عن النظر، كانت شهقات جانيكا الناعمة الرطبة حادّة أكثر، لاذعة أكثر. أو ربما كانت تتفاعل فقط مع دخول الرجل الثاني.

لم يقل الرجل شيئاً. ولم تكن عيناه تتحرَّكان بأي طريقة باهرة. عندما استدار أخيراً، أشغَلَ نفسه عند الطاولة. أدرَك جون أنه يكتب شيئاً، وبعدما انتهى واجَه الكاميرا مرة أخرى. رفعَ قطعة كرتون بيضاء رفيعة معبأة بأحرف متصلة ببعضها بشكل مثالي تقريباً. لم يتوقع جون أن تقول اللافتة ما قالته. ومع ذلك فقد شَعَر بالامتنان، لأنه فهِم الآن ماذا كان يحصل، ولماذا. وضعَ الرجل اللافتة على الطاولة قبل أن يركِّز انتباهه على جانيكا، التي بدأت تصرخ الآن. أما بالنسبة للافتة، فكان جون لا يزال قادراً على رؤيتها: الفئة 1.

بعد خطابه، سألت إيلفي جون إن كان يريد الانضمام إليها وبعض الآخرين، بما في ذلك الخطيب الذي سبقه، لبعض الشراب في البلدة القديمة. هل هذه المرأة غبية حقاً إلى هذا الحد؟ أنقَذ جون نفسه من العرض بانحناءة متذللة، وإدعاء بالارهاق، وعدة تشكّرات. كان قد بدأ يشعر أنه مبغوض هنا، أنه أقل من فكرة بغيضة. بينما شقَّ طريقه نحو المخرَج، تبعثر الأشخاص بعيداً عن مساره كما لو أنه يقذف مفرقعات نارية مشتعلة. تساءل كم ستبقى حياته على هذا المنوال؟

بعض الأسئلة التي تلقّاها كانت عدائية بالفعل، وأكثرها حدّة طارحته امرأة مسنّة في الصف الأمامي ذات وجه مشدود البشرة مثل الكاياك. فقد سألته بسخط ماذا سيفعل في حال وجّهت إليه المحكمة الجنائية الدولية اتهاماً رسمياً بارتكاب جرائم حرب. أخبرَها جون أنه لا يتوقّع حصول ذلك ثم كذَب: "لستُ قلقاً جداً بشأن ذلك، بصراحة مطلقة".

كان جون قد جدوَل يوماً آخر في تالين. فور تذكّره ذلك، دخل حمّام الرجال الموجود في الرواق خارج قاعة المؤتمرات وراح يطعن هاتفه الايفون إلى أن أصبح متصلاً بالانترنت. لقد سدَّد المؤتمر تكاليف رحلته لكنه ترك له تذكرة العودة مفتوحة، بناءً على طلبه. تغيَّرت تذكرته بعد دقيقتين. مدهش. المدهش أكثر هو حقيقة أنه أصبح أفقر الآن بـ 1,500$. كان من الصعب عدم اعتبار ذلك صفقةً رابحةً.

خرَج جون من حمّام الرجال ليجد رجلاً حليق الذقن بانتظاره. كانت ملابسه نسخةً تنكرّيةً لمدير تنفيذي: سترة رياضية زرقاء بحرية، لا ربطة عنق، سروال جينز. من الواضح أنه أميركي. امتلأ وجهه بتعبير ينمّ عن أنه تعرّف عليه لا يزال جون لم يعتد عليه، على الأرجح لأنه كان تعبيراً لطالما فشل في تحديد حصوله من جانب واحد. كان يعرف من هو جون؛ لذا سيكون جون سعيداً بلقائه. كان كل شخص بطل القصة الخاصة به.

قال إسم جون ومدَّ يده. ظهرت بطاقة تعريف مهنة عليها ختم السفارة. *راسل غالاغر، ضابط الارتباط الثقافي*. وفق خبرة جون المحدودة فإن كلماتٍ مثل "ثقافي" و"ضابط" تميل إلى أن تكون تمويهاً لعملٍ استخباراتي.

حاوَل جون إعادة البطاقة لكن غالاغر أصرَّ على أن يحتفظ جون بها. وَضَعها جون في جيبه وسأل، "هل أنت مبعوثي؟".

ضحك غالاغر ضحكة صبيانية كما لو أن أحداً يدغدغه، رغم أن ملامح العمر بادية حول عينيه وبدأت تدفع خط شعره إلى الخلف. "لا، لسوء الحظ. لستَ محبوباً جداً في السفارة. الأرجح أنك تعرف من قبل أنهم حاوَلوا منع دعوتك إلى هذا الشيء".

كان جون يُدرك أنه بين الآثار الموالية المتبقية للإدارة، لا يمكنه أن يتوقع صفة مرغوب فيه تُعطى لشخصيته. لكن أن تحاول سفارةٌ منع حضوره مؤتمراً دولياً بدا أمراً مدهشاً. أليس لدى أولئك الأشخاص أي شيء أفضل ليفعلوه؟ "في الواقع"، أخبَر غالاغر، "لم أعرف ذلك".

كان هذا الطيش سبباً لمزيد من الضحك من غالاغر. كان يحاول جهده، فكَّر جون في سرّه.

"تبيَّن أن صديقتك، الأستاذة أرماستوس، لا تحبّ أن تُعامل باستهتار. هي أيضاً لديها أصدقاء. وكلما بذلت السفارة جهداً أكبر كلما أصبحت مصمِّمة أكثر على حضورك. خطاب رائع، بالمناسبة".

"هذه الليلة هي أول لقاء لي بها. لكن شكراً".

"اسمع"، قال غالاغر، وهو يُدرك أن أي شيء أراد أن يتكلَّم عنه الآن كان بلا طائل، "أنا هنا بإرادتي الذاتية لأخبرك أن الكثير منا ممنونون لك وعلى ما فعلتَه".

"شكراً مرة أخرى".

نظَرَ إلى جون، بوجه جريء بلطف. "كان أبي طبيباً بيطرياً في فييتنام، من الواحد والسبعين إلى الثاني والسبعين. وأحد الأشياء التي انخرط فيها كان برنامج فينيكس. قال دائماً إن سبب إطلاق هكذا

إسم سيئ عليه هو لأن عباقرة ابتكروه وحمقى نفّذوه. لكن حتى وقتها كان أكثر شيء فعّال رميناه بوجه الفيَت كونغ. أقرَّ الشيوعيون بهذا القدر بعد الحرب. كان أبي في سايغون، وأخبَرني أن متوسط العمر المتوقَّع لقائد خلية شيوعية في المدينة في العام 1972 كان حوالي أربعة أشهر. ولا شيء تجادل من أجله كان أسوأ مما كان أبي فخوراً بإنجازه مع فينيكس. فقط أردتُك أن تعرف أن الكثيرين منا معجبون بك".

بينما كان يضع مسودات مذكراته، نظر جون في الواقع إلى برنامج فينيكس. وعلِم أن وكالة الاستخبارات المركزية قامت بوعود داخلية بأن الفينيكس "سيُنفَّذ وفق القوانين العادية للحرب". وعلِم أيضاً أن عدة ضباط أميركيين مشاركين في فينيكس طلبوا إعفاءهم من واجباتهم لأنهم اعتبروا أن ما كانوا يفعلوه غير أخلاقي. وَقَف جون هناك ينظر إلى غالاغر. تعيينه في بيئة استونيا الفقيرة بالأهداف يتحدَّث عن نفسه. كان أبوه يصطاد الشيوعيين. وأشدّ أمر يستطيع الإبن أن يفعله لنفسه هو أن يتحدَّى سفارته لكي يُخبِر جون بإبقاء ذقنه مرفوعاً. مذهب المحافظة الذي كان غالاغر بلا أدنى شك من مؤيّديه لم يكن فلسفةً ملائمةً. كان مزاجاً سيئاً. لم يقل أي واحد منهما شيئاً لعدة ثوانٍ.

"أتريد شراباً؟"، سأل غالاغر. "تبدو بحاجة إلى واحد".

لم يرغب جون أن يتناول شراباً. لكنه بحاجة إلى واحد. خرَجا من ڤيرو معاً إلى ضوء الشمس الصامد للعاشرة مساءً في ليلة صيفٍ في تالين. سأل جون غالاغر منذ متى تم تعيينه هنا. "كنتُ في اليونان قبل هذا. عشر سنوات. وقبل ذلك في المارينز. أصبحتُ قبطاناً في العام 1998. خرَجتُ باكراً جداً قبل أن أستفيد من الأمور الممتعة".

سارا نحو وسط البلدة القديمة. في الضوء المتلاشي بدت الأبنية

ساطعة كخلايا الحركة. كان الناس يشربون في المقاهي على الرصيف، يشربون بينما يسيرون، يشربون بينما ينتظرون أن تبصق فتحات الصرّاف الآلي عملاتهم. لاحَظ جون زُمرات الشباب الروس ذوي النظرات الحادّة والمشيات غير المستقرة، الاسكتلنديين المتشابكي الأذرع الذين يغنّون، المدخّنين المتمايلين الذين يقفون خارج كل مقصف. لاحَظ أيضاً المتسوّلات العجائز الصغيرات الحجم اللواتي يرتدين ملابس رثّة، ثياب غير ملائمة للموسم، وكل واحدة منهن تبدو كما لو أنها تعاني من لعنة غجر غير قابلة للكسر. سأل جون غالاغر، "مع أي نوع من الثقافة ترتبط عادة حول هؤلاء؟".

نظَرَ غالاغر إليه. "قد تتفاجأ. لكنه مكانٌ ممتعٌ فيه العيش، حتى ولو كان الأستونيون غامضين نوعاً ما. صديق لي يعزف الجهير، وأخبَرني أنه أينما عاش في العالم كان قادراً دائماً على المشاركة في عروض الميكروفون المفتوح. يحتاج الجميع إلى عازف جهير. لكنه عندما وصل إلى تالين وكان يذهب إلى عرض ميكروفون مفتوح، كان يجد دائماً خمسة شباب أستونيين يحملون آلة جهير ويبحثون عن عازف غيتار رئيسي. هذه دولة عازفي الجهير".

تعلّقت عينا جون بفتاتين ترتديان كعباً عالياً وسروالَي جينز ضيّقين جداً تسيران نحوه. كانتا تسيران بصلابة نساء يطمعن سراً بتحرّش دائم وضيع، وكنَّ يحصلن عليه. وقد تخلّتا في أعقاب ذلك عن كل تهذيبهما وصرختا توسّلاتٍ روسيةٍ.

غالاغر أيضاً لاحَظ الفتاتين. "وبالطبع، هناك هذا. في تالين، حتى الفتيات البشعات جميلات نوعاً ما. وهذا تقابله حقيقة أن حتى الفتيات الذكيات غبيّات نوعاً ما".

سفر أم خطر

أكمل غالاغر كلامه بينما سارا. الكلام عن النساء أصبح كلاماً عن فنلندا، والذي أصبح كلاماً عن القوات الخاصة السوفياتية، والذي أصبح سرداً تاريخاً مكثّفاً لحقبة التسعينات. لم تكن هناك استمرارية في الحديث. وسرعان ما عاد المونولوج إلى أبيه. لم يعد جون يستمع إلى غالاغر، بل أخذ يتأمله. كان شعره خفيفاً، مترهّلاً، بلون الجاودار، وكان غالاغر في أغلب الأحيان يمسّده إلى الأمام - خَصلة طالب شقي عادت في منتصف العمر لإخفاء خط شعره المتراجع. الحديث عن أبيه تركت غالاغر يتخبَّط في شكاوى غير محدَّدة، رغم أنه بقي يصرّ على أن يضحك كل ثالث أو رابع جملة. "وهذا ما كان أبي يقوله دائماً"، ختم غالاغر كلامه.

جون، الذي فشل في التقاط جوهر خاتمة غالاغر (ربما لم تكن هناك واحدةٌ)، أومأ برأسه.

وكذلك فعل غالاغر. ثم: "مات فقط العام الماضي".

"تؤسفني خسارتك".

"حتى تكلّمنا عن مذكراتك عندما تسرَّبت. وسألتُه رأيه. توقَّع أن الإرهابيين سيستخدمون محاكمنا ضدنا. قال، 'تباً، أنا شخصياً خالَفتُ البند الثالث لاتفاقيات جنيف. عدة مرات!'".

تشكَّلت تجاعيد لطيفة من الانهماك على حاجب جون. كان هذا خطأً.

"ها قد وصلنا". كان غالاغر يشير إلى مقصف تحت الأرض في شارع بيك، وهو شارع جميل بشكل سخيف تجوّل فيه جون في وقت سابق من ذلك اليوم. كانت أضواء احتفال الشتاء معلّقة على نوافذ قبوه؛ ولم تكن هناك لافتة. جون لا يشرب، على الأقل ليس بأي

طريقة ينطبق عليها مفهوم "الشرب" الذي يعنيه الناس. كوب شراب عنب كل بضع ليالٍ، مع وجبة طعام دائماً؛ شراب شعير مستورَد بين الحين والآخر في فترات بعد ظهر الأحد الحارة؛ شراب شعير فاخر واحد بعد عشاء مُكلِف. عندما ذكرَ غالاغر موضوع الشراب، تخيَّل جون تشاركهما كوب شراب عنب في مقصفٍ. كان ذلك أحد تلك القوانين الاجتماعية التي تُخالَف بمنسوب خطر كبير فقط: لا تذهب أبداً إلى أي مكان مع شخص لا تعرفه جيداً.

تبَع جون غالاغر نزولاً على درجات أسمنية لملجأ ضد القنابل. غير مرتاح من قبل، أصبح أكثر اضطراباً عندما فتح غالاغر باباً – شخصٌ مخادِعٌ في ودّه – وتوجَّه فوراً إلى المشرب، حيث تبادل بعض الكلمات مع الفاتنة اللطيفة التي تكدح خلفه. قرَّر جون أن يلعب لعبة صغيرة مع نفسه ليرى كم من الوقت يستطيع أن يصمد هناك. وجَد طاولةً وانتظَر عودة غالاغر، لكنه عندما اِلتفَت، كان غالاغر يُمسك يد الساقية. قلَبَها وتتبَّع بسبابته بعض خطوط عرّافةٍ على راحة يدها. سحَبت الساقية يدها منه مبتسمةً واستخدمت الصنبور بينما راح غالاغر ينظر حوله باعتدادٍ بالنفس. أرسلت له قبلةً في الهواء بينما أعطته كوبين كبيرين. رفع لها غالاغر الكوبين في إيماءة امتنان. لكن الابتسامة توقَّفت لحظة إدارته ظهره لها.

أما بالنسبة لبقية زبائن المقصف: لم يبدُ أن هُناك أي زبائن. وقد اختار جون كموقع هبوطٍ له أكثر طاولة مركزية بين الطاولات الأربعة في الغرفة. متناثرةً على كشك منجَّد بشكل مأساوي عند أحد الجدران كانت ست شابات شبكنَ أيديهنَّ وهنَّ يحدِّقنَ في السقف، واضعات جزادينهن على أحضانهن. وفي الطرف الآخر للغرفة امرأة أخرى ترقَص

على مسرح ليس أكبر من الطاولة التي يجلس إليها جون الآن. لحسن الحظ أنها لم تكن تتعرَّى، ولم يبدُ عليها أنها مهتمة في أن تتعرَّى، بل كانت تتمايل بضجر على أنغام موسيقى خافتة بخجل لدرجة أن جون بالكاد كان قادراً على سماعها. كانت الجدران والسجادة حمراء قوية – وهذا كان العنصر الوحيد الذي يمكن تمييزه. حقيقة أن هذا بالضبط ما تخيّل جون أن الجحيم سيكون عليه لم يخفّف حدّة انطباعه. زرع غالاغر نفسه على الكرسي المقابل لجون ودفَعَ كوب شراب الشعير نحوه. "لا تبدأ الزحمة هنا عادة قبل الواحدة أو الثانية".

أومأ جون حوله. "ما هذا؟".

أثناء شربه قليلاً، ارتفع حاجبا عينَي غالاغر. وعندما أنزلَ الكوب، مسحَ لسانه شاربه الرغوة. "مكان للسادة الفطنين. لا تقلق. إنه لا شيء لا تريده أن يكون".

عندها جاءت المرأة التي كانت ترقص وجلست بجانب جون. كانت جميلة حقاً وترتدي فستاناً أسود يمكن أن يتّسع داخل جزدان العملات المعدنية. رقصها تركها مبلّلة بالعرق وتتلألأ، مثل نظامٍ بيئيٍ.

نظرَ جون بأسف إلى مضيفه. "غالاغر، رجاءً".

ضحِك غالاغر مرة أخرى. "شراب واحد أيها المستشار القانوني. مكان لطيف للاسترخاء إذا سمحتَ لنفسك". ثم قال للمرأة الراقصة، "عزيزتي دايقه. تعالي واجلسي بجانبي". ففعلت. المرأة التالية التي أتت حاوَل غالاغر إبعادها بإيماءة من يده؛ جلَست بجانب جون على أي حال.

صافَحها جون. كانت رِجلاها نحيلتين جداً، وبنطلونها القابل للتمطّط مشدوداً حول فخذَيها لكنه بالكاد يأخذ شكلاً عند ركبتَيها.

كان عنقها سويقةً وريديّةً. نخَرت بطريقة متأثرة وسحَبت مشبكَين فضيين من شعرها الأسود. كانا للزينة فقط: لم تسقط أي جدلة واحدة على وجهها. تفحَّصت المشبكَين كما لو أنها أخرجتهما من قاع النهر. كانت تنتظر أن يتكلَّم جون. أعادت المشبكَين إلى شعرها وراحت تتأمل قدمها وهي تنقرها على السجادة الحمراء التي بدت كما لو أنها مستقبلة عدة أحزان مَعِدية. كانت أظافر أصابع قدميها بلون رقائق الألومنيوم. بقي جون لا يقول شيئاً لها. في تلك الأثناء، كان غالاغر ينسجم جيداً مع الفتاة الراقصة. صدقاً. بدَوا أنهما يُجريان حديثاً جدّياً نوعاً ما. أشعَلت المرأة التي بجانب جون سيجارةً وأخذت إحدى تلك المجّات الطويلة التي تجعل السجائر تبدو جذّابة في الواقع. تسرَّب الدخان من زوايا فمها. رحلت بعد دقيقة أخرى من هذا، وبقي جون لوحده مع شراب شعيره.

ما لم يستفسروا عنه بعد خطابه كان عما إذا عانى من أي تحفّظات خلال فترة كتابته مذكراته. عانى جون فعلاً من تحفّظات عَرَضيّة. كلهم عانوا من ذلك. وقد قلِق جون أولاً من أن المستجوِبين قد لا يشعرون أنهم مقيَّدون بنفس وخزات الضمير الأخلاقية التي يشعر بها جون. كما قلِق مما كان يسمّى "انجراف القوة"، حيث أن القوة المطبَّقة بشكل غير ناجح لا يكون أمامها أي خيار آخر سوى أن تصبح قوة مطبَّقة مرة أخرى، لكن بإصرار أكبر. وفي النهاية، كان الاستجواب المحسَّن معذوراً فقط إذا تم افتراض أن الشخص الذي يتم استجوابه لا يعرف شيئاً. لهذا السبب لم يتخيَّل أبداً أن يجري تطبيقه على أي شخص آخر غير أعضاء تنظيم القاعدة.

فهِم جون أن حججه مثيرة للجدل وحتى منفِّرة أحياناً، لكنها

قرارات قانونية وليست قرارات أخلاقية. لم يبتكر جون السياسة أو يخترع الأسلوب الفعلي الذي يتّخذه "الاستجواب المحسَّن". بل فقط يقارن القانونية بالتشريعات ذات الصلة. كانت مذكراته تتمحور حول ثماني عشرة طريقة، وهي تنقسم إلى ثلاث فئات. الفئة الأولى محدودة بأسلوبين: الصياح والخداع. الفئة الثانية تتألف من اثنَي عشر: مواضع الإجهاد، العزل، الوقوف القسري لما يصل إلى أربع ساعات، استغلال الرُهاب، مستندات خاطئة، إزالة من مواقع الاستجواب القياسية، استجوابات تدوم لأربع وعشرين ساعة، تنويع الطعام، نزع الثياب، الاستمالة القسرية، الحرمان من الضوء، والموسيقى الصاخبة. الفئة الثالثة، المخصَّصة للاستخدام فقط في أصعب الحالات، تنقسم إلى أربعة أساليب: اتصال جسدي خفيف، سيناريوهات تهدِّد بموت المعتقَل أو عائلته، تعريض شديد لعناصر الطبيعة، ومحاكاة الغرق. هناك فئة رابعة أيضاً، لحسن الحظ أنه لم يُطلَب منه أبداً أن يحكم عليها. كانت الفئة الرابعة هي الأكثر إحساساً بالوحدة أيضاً. أسلوبها الوحيد: التسليم الاستثنائي.

أخبَر جون نفسه، بينما كان يفكِّر بترك وزارة العدل، أن الوضع في الخارج سيكون أفضل. نزهات في حدائق خريفية، السرور بالطلاب المنتظرين خارج مكتبه، كل الجو الذي لا تستطيع واشنطن توفيره أبداً ما عدا في التقدير التقريبي القائم على الرشوة. كانت وزارة العدل متحفاً، وأروقتها الرخامية الباردة تقود إلى نوع من الشيخوخة المبكرة الفكرية: حتى اليافعون هناك يصبحون عجائز بسرعة. كان أدينغتون أكثرهم حزناً من رحيل جون. هل تريد حقاً، سأله أدينغتون، تعليم أولاد أغنياء مدلَّلين يعطون عمليات قتل الرُعاع البروليتاريين إسماً جيداً؟

خلال الأشهر التي تلت رحيل جون، سُحب العديد من قراراته ثم عُلِّقَت. وعلِم جون لاحقاً أن أدينغتون احتجّ على ذلك بقوله إن الرئيس كان يتكل على آراء جون. في تلك الحالة، أتاه الجواب، الرئيس ربما كان يخالف القانون. بعد خمسة أشهر، أبو غْريب. وبعد سبعة أشهر، رُفعَت السرية عن مذكرات جون. ادّعى غونزاليس، في المؤتمر الصحفي، أنه يريد أن يُظهِر لوسائل الإعلام أن العناية الواجبة والتدقيق القانوني الملائم يحدثان في كل خطوة من خطوات الاستجواب المحسَّن. هذا ما يظن أنه المسألة في الواقع.

لن ينسى جون أبداً الطاقة المهدِّدة الكامنة في اجتماعات مجلس الحرب تلك. كانوا كلهم واثقين مثل الماويين. فايث، هاينز، أدينغتون، غونزاليس، فلانيغان - رجال على مسافة خطوة واحدة من الرئيس. محامو المحامي. لقد عانت الدولة من نوبة قلبية وكانوا يُمسكون أقطاب مُزيل الرجفان، ويتعاونون معاً لارتجال استراتيجيات قانونية لشيء لا يوجد قانون بعد ليحويه. كانوا يجتمعون في مكتب غونزاليس في البيت الأبيض، وأحياناً في وزارة الدفاع. اجتماعات بسيطة بلا طعام وبلا محاضر، والضيافة الرئيسية فيها لا تعدو أكثر من مجرد دايت كولا. غالباً ما كان جون ينظر إلى نفسه وإلى غونزاليس خلال تلك الاجتماعات. كان جون أميركياً من الجيل الأول، وغونزاليس إبن مهاجِرين فقيرَين لدرجة أنه لم يكن لديهما هاتف حتى. ومع ذلك ها هو يضع مسودة سياسة خلال أخطر أزمات الأمن القومي منذ نصف قرن، ويعمل كمستشار قانوني شخصي لأقوى رجل في العالم. هذه كانت الأميركا التي كان جون مستعداً أن يفعل أي شيء قانوني لحمايتها.

ثم لديك فايث وأدينغتون، رجلان آليان يعتبران البشر الآخرين

مجرد تشكيلة اختلالات ذهنية مثيرة للاهتمام. الغمّازات على وجه فايث المجعَّد هي مخازن سموم. كان يوزِّع مذكرات من دون قسائم لكي لا يستطيع أحد أن يتأكد إلى مَن هي موجَّهة، أو يرسل نُسخاً كربونيةً منها إلى أشخاص لا يتلقونها أبداً في الواقع. ألقى خُطباً عن حُرمة جنيف فقط ليزيد من تنافر كَفَنه المبجَّل الذي يوسّخه الإرهابيون. كانت ممارسة فايث للمحاماة مُربكة بوضوح لدرجة أن الذين سمعوه يتكلَّم عن جنيف انصرفوا معتقِدين أن البند الثالث سينطبق على أي شخص تعتقله الولايات المتحدة. وفي نهاية أحد مونولوجات فايث، جعل أحد رؤساء الأركان يعتقِد عن خطأ أن كل أساليب الاستجواب المحسَّن الثمانية عشرة يوافق عليها الدليل الميداني للجيش. علماً أن الدليل الميداني لا يوافق على أي أسلوب منها في الواقع. وفكرة إطلاق وكالة استخبارات جديدة تدعى الإدراك الكلي للمعلومات، وشعارها عين مجنونة تراقب العالم؟ فقط فايث.

أما بالنسبة لأدينغتون: عينا تمثال روسي، طريقة لينكولن في المشي، التخلّص من قنبلة يدوية. بعد الهجمات، بدأ أدينغتون يحمل نسخةً من الدستور في جيبه رثّة ومهلهَلة لدرجة أنها تبدو كأنها خدَمت كمنديل أو واقية أكواب أو الاثنين معاً. وكلما يعارضه أي شخص، يُخرجها ويبدأ القراءة منها. عبقرية أدينغتون المميزة هي التي اقترحت تأطير كل حجة قانونية وأخلاقية بمصطلحات حربية، بينما تأتي كل حجة عن الحرب الفعلية مكسوة بتعابير شفافة ملطَّفة. ربما لهذا السبب، من بين كل الأسباب، فقط أدينغتون هو الذي نجا. فقط هو الذي تمكَّن من إبقاء إسمه خارج كل مستند ذي صلة.

لقد حاوَلوا التشريع ضمن جو كان فيه وجود قنبلة موقوتة تتكتك

هو الافتراض التشغيلي وليس الإحصاء النائي الذي كان بلوتو عليه. الآن يستطيع جون رؤية ذلك، لكن تلك كانت مجرد إحدى طرق التفكير بالمسألة. هناك طريقة أخرى هي: الذكاء هو القدرة على رؤية قابلية تطبيق المعلومات الخارجية الواردة. أفضل جزء في المعرفة هو أن تعرف ماذا يحق لك أن تنسى.

تم إخضاع ثلاثة أشخاص للإيهام بالغرق. ثلاثة أشخاص. وبسبب ذلك اضطر إلى الإجابة على أسئلة عن جرائم حرب. سمِع جون أن خَلَفه سمح لنفسه بأن يخضع لعملية الإيهام بالغرق قبل أن يقدِّم قراره عما إذا كانت تتجاوز كل الخطوط الحمراء. الجواب: تتجاوزها. لكن بسبب كل ذلك، بسبب كل النقاش والمهن المنتهية، كانت وكالة الاستخبارات المركزية لا تزال تسمح باستخدام محاكاة الغرق (فضّل جون في الواقع هذا المصطلح الصادق أكثر)، تماماً مثلما جادَل جون أصلاً. كانت حججه الجوهرية لا تزال سارية. بالطبع، لا أحد في وزارة العدالة أراد أن يوقِّع على استخدام وكالة الاستخبارات المركزية لذلك الأسلوب، لكن الرئيس وجَد رَجله. هو دائماً يجد رَجله. لكن ذلك كان مرّاً. لم يكن جون مرّاً. كان ليفضِّل أن يرى فايث أو غونزاليس أو آشكروفت، أو أحدهم، لوحده في مدينة أوروبية، يجيب على أسئلة عن السياسات التي سمحوا بها وكانوا يخجلون منها الآن.

نظَرَ جون إلى كوب شرابه، الفارغ الآن. لقد شرب كل شراب شعيره بطريقة أو بأخرى. عرَف أنه يمكنه أن يكتئب هنا، طوال الليل، ويدع الموجة الداكنة تحمله.

"أنا جاهز للمغادرة"، أخبرَ غالاغر، الذي كان لا يزال يجري محادثته الثقافية مع الراقصة.

نظَرَ إلى جون. "آمل أن تكون قد دبَّرت وقتاً لرؤية متحف الاحتلال غداً".

"لا أستطيع، في الواقع. سأرحل في الصباح". نظَرَ جون إلى ساعته. لقد تخطّى الوقت منتصف الليل من قبل.

استرخى غالاغر على كرسيه. "مؤسف. تالين مكان لطيف لتمضية اليوم فيه".

"شكراً على الشراب"، قال جون وهو يقف. "لا تتردّد في البقاء. يمكنني إيجاد طريق الخروج".

بقي غالاغر جالساً لكنه مدَّ يده. "آمل يوماً أن نلتقي مرة أخرى. رحلة موفّقة غداً".

عند الباب، استدار جون ليلقي نظرة خاطفة أخيرة على غالاغر. كان في خليته من قبل، منحنياً على كرسيه، والراقصة تنهض لتغادر. لاحَظ غالاغر أن جون يتلكّأ عند المدخَل وأرسل له تحية غير صارمة كثيراً. من الصعب التصديق أن هذا الشاب من البحرية. تساءل جون، لكن فقط للحظة، مع مَن يتحدَّث غالاغر.

انتهى فيلم استجواب جانيكا منذ أكثر من عشرين دقيقة أو ساعتين. كان من المستحيل تحديد الوقت في الظلمة. فالضوء يعطي مرور الوقت عمقاً، بينما الوقت يمرّ في الظلمة مثل القيادة في حقول الذرة – شبه لانهائي، مليء باللامنظور.

لم يعرف ماذا كان التمرين يهدف إلى أن يستفز فيه. لم يكن متعاطفاً جداً مع أولئك الذين ساعَد على تحتيم التعذيب لهم أكثر مما

كان من قبل. لقد أساءوا فهمه. لم يفهموا ما الذي جادَل بشأنه في الواقع. أولئك الذين يتحكّمون بهذه الطائرة، وبحياته الآن، ليس لديهم شيء ليكسبوه منه، ما عدا إشباع ساديّتهم. وهو، في المقابل، ليس لديه شيء يمكنه أن يعطيهم إياه، ما عدا لذّة تعذيبه. لقد كَتَب أن التعذيب مسألة نوايا. وهو يعرف الآن أن التعذيب أكثر من ذلك بكثير. إنه تبادل المعرفة الداكنة، نبش القدرات المخفية، إبادة التواصل.

فجأة أخذ جون يحدِّق في سقف الطائرة، والهواء المتدفّق من فوهاتها الجراحية بغموض. عادت الأضواء. استدار على المقعد الذي اتّخذه في الدرجة السياحية ولم يكن مستعداً جداً لرؤية جثة جانيكا المتكسِّرة وهي لا تزال متشابكة بالأمتعة. عندما وَقَف، اندفعت هَبَّات هواء عابقة بالغثيان عبر قماش المدخنة في ثيابه.

بعد أن انتهى معذِّب جانيكا من الفئة الأولى ومن الأساليب الأوبرالية البصرية أكثر للفئتين الثانية والثالثة، دخلَ عدة رجال آخرين الغرفة. وما حصل بعد ذلك كان مُرعِباً مثل أي شيء آخر رآه جون. رفَض أن يشاهد معظمه وفتح عينيه فقط بعد توقّف أصوات كفاحها. بينما كان الرجال يتحققون من خمود علامات جانيكا الحيوية، توقف الفيلم.

عاد جون إلى مقعده. كان هاتفه الآيفون يجلس عليه، أبيض مثل رقاقةٍ. تفرَّع فيضانٌ مغفَّلٌ من الأفكار نحو ما يستطيعه من أراضٍ منخفضةٍ قليلةٍ باقيةٍ. إحداها كان غالاغر، الشخص الوحيد الذي عرَف أن جون غيَّر رحلته. كانت بطاقة غالاغر لا تزال في جيب صدره. أخرجها ونظَرَ إليها، وراح إبهامه يمسّد ختم السفارة الناتئ. تساءل كيف عرَف غالاغر أنه لن يرمي البطاقة. تساءل كيف يُعقَل أن

انيكا ترتدي نفس الملابس في فيديو الاستجواب كالتي ترتديها على هذه الطائرة. تساءل لكم من الوقت بقي فاقد الوعي في الواقع وما إذا كانت هذه هي الطائرة التي صعد إليها. تساءل أين يختبئ على هذه الطائرة أولئك الذين يفعلون هذا به. تساءل، أيضاً، كيف كان هاتفه الايفون يتلقى أي خدمة، لكن ها هي: شريطان من الإشارة. أتاه جوابٌ على أحد أسئلته: لم يتوقَّع غالاغر أن يحتفظ جون ببطاقته. كان جون قد ضغط أربعة أعداد من رقم غالاغر عندما اشتغلت ميزة التعرّف. لقد أُضيف إسم غالاغر إلى هاتفه من قبل.

ردَّ غالاغر بعد الرنّة الثالثة. "تالين مكان لطيف لتمضية اليوم فيه. كان عليك أن تأخذ بنصيحتي".

ماذا يمكن أن يقول جون؟ لقد حصلوا على ما أرادوه.

"ليس لديك أي سؤال؟ لا ألومك. لديك مشاكل أكبر، أيها المستشار القانوني. أظن أن عليك أن تستدير الآن".

استدار. رجلٌ يرتدي قناع تزلّج أسود وقميصاً تائياً مكتوباً عليه "أنت حثالة" ضرب جون على وجهه بآلة ذات سطح معدني كليل بشكل مرعب. عندما التقت رُكبتاه بالسجادة، رأى الغرض بوضوح: نفس ضاغط الهواء الذي استخدَمه ليضرب باب قُمرة القيادة. امتلأ رأس جون بالألم. لم يتذكّر الضربة الثانية لكن لا شك أنه تلقاها، لأنه استيقظ، بشكل فجائي مرة أخرى، في غرفة خشبية مقيَّداً بكرسي. لم تعد إحدى عينيه تعمل. وقد اختفت بعض أسنانه وشَعَر أن لسانه متورّمٌ ودمويٌ مثل عَلَقةٍ. أخفَض نظره إلى قميصه: مئزر جزّار. كان صوت محرّك الطائرة لا يزال في أذنيه. واهتزّت الغرفة بمطبّ هوائي. يمكنه سماع أصوات بكاءٍ في مكان قريب. رأى جون أن غالاغر يجلس

مقابله، ويداه تمسكان لافتةً أخرى. لم يُظهِرها لجون، لكن كان بإمكان جون قراءتها. قال غالاغر إنه يمكنه أن يعِد جون بأسئلةٍ ولكن ليس بأجوبةٍ. كما قال له إن هذه تقنية جديدة لجميع الضالعين فيها. وحتى هو ليس متأكداً إلى أين يمكن أن تُفضي هذه. "هل أنت جاهز؟"، سأله غالاغر. "أحتاج أن أعرف إن كنتَ جاهزاً". أومأ جون برأسه، وهو يشعر بطريقة أو بأخرى بطعم لهذا الدم الذي يملأ فمه. فُتح الباب الذي خلفه. خُطى. يدان مثل فوهات خالية من الأسنان قبضتا عليه. لقد بدأت الفئة الخامسة.

دقيقتان وخمس وأربعون ثانية

دان سيمونز

ألّف دان سيمونز روايات خيال علمي حازت على جوائز (Hyperion [هايبريون])، وروايات خيال/رعب حازت على جوائز (Carrion Comfort [راحة الجيفة])، وقصصاً تحتوي على عناصر من الاثنين. إليك إحدى أفضل قصصه الأخيرة، الباهرة لوضوحها وإيجازها. يقترح سيمونز أن دقيقتين وخمس وأربعين ثانية يمكن أن تكون طول أغنية شعبية... نزهة في أفعوانية... أو فقط الوقت الكافي ليُمعن المرء التفكير بموته المندفِع.

أغمض روجر كولڤن عينيه وثبّت القضيب الفولاذي على حُضنه وبدأوا الصعود الشاهق. يمكنه سماع خشخشة السلسلة الثقيلة وصرير العجلات الفولاذية على القضبان الفولاذية بينما تقعقِع على التلة الأولى للأفعوانية. شخصٌ خلفه ضحِك بتوتّر. مرتعباً من الارتفاعات، وقلبه يخفق بسرعة مؤلمة على أضلاعه، اختلَس كولڤن النظر بين أصابعه المتباعدة عن بعضها.

راحت القضبان المعدنية والإطار الخشبي الأبيض ترتفع أمامه بشكل حادّ. كان كولڤن في العربة الأولى. أخفَض يديه وأمسَك القضيب المعدني المقيّد بشكل محكم، وشَعَر بالعرق الجاف لراحات الأيدي السابقة هناك. قهقه شخصٌ في العربة التي خلفه. أدار رأسه بما

يكفي فقط لينظر إليه فوق القضبان.

كانوا على علو مرتفع جداً ولا يزالون يصعدون. أصبحت أكشاك ألعاب التسلية ومرائب السيارات أصغر حجماً، وازداد صغر حجم الأفراد لكي يمكن رؤيتهم، وأصبحت الحشود مجرد سجادات ألوان، تتضاءل إلى فسيفساء أكبر من هندسات شوارع وأضواء بينما أصبحت المدينة بأكملها مرئية، ثم المقاطعة بأكملها. أكملوا يقعقعون إلى أعلى أكثر. وأظلمت السماء إلى أزرق داكن أكثر. يستطيع كولڤن رؤية انحناء كوكب الأرض في الأفق الأزرق الضبابي. أدرَك أنهم كانوا بعيدين فوق حافة بحيرةٍ الآن عندما لمحَ وميض الضوء على رؤوس الأمواج التي تحتهم بكيلومترات عبر الربطات الخشبية. أغمض كولڤن عينيه بينما مرّوا للحظة في الأنفاس الباردة لسحابةٍ، ثم أعاد فتحهما مع تغيُّر حدّة لعلعة السلسلة، مع تراجع حدّة الصعود، مع وصولهم إلى القمة.

واجتازوها.

لم يكن هناك شيء وراءها. انحنى القضيبان إلى الخارج ونزولاً وانتهيا في الجو.

أمسَك كولڤن القضيب المقيّد مع انحدار العربة إلى الأمام. فتَح فمه ليصرخ. بدأ السقوط.

"مهلاً، لقد انتهى أسوأ جزء". فتَح كولڤن عينيه ليرى بيل مونتغمري يسلّمه شراباً. كان صوت محرّكات غالفستريم النفّاثة لعلعةً مملةً تحت الهسهسة اللطيفة للهواء الخارج من فوهة مروحة التهوية في السقف. أخذ كولڤن الشراب، وخفَّف قوة انسياب الهواء، وألقى نظرة سريعة خارج النافذة. لقد اختفى مطار لوغان الدولي عن الأنظار من قبل ويستطيع كولڤن رؤية شاطئ نانتاسكيت تحتهم، وقد أضحى

ممّعاً لمثلّثات الأشرعة البيضاء الصغيرة في فُسحة الخليج والمحيط الذي بعده. كانوا لا يزالون يصعدون.

"تباً، نحن مسرورون أنك قرّرت أن تأتي معنا هذه المرة يا روجر"، قال مونتغمري لكولڤن. "من الجيد أن يكون الفريق بأكمله معاً مرة أخرى. مثل الأيام الخوالي". ابتسم مونتغمري. رفعَ الرجال الثلاثة الآخرون في المقصورة أكوابهم.

راح كولڤن يلهو بالحاسبة التي في حُضنه ويرتشف شرابه الروسي. أخذ نَفَساً وأغمض عينيه.

خائفٌ من الارتفاعات. خائفٌ *دائماً*. في السادسة من عمره وفي الحظيرة، يسقط من الدور العلوي، السقوط يبدو لانهائياً، الوقت يطول، والأسنان الحادّة للمذراة ترتفع نحوه. الهبوط، وأنفاسه تنقطع من الألم، الخد والعين اليمنى على القش، يبعُد ثمانية سنتيمترات عن النقاط الفولاذية للمذراة.

"الشركة جاهزة لرؤية أيام أفضل"، قال لاري ميلر. "سنتان ونصف من الصحافة السيئة وقتٌ كافٍ. من الجيد رؤية الإطلاق غداً. تعاود الأشياء السير مرة أخرى".

"ها هي، ها هي"، قال توم وايسكوت. لم يكن قد حلَّ الظهر بعد وتوم قد أكثَرَ من تناول الشراب من قبل.

فتَح كولڤن عينيه وابتسم. مُحتسباً نفسه، كان هناك أربعة نواب لرئيس الشركة في الطائرة. وايسكوت لا يزال مدير المشروع. وَضَع كولڤن خدَّه على النافذة وراح يراقب خليج سمك القدّ يمرّ تحتهم. قدَّر ارتفاعهم بحوالي ثلاثة آلاف وثلاثمئة أو ثلاثة آلاف وسبعمة متر والحبل على الجرّار.

تخيَّل كولڤن مبنىً ارتفاعه خمسة عشر كيلومتراً. من القاعة المكسوة بالسجاد في الطابق العلوي سيدخل المصعد ذا الأرضية المصنوعة من زجاج. ينخفض بئر المصعد 4,600 طابقاً تحته، وكل طابق معلّم بأضواء هالوجين، والأضواء المتوازية تقترب أكثر في الكيلومترات الخمسة عشرة من الهواء الأسود تحته إلى أن تندمج في ضبابيةٍ في الأسفل.

يرفع نظره في الوقت المناسب ليرى السلك ينقطع، ينفصل. يقع، مُمسكاً عبثاً بالجدران الداخلية للمصعد، الجدران التي أصبحت زلقة مثل أرضية الزجاج الشفاف. تُسرع الأضواء في المرور حوله، لكن الأرضية الأسمنتية للبئر التي تبعد كيلومترات تحته مرئية من قبل - مربع أسمنتي أزرق صغير جداً، يزداد حجمه مع سقوط مقصورة المصعد بسرعة. يعرف أن لديه حوالي ثلاث دقائق ليراقب اقتراب ذلك المربع الأزرق، ارتفاعه ليحطِّمه. صرخات كولڤن وطوف البُصاق في الجو أمامه، الساقط بنفس السرعة، معلَّقاً في الهواء هناك. تتجاوزه الأضواء بسرعة. يزداد حجم المربع الأزرق.

أخذ كولڤن رشفةً من الشراب، ووضع الكوب في الدائرة المخصصة له على الذراع العريضة لكرسيه، وراح ينقر على حاسبته.

سقوط الكائنات في حقل جاذبيةٍ يتقيَّد بقواعد رياضية دقيقة، دقيقة مثل متّجهيات القوة ومعدلات الاحتراق في الشحنات المقولبة والوقود الصلب الذي صمّمه كولڤن لعشرين سنة، لكن تماماً مثلما يؤثّر الأكسجين على معدلات الاحتراق، كذلك يتحكّم الهواء بسرعة سقوط الجسم. تعتمد السرعة النهائية على الضغط الجوي، وتوزيع الكتلة، ومساحة السطح بقدر ما تعتمد على الجاذبية.

أخفَض كولڤن جفنيه كما لو أنه يريد أن يكبو ورأى ما كان يراه

سفر أم خطر

كل ليلة عندما يدّعي أنه نائم؛ السحابة البيضاء المنتفخة، تتوسَّع إلى الخارج مثل فيلم مصوَّر بانقضاء الزمن لسحابة ركامية مائلة تُزهِر في سماء زرقاء داكنة، والداخل البني الضارب إلى الحُمرة للهب تتروكسيد النتروجين، و- بالكاد مرئي تحت ذَيلَي التكثّف الغبيين الناشئين للمعزِّزات العاملة بالوقود الصلب - المربع الغائم البهلواني للقسم الأمامي من هيكل الطائرة، بما في ذلك قُمرة القيادة. حتى أكثر الصور تضخيماً لم تُظهِر له التفاصيل الدقيقة - وعاء الضغط السليم الذي كان مقصورة الطاقم، المحترق على الجهة اليمنى حيث سلَّط المعزِّز العامل بالوقود الصلب لهبه عليه، يسقط بشكل حر جارّاً خلفه الأسلاك والكبلات وأجزاءً من هيكل الطائرة مثل الحبل السُرّي وخروج المشيمة. لم تُظهِر الصور السابقة تلك التفاصيل، لكن كولڤن رآها، لمسها، بعد الاصطدام الممزِّق بالبحر الأزرق العديم الرحمة. كانت هناك طبقات محار صغيرة جداً تنمو على البشرة الممزَّقة. تخيَّل كولڤن الظلمة والبرد المنتظرَين في نهاية ذلك السقوط؛ والأسماك الصغيرة تقتات.

"روجر"، قال ستيڤ كاهيل، "من أين جاءك الخوف من الطيران؟".

هزَّ كولڤن كتفيه، وأنهى كوب شرابه الروسي. "لا أعرف". في فييتنام - ليس "نام" أو "داخل البلاد" - مكانٌ لا يزال كولڤن يريد اعتباره مكاناً أكثر مما هو حالة، سافر. كونه خبيراً بالشحنات المقولبة والوقود الدافع، أُرسِل كولڤن إلى وادي بونغ سون بالقرب من الساحل ليرى لماذا لم تكن شحنة متفجرات C-4 بلاستيكية قياسية تنفجر مع وحدة من الجيش الفييتنامي الجنوبي عندما انفصَل الدوّار الرئيسي لمروحيتهم وسقطت تلك الأخيرة، دون الدوّار، من ارتفاع خمسة وثمانين

متراً في الأدغال، ممزِّقةً حوالي ثلاثين متراً من النباتات الكثيفة، وتوقفت، مقلوبةً رأساً على عقب، في نباتات معترشة تعلو ثلاثة أمتار عن الأرض. طُعن الطيّار بغصن شجرة اقتحم أرضية المروحية بشكل أنيق. وتحطَّمت جمجمة مساعِد القبطان على الزجاج الأمامي. ورُمي المدفعي خارجاً، كاسراً عنقه وظهره، ومات في اليوم التالي. ونجا كولڤن بكاحلٍ ملتوٍ فقط.

أخفَض كولڤن نظره بينما اجتازوا نانتاكيت. قدَّر ارتفاعهم بخمسة آلاف وخمسمئة متر ويواصلون الصعود. عرَف أن ارتفاع طيرانهم سيكون تسعة آلاف وثمانمئة متر. أقل بكثير من أربعة عشر ألف متر، خاصة مع الافتقار لمتّجهي الدفع العمودي، لكنه يعتمد كثيراً على مساحة السطح.

عندما كان كولڤن فتىً في الخمسينات، رأى صورة فوتوغرافية في ناشونال إنكوايرر "القديمة" لامرأة تقفز عن مبنى إمباير ستايت وتحطّ على سقف سيارة. تقاطعت رِجلاها بشكل عفوي تقريباً عند الكاحلَين؛ وكان هناك ثقب في إصبع القدم لأحد جاربَيها النايلون. تسطَّح سقف السيارة، وانطوى إلى الداخل، تقريباً مثل فِراش ريش إوز كبير، وقَولب نفسه إلى وزن شخصٍ نائمٍ. بدا رأس المرأة كما لو أنه غارق عميقاً في وسادة طرية.

راح كولڤن ينقر على حاسبته. فالمرأة التي تترجّل عن مبنى إمباير ستايت ستسقط لحوالي أربع عشرة ثانية قبل أن ترتطم بالشارع. والشخص الذي يسقط في صندوق معدني من ارتفاع 14,000 متر سيسقط لدقيقتين وخمس وأربعين ثانية قبل أن يرتطم بالماء.

بماذا كانت تفكّر؟ بماذا *كانوا* يفكّرون؟

سفر أم خطر

أشهر الأغاني وفيديوهات موسيقى الروك مدتها حوالي ثلاث دقائق، فكَّر كولقن في سرّه. هذه مدة زمنية طويلة؛ ليست طويلة كفايةً لكي يضجر المرء، لكن طويلة كافيةً لإخبار قصة كاملة.

"نحن محظوظون جداً أنك معنا"، قال بيل مونتغمري مرة أخرى.

"تباً"، كان بيل مونتغمري قد همَس لكولقن خارج قاعة المؤتمرات عن بُعد للشركة قبل سبعة وعشرين شهراً، "هل أنت معنا أم ضدنا في هذا؟".

كان المؤتمر عن بُعد يشبه جلسة استحضار أرواحٍ إلى حد بعيد. فتجلس المجموعتان في غُرفتين نصف معتمتين تبعدان مئات أو آلاف الكيلومترات عن بعضهما وتتواصلان بأصوات لا تأتي من مكان محدَّد.

"حسناً، هذه هي حالة الطقس هنا"، جاء الصوت من مركز كينيدي للفضاء. "كيف سيكون؟".

"لقد رأينا أموركم المرسلة بالفاكس"، قال الصوت من مارشال، "لكننا لا نزال لا نفهم لماذا يجب أن نفكّر بالإلغاء بناءً على شواذ صغير جداً. لقد أكَّدتم لنا أن هذه الأمور آمنة ضد التعطيل لدرجة أنه يمكنكم ركلها في الشارع إن أردتم".

فيل ماكغواير، المهندس الرئيسي في فريق مشروع كولقن، تشنَّج على مقعده وتكَّلم بصوتٍ عالٍ جداً. كان للهواتف الرُباعية الأسلاك للمؤتمرات عن بُعد مكبِّرات صوت بالقرب من كل كرسي ويمكنها التقاط أخف الأصوات. "أنتم *لا* تفهمون، أليس كذلك؟"، قال ماكغواير وهو يصرخ تقريباً. "إنها *تركيبة* درجات الحرارة الباردة تلك واحتمال حصول نشاط كهربائي في تلك الطبقة من السحابة هي التي تسبِّب المشاكل. في الرحلات الخمسة الماضية، حصلت ثلاثة أحداث

عابرة في الأسلاك الممدودة من الشحنات المقولبة الخطيّة للمعزِّزات العاملة بالوقود الصلب إلى هوائيات أمر أمان المدى..."

"أحداث عابرة"، قال الصوت من مركز كينيدي للفضاء، "لكنها ضمن بارامترات شهادة الطيران؟".

"حسناً... نعم"، قال ماكغواير. بدا على وشك البكاء. "لكنها ضمن البارامترات لأننا نواصل توقيع الأوراق وإعادة كتابة البارامترات اللعينة. نحن فقط لا *نعرف* لماذا شحنات أمان المدى المقولَبة C-12B على المعزِّزات العاملة بالوقود الصلب والخزّان الخارجي تسجِّل انسياباً عابراً في التيار عندما لا تكون هناك وظائف تمكين تُرسل شيئاً. يعتقد روجر أن ربما سلك التمكين في الشحنة المقولبة الخطية أو المركَّب C-12 نفسه يستطيع السماح بحصول تفريغ ساكن عن غير قصد لمحاكاة إشارة أمرٍ... آه، تباً، *أخبِرهم* يا روجر".

"سيد كولفن؟"، جاء الصوت من مارشال.

تنحنح كولفن. "هذا ما كنا نراقبه منذ بعض الوقت. تقترح البيانات التمهيدية أن درجات الحرارة ما دون 2- مئوية تسمح لمخلّفات أكسيد الزنك في كدسات الـ C-12B أن تمرِّر إشارة خاطئة... إذا كان هناك تفريغ ساكن كفاية... نظرياً..."

"لكن لا توجد قاعدة بيانات واضحة بشأن هذا بعد؟"، قال الصوت من مارشال.

"لا"، قال كولفن.

"وقد وقَّعتم التنازل «درجة أولى خطورة» عن جهوزية الطيران في الرحلات الثلاثة الأخيرة؟".

"نعم"، قال كولفن.

"حسناً"، قال الصوت من مركز كينيدي للفضاء، "لقد سمِعنا رأي المهندسين في بونيت، ماذا تقولون إنه لدينا توصيات من الإدارة هناك؟".

طالبَ بيل مونتغمري باستراحة لخمس دقائق واجتمعَ فريق الإدارة في القاعة. "تباً يا روجر، هل أنت معنا أم ضدنا في هذا؟".

أشاح كولڤن بنظره.

"أنا جدّي"، قال مونتغمري محتدّاً. "لقد حقَّق قسم الشحنات المقولبة الخطية *أرباحاً* بـ 215 مليون دولار لهذه الشركة هذه السنة، وكانت وظيفتك جزءاً مهماً من ذلك النجاح يا روجر. والآن تبدو كأنك مستعد أن تتخلّى عن كل ذلك بناءً على بعض المعطيات العابرة اللعينة في تقنية القياس عن بُعد التي لا تعني *شيئاً* عند مقارنتها بالعمل الذي قمنا به كفريق. سيشغَر منصب نائب الرئيس بعد بضعة أشهر يا روجر. لا تقضي على فرصك عبر التصرّف بجنون مثل ذلك الهستيري ماكغواير".

"جاهز؟"، قال الصوت من مركز كينيدي للفضاء عندما مرَّت الدقائق الخمسة.

"نعم"، قال نائب الرئيس بيل مونتغمري.

"نعم"، قال نائب الرئيس لاري ميلر.

"نعم"، قال نائب الرئيس ستيڤ كاهيل.

"نعم"، قال مدير المشروع توم وايسكوت.

"نعم"، قال مدير المشروع روجر كولڤن.

"ممتاز"، قال مركز كينيدي للفضاء. "سأنقل التوصية. آسف أنكم لن تكونوا هنا يا سادة لمشاهدة الإقلاع غداً".

أدار كولڤن رأسه عندما نادى بيل مونتغمري من جهته من الحجرة، "مهلاً، أعتقد أنني أرى جزيرة لونغ آيلند".

"بيل"، قال كولڤن، "كم كانت أرباح الشركة هذه السنة من إعادة تصميم C-12B؟".

أخذ مونتغمري رشفةً من شرابه ومطَّط رِجليه في الجزء الداخلي الفسيح للغالفستريم. "حوالي أربعمئة مليون، أعتقد يا روجر. لماذا؟".

"وهل فكَّرت الوكالة جدياً بالذهاب إلى شخص آخر بعد... بعد؟".

"اللعنة"، قال توم وايسكوت، "وإلى أين يمكنهم أن يذهبوا غير هناك؟ لقد تمكّنا منهم تماماً. بقوا يفكِّرون بالمسألة لعدة أشهر قليلة ثم عادوا زحفاً على أرجلهم. أنت أفضل مصمِّم أجهزة أمان مدى للشحنات المقولَبة والوقود الصلب المشتعل تلقائياً في البلد يا روجر".

أومأ كولڤن برأسه، وتابع يعمل مع حاسبته لدقيقة ثم أغمض عينيه.

اشتدّ القضيب الفولاذي المثبَّت على حُضنه وتابعت العربة التي كان يركبها صعودها إلى أعلى وأعلى. ازدادت رقة الهواء وبرودته، وزعيق العجلات على القضيب يتضاءل إلى صراخ خافت بينما تثاقلت الأفعوانية فوق علامة الكيلومترات العشرة.

في حال فقدان ضغط المقصورة، ستهبط أقنعة أكسجين من السقف. الرجاء تثبيتها بأمان فوق فمك وأنفك وتنفَّس بشكل طبيعي.

اختلَس كولڤن النظر مسبقاً، فوق المنحدر الفظيع للأفعوانية، مستشعِراً قمّة الصعود والفراغ الذي بعدها.

كانت تركيبات خزّان الهواء والقناع الصغيرة جداً تسمّى حزمات

هواء الخروج الشخصية. تم استرجاع حزمات هواء الخروج الشخصية لأربعة من أعضاء الطاقم الخمسة من قعر المحيط. كلها تم استخدامها. وجدوا أنه تم استهلاك دقيقتين وخمس وأربعين ثانية من كل خمس دقائق من الإمداد الهوائي.

راقَب كولڤن وصول مقدمة الأفعوانية إلى التلة الأولى.

سُمِعَت ضجة معدنية خام وحصل تطوُّحٌ مع تقدّم الأفعوانية فوق القمة وانقضاضها على القضبان. راح الأشخاص في العربات التي خلف كولڤن يصرخون دون توقف. تطوّح كولڤن إلى الأمام وتمسَّك بالقضيب المقيِّد بينما هبطت الأفعوانية بسرعة في خمسة عشر كيلومتراً من العدم. فتَح عينيه. نظرة خاطفة واحدة إلى خارج نافذة غالفستريم أخبرته أن الخطوط الرفيعة من الشحنات المقولبة التي وَضَعها هناك قد أزالت جناح الميسرة بنظافة، بشكل جراحي. وأظهَرَت سرعة التشقلب أن ما يكفي من جناح الميمنة بقي لتزويد مساحة السطح المطلوبة لإبقاء السرعة النهائية أقل من السرعة القصوى بقليل. دقيقتان وخمس وأربعون ثانية، أكثر أو أقل بأربع ثوانٍ.

مدَّ كولڤن يده إلى حاسبته لكنها طارت بحرية في المقصورة، واصطدمت بالزجاجات والأكواب والوسائد والأجسام المندفعة التي لم يتم ربطها بإحكام. كان الصريخ صاخباً جداً.

دقيقتان وخمس وأربعون ثانية. وقتٌ كافٍ للتفكير بعدة أشياء. وربما، فقط ربما، بعد سنتين ونصف من عدم النوم من دون أحلام، ربماه سيكون وقتاً كافياً لأخذ قيلولة قصيرة من دون أحلام أبداً. أغمض كولڤن عينيه.

الشياطين الصغيرة

كودي غُودفيلو

ما هو أسوأ من أن توقفك الجمارك في دولة أميركية جنوبية بينما تحاول تهريب شيء؟ ما رأيك لو حُبستَ في طائرة 727 على ارتفاع 9,000 متر وهناك مصنوعة مسروقة حيوية بشكل شرير في حقيبة ظهرك؟ في هذه القصة، يواجه راين رايبورن الثالث الأمرين. كودي غُودفيلو غامضٌ نوعاً ما. هل درسَ الأدب في جامعة كاليفورنيا، لوس أنجلوس حقاً؟ هل يعيش في بوربانك؟ هل كسب لقمة عيشه ذات يوم كـ "مؤلف موسيقي غير متميِّز لفيديوهات إباحية؟". ربما بعض مما سبق ذكره، ربما كلها، ربما لا شيء منها. هناك أمران أكيدان: إنه يعرف كيف يسبّب لك القشعريرة، وستشكر الله أن راين رايبورن ليس الشخص الذي يجلس على المقعد الذي بجانبك.

غير مرئي ولا يُقهر، لم يُظهِر راين رايبورن الثالث أي أثر للقلق بينما اجتاز الأمن وقسم مراقبة جوازات السفر في مطار غواناكاسته في نيكويا، مجرد سائح أميركي طبيعي إلى أن أخرجوه من صف الصعود إلى الطائرة، وأخذوه إلى خلف عازلٍ وأمروه أن يفتح حقيبته.

مبتسماً بسذاجة، قدَّم بطاقة صعوده إلى الطائرة ونموذج تصريحه وجواز سفره إلى وكيل الجمارك الذليل. *لا مشكلة كبيرة، أنت تؤدّي عملك فقط*. لم ينظر أيٌّ من الركاب الآخرين صوبه بينما يقفون في الصف منتظرين دورهم لصعود الطائرة. لا شك أن الأمر عشوائي، لكنه رجل أبيض يسافر لوحده. لم يكن سيفجِّر الطائرة على الأرجح،

لكن الاحتمالات كبيرة أنه يحمل بضائع مهرَّبة، وربما حتى مخدرات...

لم تكن هذه إحدى جمهوريات الموز التي يختفي فيها السيّاح. كانت كوستاريكا حضارة تقريباً - تباً، حتى أفضل، بما أنه ليس لديهم جيش حتى، و"دورية أمان" بدلاً من شرطة الولاية. لكن الرشوة لا تزال ملكةً. نظَرَ راين حوله بحثاً عن مُشرِف أو كاميرا، وابتسم بلا مبالاة وأخرجَ خمسة عشرينات من حزام ماله. ارتدى عميل الجمارك زوج قفازات مطاطية زرقاء قبل أن يبدأ تشريحاً لحقيبة راين القماشية.

كان غواناكاسته فاخراً أكثر قليلاً من معظم المطارات الأميركية اللاتينية العصرية، لكن لا يزال لديه طابع فيلم خيال علمي رخيص من حقبة السبعينات يتم تصويره في سجن مستقبلي. حاوَلت اللافتات في كل مكان أن تُخجِل المسافرين بصور سجناء مكبّلي الأيدي ومغطاة رؤوسهم عليها تعابير مُخزية: *لماذا حاولتُ أن أهرِّب؟*

شفة عليا مشدودة. لا تبتسم أو تحاول الدردشة معه. لا تفعل عمله نيابة عنه. فالحمقى الذين يُقبَض عليهم يُظهِرون ذنبهم دائماً في أمواج سامة مروعة ستقتل كناراً. لم يكن يرتكب أي خطأ. رجال نقطة التفتيش الأمنية حتى لم يعرفوا ماذا كانوا ينظرون إليه، وحتى لو عرَف هذا الشاب، بالكاد كان ذلك يستحق تأخير الرحلة. لم يكن يهرِّب مخدرات، أو أسلحة. كان مجرد سائح آخر، يعيد معه أشياء سياحية.

أخرج عميل الجمارك الثياب، معدّات الكاميرا ومستحضرات العناية الشخصية بكياسة خادمٍ يجهِّز نزهة في الطبيعة. أفرغ كامل محتويات الحقيبة، ثم مدَّ يده ونزع البطانة الداخلية وفكَّ القعر المزيَّف.

"إنه مجرد تذكار، سيدي". بلع راين ريقه كما لو أنه يتنفس من خلال منشفة رطبة. "هل هناك مشكلة؟ اشتريته من متجر تذكارات-"

سفر أم خطر

لم يعِره عميل الجمارك أي اهتمام. بل اكتفى بالتحديق في حقيبة راين زارعاً يديه على طاولة الفولاذ الذي لا يصدأ البالية. ثم سعل في يده.

نظَرَ راين حوله، وهو يلوّح بالنقود التي في يده، ودفعها نحو العميل. مرَّ دفق هادئ من الركاب عبر كاشف المعادن نحو بوابة الرحيل. "تغادر رحلتي بعد عشر دقائق، يا صديقي".

مستمراً بالسعال، ألقى عميل الجمارك وثائق سفر راين ولوَّح له بالابتعاد كما لو أنه سحابة بعوض. وتلطَّخت قبضته بخيوط من المُخاط.

حشا راين حقيبته على عجل ووضع نقوده في جيبه، واستدار ليصعد سُلَّماً كهربائياً معطَّلاً ويسير المسافة الطويلة لمحطة طيران غير مُضاءة في أغلبها نحو بوابته قبل أن يلاحظ أن أوراقه لزجة باللعاب وعليها بقع دم.

يا إلهي، بعض رجال الأمن... يحاولون هزّك من العمق ونقل عدوى السل إليك. لم يكن الأمر مضحكاً، لكن كان عليه أن يضحك، وإلا فسيصرخ. لقد قبضوا عليه - بالجرم المشهود. النظرة في عيني العميل عندما فتَح القعر المزيَّف، قبل أن يُصاب بنوبة السعال... كانت زيتونية شاحبة، وتدحرجت عيناه على خدّيه لتسقط مع الشيء في كيس غسيله القذر. لقد عرَف الوغد الحزين إلى ماذا كان ينظر. لقد عَرف، لكنه لم يقل شيئاً، ولم يلمس المال أيضاً.

إذا كان هناك أي شيء في العالم يمكن أن يُجفل راين ويجعله يتمتم صلاة فهو ذلك الشيء الذي في حقيبته، لكن ليس لأنه يصدِّق بوجود السحر. تهريب كيلو من مسحوق الصراخ الكولومبي غير المصنَّع

قد يُجني له ثلاثين ألفاً. أما كيلو القطعة الخشبية الصلبة المنحوتة باليد التي في حقيبته فقد يُجني لراين ضعف ذلك المبلغ، لكن إذا قُبض عليه هنا، فإن الترحيل وتمضية بعض الوقت الفدرالي في الولايات المتحدة قد يكون أفضل ما يمكنه أن يتأمل حصوله.

لم يخطِّط راين رايبورن الثالث أبداً ليعيش الحياة التي عاشها. بل يضع الطُعم في الصنّارة بطريقة طبيعية ويدعها تأتي إليه. لقد أهدر ميراثه على شهادة بكالوريوس في تاريخ الفن، ثم بذَّر كل النوايا الحسنة الأبوية المتبقية على التسكّع في أميركا الجنوبية بدلاً من الحصول على وظيفة. بعد ثلاث سنوات من البلايا والاكتشافات التي تحقَّقت بشقّ النفس في الزوايا الأدكن لكوكب الأرض، تعلَّم أخيراً الدرس الوحيد الذي حاوَل والداه تعليمه إياه، هناك في بالو ألتو. الفقر لعين.

في كاليفورنيا، قرَّر راين تحويل شهادته غير العملانية إلى مهنة. راح يتصيَّد المعارض وبدأ يبني معارف له في مجتمع جامعي التحف الفنية وتعرَّف بالصدفة على عالم عشّاق المصنوعات الثقافية لما قبل كولومبوس. قام برحلات تسوّق في كل المناطق من المكسيك إلى أرض النار، مزيلاً طبقات من الوسطاء إلى أن أصبحت لديه دزينة مليونيرات مواقع انترنت في لائحة زبائنه. نصف الأثريات في المتاحف الأميركية الجنوبية مزيَّفة، وعلماء الآثار يعملون في السر لإبقاء اللصوص بعيدين عنهم. وقد كسرت الأمم المتحدة والجمارك الأميركية عدة عصابات تعمل في أرجاء بالو ألتو وستانفورد، لكن راين لا يعمل في دوائر التباهي، وعملاؤه لا يعرضون جوائز سرقاتهم الكبيرة في احتفالات الجمعيات الخيرية، ولم يكن يتاجر بالهُراء الذي تراه في ناشونال جيوغرافيك.

سفر أم خطر

عاشت قبيلة الزوروكوا في الوديان الشاهقة لسلسلة جبال دي الامانكا، على بُعد أقل من ثلاثمئة كيلومتر من العاصمة، ومع ذلك لا يحتاج المسافة إلى أكثر من نزهة يوم من أقرب طريق يمكن التنقّل عليه. كان يُعتقَد قبل العام 1950 أنها قبيلة عذراء من العصر الحجري، عندما وثّق مصوِّر فوتوغرافي سميثسوني تفاصيل حياتها.

أظهرت صوره الفوتوغرافية عن شعائر حصاد الزوروكوا قصةً مأساويةً لشخصٍ مدفونٍ وفق المراسم الغريبة. رجل في زي ثور بدائي بقي يطوف بين أكواخ القرية طوال الليل حتى الفجر، عندما وصل موكب أرواح حامية مقنَّعة لتهزم الثور عبر بصق دم عليه إلى أن ضعف ومات. شرب الحُماة في أقنعتهم المنحوتة شراب ذرة ممزوجاً بسموم مختلفة لكي يستدعوا إلى بطونهم *الشياطين الصغيرة*، التي سدَّدت بالتعذيب والإبادة الجماعية التي أهلَكَت قبيلتهم ودفعت الناجين إلى أبعد غابات سُحُب تالامانكا.

كانت الزوروكوا بدائية بكل المعايير، وقد كافح أفرادها طويلاً مع أساليب الصمود الأساسية ليخترعوا أي كنوز ثقافية دقيقة. وكان استقبالهم الغرباء مناشدةً رسميةً للحصول على طعام. لكن أقنعة مهرجان الحصاد في تلك الصور الفوتوغرافية كانت إلهاماً.

كان كل قناع "ذا فم مطلي" - باستخدام طلاء يُبصَق عبر قصبةٍ - بألوان محترقة شاحبة وزخارف دقيقة أشبه بأحرف رّونية أكثر مما هي زخارف مجرَّدة. رغم رفضهم العدائي للعالم الخارجي، تسبَّبت أقنعة أفراد الزوروكوا بموجة جنون لدى هواة التجميع في السبعينات. وفي العام 1982، مات آخر أفراد الزوروكوا من الانفلونزا. لكن القبائل المجاورة بقيت تخشى أقنعتهم.

من دون وجود أي شيء مماثل لها في أي مكان في المنطقة، كانت الأقنعة غريبة ودقيقة ومخيفة أكثر من أي رموز لدى شعب المايا أو الأزتيك، پولينيزية تقريباً في دمجها الميزات البشرية والحشرية والزهرية والحيوانية، ومشبّعة بحقد متوحش جَعَل أخطر المزاريب المنحوتة القوطية تبدو كدباديب.

مما استطاع العثور عليه في المطبوعات، تيقّن أنهم كانوا صنفاً بغيضاً من الجنيّات الأميركية اللاتينية يسمّى duendes. تأتي هذه التسمية من الكلمة الإسبانية duenos - ومعناها المالكون - لأنهم كانوا المالكين الحقيقيين لأي موطن شارَكوه مع البشر. لكن الإسم الإسباني الذي أطلقته عليهم القبائل المجاورة، وبالنسبة لأفراد الزوروكوا أنفسهم - كان مناسباً أكثر لأرواح لم يرها أحد أبداً، لكن الجميع يخشاها تماماً - diablitos، أو "الشياطين الصغيرة".

حقَّق راين بعض تمائم القبر المدهشة لحضارة موتشي في جولة على كولومبيا والبيرو وأوصلها بنجاح إلى زبون له في كاليفورنيا. طار إلى مدينة بنما سيتي، وقاد سيارة جيب إلى سلسلة جبال دي تالامانكا فقط لكي يتنزّه في سيرّو دو لا مويرتي (تل الموت) ويهدئ أعصابه. لم يتوقع العثور على أي بقايا من الزوروكوا في المتاحف البدائية وأفخاخ السيّاح في قُرى الجبل المجهولة، ولم يعثر عليها. الأعمال الفنية المزيَّفة المنحوتة على خشب البلزا ومدهونة بالأكريليك كيفما كان من قِبل سُذَّج مستيزو يعرفون عن الزوروكوا أقل مما يعرف أغبى زبائن راين.

لم يحقِّق راين رايبورن الثالث أي شيء أبداً بالقوة. بهذه الطريقة يُدبَّر الجنون وقرحة المعدة؛ فقط اسأل راين الثاني وراين الأول. بل يترك الأشياء الجيدة تنجذب إليه، مثلما تفعل دائماً. قامت عجوز عمياء

خارج كوخٍ معها صندوق تبريد مليء بزجاجات فانتا حارة كالدم بإيماءة غريبة وسعَلَت في يدها عندما سأل حفيدتها عن الزوروكوا. سعَلَت في مخلبها المُصاب بالتهاب المفاصل وفتحته فطارت فراشة حمراء من يدها.

تظاهرت الفتاة أنها خرساء، لكن بينما كان يشرب زجاجته الفانتا الثالثة، راح راين يبحث بفضول في المجمَّع. كان كل الرجال قد خرجوا للصيد أو تجميع الحطب، ولم يره أحدٌ ما عدا فتى عارياً لم تهبط خصيتاه بعد. كانت الأكواخ محتشدة في مثمّن أضلاع حول بئر بجانب صنم عالي حتى الخصر مصنوع من حجر صابوني، وقد أصبح بالياً ورثّاً لدرجة أن ملامحه لم تعد سوى غمّازات غامضة في الحجر.

كاد راين يصرخ ورمى مياهه الغازية في الهواء. كانت قرية من قرى الزوروكوا، أو إعادة إحياء لواحدة منها، وهذا الأمر لم يكن محتملاً كثيراً. كانت عدة قبائل في المنطقة تدفن موتاها تحت منازلها، ثم تنتقل إلى مكان بعيد. لذا فإن موقع انقراض قَبَلي أشبه بتشيرنوبيل من العصر الحجري.

ظهرت العجوز العمياء عندها، وباعته القناع بمئتَي دولار. هذا ما كان سيُخبِره لأي شخص يسأله. وقد أخبَر نفسه القصة ما يكفي من مرات الآن لدرجة أنه كاد يصدِّقها. لكن ما حصل فعلاً كان بالكاد أسوأ شيء قام به في حياته، ولا جدوى من معاودة عيشه.

كان القناع أصلياً. ويبدو كأن وزنه خمسون كيلوغراماً، لكنه منحوت في قطعة خشب لين مجهولة النوع أرجوانية سوداء وزنها أخف من الماء. كان الطلاء أصبغةً أصليةً؛ باللون النيلي الداكن المشتق من *الشجيرة الزرقاء*، واللون الذهبي الشاحب السائل المستخرَج من قشور

البصل، واللون البرتقالي الناري من فاكهة الأشيوت، والبنفسجي الشنيع المستخرَج من غُدد حلزون معرَّض للخطر يسمّى مونيس. البقعة غير المتوقعة للأحمر الداكن الشاحب أكثر على الجهة الداخلية للقناع تبدو أقل شبهاً بحادثٍ مما هي توقيع همجي، وستزيد قيمته على الأرجح.

كان لديه مشترٍ جاهز - اثنين، في الواقع، وهما متنافسان غيوران بشراسة. عندما حطّت طائرته في مطار لوس أنجلوس الدولي، يمكنه بيع القناع بخمسين ألفاً، وربما ضعف ذلك، إذا احتفظ به لمدة كافية حتى تتسبَّب الإشاعات التي ينشرها بتكتّم باشتعال حرب مزايدة.

المضيفة المنهكة عند البوابة فتحت له الباب دون أن تفحص وثائقه. الخروج إلى المدرَج كان أشبه بدخول زوبعةٍ من أنفاس حيوانٍ. أطبَقت الأدغال عليه من كل جهات المدرَج مثل جدران حريق زُمرُّد. تكاسَلت البيورا فيدا 727 بينما تطوَّح آخر الركاب على السلالم واجتاز الباب.

كانت الرحلة أكثر من نصف ممتلئة بقليل. حوالي خمسين راكباً، ثُلثاهم أميركيون. أطفأ معظمهم أضواءه من قبل وكان يحاول أن ينام تحت بطانيات رقيقة من النايلون وعلى وسادات من ورق مُعاد تصنيعه.

تأوه عندما وجَد مقعده. 11A، قرب النافذة، بجانب رجل قوقازي ملتحٍ طويل الشعر وسيدة آسيوية بدينة تعدّل طريقة جلوسها وتعبث بالمراوح المعيوبة التي في السقف. تنبّها له بجفلٍ ونهضا ليدعاه يحشر نفسه على المقعد بجوار النافذة، وقدَّم الرجل نفسه كـ دان وزوجته لوري. "هل تحتاج إلى شيء لقراءته؟"، سأل وهو يعرض عليه كتاباً ورقيّ الغلاف. "لقد ألّفته بنفسي".

"توقف عن إزعاج الناس يا حبيبي"، همسَت زوجته. هزَّ راين رأسه

انتشر على المقاعد الفارغة عند الرِواق.

بدأت المضيفة المسرحية الإيمائية لحالات الطوارئ قبل الإقلاع، وهي تشير إلى الأقنعة وكُوّات الهروب في وقت متزامن مع صوت التسجيل بالإسبانية، عندما تعثَّر الراكب الأخير في الرِواق الضيق وكاد يجلس على حقيبته.

أبعد راين حقيبته عن ظل المؤخِّرة الكبيرة الساقطة في الوقت المناسب. وبدأ يقول، "انتبه أين تسير أيها الأحمق"، عندما رأى العصا البيضاء في يد العجوز البدينة.

تيبَّس جسم راين بأكمله وضغط نفسه على النافذة. لو كان جالساً بجانب كُوّة هروب، لأمسك المزلاج على الأرجح وفتحه ووَثَب إلى الجناح.

رفعَ ذراعاً دفاعيةً وحاوَل أن ينهض عن المقعد. تعثّرت المرأة العمياء بالمضيفة التي كانت قد ساعدتها لتصل إلى مقعدها، ثم ارتدّتا عن ذراع المقعد 11C ورفعت ذراعاً لتلتقط نفسها قبل أن تقع بين ذراعيه.

تبيَّن له عند اللمحة الثانية أن الشخص الذي يجلس على المقعد الذي بجانبه كانت مجرد فتاة، في الثالثة عشرة من عمرها على الأرجح، وذات وجه طويل مثل الحصان وندبات فظيعة من حَبّ الشباب. انتفَخت عيناها في رأسها كأنهما لمبتان مفكوكتان. تدحرَج بؤبؤاها إلى أعلى ليحدِّقا في السقف، نصف محجوبين بجفنَين ثقيلين نعسَين. وَثَبت عصاها البيضاء ولكمَت كاحلَيه.

احتاج إلى ثانية ليتمالك أعصابه، وإلى وقت أطول ليستجمع أفكاره. بوجود كل تلك المقاعد الفارغة اللعينة، لماذا وضعوها بجانبه؟

شاب أميركي مسافر لوحده يجلس بجانب فتاة غريبة عمياء هو عمل يستجلب المتاعب. "أليست هناك مقاعد كثيرة أخرى في الطائرة؟".

عادت المضيفة إلى مؤخرة الرِواق لتساعد على تحريك شفتيها بصمت مع نهاية تعليمات الأمان.

ربما صمّاء مثلما هي عمياء - أو ربما لا تتكلّم الإسبانية أخفضت الفتاة نفسها على المقعد 11D وجلست وهي تشدّ رُكبتَيها إلى بعضهما البعض بشكل محكم ورأى حقيبة محلية منسوجة يدويا عالقة على ذراعيها.

تلعثمت "الطائرة إلى الوراء ثم سارت نحو المدرَج بسرعة مغثيّة جعلت راين يتساءل عمن يقود الطائرة. ربما بإمكان الفتاة العمياء أن تذهب إلى قُمرة القيادة وتقدِّم يد المساعدة.

كانت التُربينات تزيد سرعة دورانها عندما لاحَظ راين أن الفتاة لم تشدّ حزام أمانها. "آنسة، عليك أن تشدّي حزامك..."

تأرجحت قليلاً لكنها لم تُجبه. قلادة صغيرة جداً ومسبحة ذات خرزات بلاستيكية من النوع الذي يتوهّج في الظلمة مشبوكتان في يديها، وترتفعان بين الحين والآخر لتقبّلا شفتيها السميكتين المتشقِّقتين.

كانت المضيفة جالسة وقد شدَّت حزام أمانها على مقعدها عند الجهة الأمامية. يبدو أنها مسؤوليته. *للواجب والإنسانية*، فكَّر في سرّه، بينما مدَّ يديه ليشدّ لها الحزام. "دعيني أساعدك..."

قبضت يدا الفتاة على يديه في مِلزمة مرتعشة مبلَّلة بالعرق. صرَخت كما لو أنه أيقظها من نوم عميق لتجده يتلمَّسها، وراحت عيناها الفارغتان تحدِّقان فيه كما لو أنه يمكنها رؤية وجهه العائم في ظلمتها الدائمة.

شادّاً يديه بقوة ليحرّرهما، حاوَل أن يهدّئ روعها دون أن يلمسها مرة أخرى، لكن بلا فائدة. لم تبدُ أنها تسمعه أو تفهمه، وكانت مذعورةً مسبقاً من الرحلة ومن جسّ رجل غريب لها خلالها. شَعَر بخجل، وبدأ ينظر حوله طلباً للمساعدة، لكن لم يبدُ أن أحداً لاحظه. العواء المتصاعد للمحرّكات طغى على صراخها، ثم التطوُّح الثمل المتسارع أغرق الجميع على مقعده.

عندما انطوت عجلات الهبوط إلى داخل الطائرة واستوت الطائرة بشكل مستقيم، عادت إلى صلاتها الصامتة. أدار راين وجهه نحو الجدار وكوّر كنزته على شكل وسادة. في الخارج، راح الضوء الأحمر الوامض على الجناح يرقص وينزف مع تسابق حبّات المطر على الزجاج. ابتُلعَت المدينة الساحلية الصغيرة في الضباب مثل طائرات ورقية عملاقة عالقة في الأشجار. فقط بضعة أضواء تائهة ربما كانت سُفناً في البحر أثبتت له أن المدينة التي فرَّ منها للتو كانت لا تزال هناك في الأسفل.

كان راين مسافراً خبيراً. يمكنه أن ينام في أي مكان، وفي أي ظرف من الظروف. شدَّ رِجليه بإحكام حول الحقيبة القماشية على الأرض وحاوَل تفريغ ذهنه. لكنه احتاج إلى بعض الوقت، لأن كلما بدأ يغفو، تسعل الفتاة العمياء بصوتٍ عالٍ في قبضتها.

بقي تفكيره يعود إلى القناع. لقد بدأ عميل الجمارك يبصق دماً حال رؤيته له، لكنه تركه يذهب. هل كان ذلك محض صُدفة مجنونة؟ لقد قُضي على الزوروكوا من المرض، لذا من المتوقع أن يخترع تراثهم الشعبي نوعاً من الأرواح العجيبة للحماية أو الانتقام، لكن ذلك لم ينفعهم كثيراً... فقد اختفوا من زمن بعيد، وأضحت طقوس عبادتهم الغريبة الحزينة مجرد حاشية سفلى في التاريخ تفتن المليونيرات المتعطّشين

للحصول على أصنام قديمة للتباهي بها. هل كانت الأقنعة وسيلةً لنَشر فيروسٍ؟ هذا سيفسّر شيئاً، لو أُصيب بالمرض، لكن باستثناء الطفوح الجلدية والأمراض الاستوائية الاعتيادية، شَعَر أن صحته ممتازة. لم يكن يصدِّق مسألة اللعنات، إلا إذا احتسبنا الفقر.

استوت الطائرة في طيرانها عند ارتفاع 9,000 متر عندما قرَّر راين أنه لن ينام بل سيحاول أن يثمل. راح يفرك عينيه بمفاصل أصابعه لبرهة. ربما عليه أن يحاول الاعتذار للفتاة العمياء، أو أفضل حتى، أن ينتقل إلى مقعد آخر. استدار ليكوِّن رأياً عنها ووجد نفسه وجهاً لوجه مع قناع الزوروكوا.

كانت ترتديه. وَمَض بياض عينيها الفارغتين عبر الشقوق في الحاجبين الكثيفين المرقَّطين كالنمر. كان كل سطح من الوجه الزاويّ مطلياً بنقش حيوان مختلف، كما لو أن الهدف هو ربط كل حياة الأدغال في ملامحه الانتقامية. لكن الحياة دبَّت فيه الآن على وجه الفتاة العمياء.

توهَّجت القرون المنمَّطة الناتئة من الفك السفلي والصدغين بلون الكوبلت الأزرق، مثل ألسنة لهب موقد غاز. الأنياب المتشابكة في الفم المزمجِر انزلقت عن بعضها مثل أسنان قفلٍ، وتدفَّق سيلٌ من دم أسود نتِن فوق الشفتين المكوَّرتين لتلطّخا قميصه.

قفَز جافلاً في الهواء فصدم رأسه بحُجَيرة الأمتعة وسقط على مقعده. كان الدم الذي يغطيه بارداً ولزجاً وحيّاً بأشياء مرتعشة اختفت بسرعة تحت ثيابه قبل أن يتمكن من نزعها عنه. لم يسمع بقية الركاب صرخاته. وذراعا الفتاة العمياء النحيلتان سدّتا طريق هروبه. اقتربت منه وهي لا تزال تبصق دماً ملوثاً وأصبح مشبَّعاً به عندما قذف يديه عالياً

لينزع القناع عن وجهها.

انفصَل القناع مع صوت يشبه صوت خروج مسامير صدئة من خشب عَفِن. وقد نزع وجهها معه وسحَقته بالجدار، وعظمتها الوجنية الباردة المقزِّزة تضغط بقوة على صدره.

ربما صَرَخ عندما استيقَظ. كان وجهه ملتصقاً بالنافذة الباردة. وكل جزء آخر من جسمه يزخّ بالعرق. كان مترنِّحاً كما لو أنه وضع حبّتَي أمبين في كوب شراب مكسيكي.

ببطء، بتأنٍ، استدار ونظَرَ إلى الفتاة العمياء. كانت تجلس جافلةً على مقعدها، ورأسها مرمي إلى الخلف على مسند الرأس الصلب، وأنفاسها الهادئة مثل غرغرة سمكرة في أنبوبٍ مسدودٍ ضارٍ.

كان سطح طاولتها مفتوحاً، ويستريح عليه كوب رغوة بيضاء صغير نصف فارغ بجانب كيس رقائق معدنية ينسكب منه نوعٌ من الفاكهة المخلَّلة، وخرزات مسبحتها البلاستيكية تتوهج كالبلوتونيوم في الظلمة الزرقاء. لقد جاءت خدمة الشراب وذهبت بينما كان نائماً.

كان فستانها قطنياً منسوجاً في البيت، ومطرَّزاً بكثرة بفراشات مبهرجة وطيور. بينما كان يدرسها، مقاوماً الإلحاح بقَرص نفسه، أصيبت بسلسلة سعال رطب خانق أحمر. تباً لهذه الضجة، فكَّر في سرّه، وأمسك حقيبته. مفرِّغاً النفايات عن سطح طاولتها بحذر شديد، طواه إلى الجهة الخلفية للمقعد 10C وفكّ حزام أمانه.

كانت المقصورة حارّة أكثر من يوكاتان اللعينة. راح الجزءان الداخليان لأذنيه ينبضان مثلما يفعلان دائماً عندما يطير، لكنهما أشعراه كما لو أنه عميقاً تحت الماء وليس فوق الطبقة العليا للغلاف الجوي. كان النور الوحيد يأتي من أشرطة الألياف البصرية المبقَّعة في

الرِواق، وبضعة أضواء مسلَّطة فوق ركاب منكبّين على كمبيوترات محمولة أو يقرأون على أجهزة كيندل وقابسات الآيبود في أذنيهم.

ناقلاً طرفاً واحداً تلو الآخر مع تركيز كليّ، أخرَجَ نفسه عن مقعده ورمى رِجلاً فوق رُكبتَي الفتاة ليزرع قدمه في الرِواق. كانت خطة جيدة، وكان يقظاً تماماً، لكن قدمه انزلَقت على شيء وسقط مع صرخة مكبوتة.

طعنت رُكبتا الفتاة مؤخِّرته. حصَّن نفسه من الزعيق والقبضتين، لكنهما لم تأتيا أبداً. سعَلَت الفتاة بعنف لدرجة أنه شَعَر بالقوة الرطبة لأنفاسها على قميصه. محارباً الذعر، تطوَّح فوقها إلى الرِواق، ملوِّحاً حقيبته القماشية فوق الرأس النائم للراكب على المقعد 10C، أمٌّ بدينةٌ ذات شارب وولدَين يفرفران على حُضنها.

لا بدّ أنه كان خارجاً منذ ساعتين. فقد ارتدّت الطائرة على جيوب هوائية في مكان ما فوق الداخل المكسيكي القاتم. كان الرِواق خالياً، ما عدا من كوبَين يتدحرجان في دوائر سخيفة كلما ارتفعت الطائرة وانخفضت. لم ير المضيفة في أي مكان.

أسرعَ راين الخطى في الرِواق، محاولاً عدم الاصطدام بأذرع الركاب وأرجلهم المتدلّية. كان صف المقاعد الأخير قبل المرحاض فارغاً، وارتمى عليها مثل ثمل مُصاب بدوار البحر.

غطست الطائرة بشكل مخيف لحظة وصوله إلى المقاعد وسقط عليها. تسارعت نبضات قلبه، وارتجفت عضلاته من سيل أدرينالين مبدَّد. بدت حقيبته عديمة الوزن بينما أفلَتها على المقعد الذي بجوار النافذة. اللعنة، لقد أجهد نفسه. يحتاج إلى شراب. ربما ستدعه المضيفة يشتري زجاجة شراب قوي. تباً، ربما ستشاركه إياها. إنه يستحق شيئاً

ـيداً بعد كل ما عاناه.

احتضَن الحقيبة القماشية عند وركه. كانت عديمة الوزن لأنها فارغة.

الصدمة جمَّدته. فتح السحّاب بعنف وأقحم يده فيها ووجد نفسه ينظر إلى يده القابضة مرة أخرى، عندما خرجت من الفجوة المتعرّجة في أسفل الحقيبة. فقط جاربان أنبوبيان مشمَّران وبعض السراويل الداخلية لا تزال في الحقيبة، وكانت رطبة، متشبِّثة بجدران الحقيبة في معجون أسود مقزِّز. لم تكن الفجوة مجرد مِزق في النايلون المزدوج الطبقات. كانت فجوة دائرية لعينة فاغرة الفم، كما لو أن المادة تحلَّلت... أو مُضغَت.

"تباًا!"، قال وهو يكزّ على أسنانه، ثم نظر إلى معرض ممتلكاته المبعثرة في الرواق وصولاً إلى مقعده القديم. راح يترنَّح في الرِواق وهو يلملم كومات مقزِّزة من الثياب. أخيراً، قبضت يده على شيء ثقيل رفعه بتذمُّر ممنون، لكن تبيَّن أنه طقم حلاقته.

شَعَر بعيون تتعقّبه وبالإحساس الجليّ لشخص يسخر من مأزقه، لكن كل وجه كان منصرفاً عنه، ملقياً على كتف جاره أو مائلاً إلى الخلف، والفم فاغر.

بدا أن نحيب المحرّكات همد، وبدأت الطائرة تميل جانبياً والأكواب في الرِواق تتشقلب إلى الأمام. هل بدأوا الهبوط؟

وَصَل أخيراً إلى مقعده القديم. كان دان ولوري مستغرقَين في النوم. وكانت السجادة إسفنجية بمائع متجمّع حول الفتاة العمياء على المقعد 11D. لا شك أنها تقيأت، فكَّر في سرّه بنفور، أو بلَّلت نفسها. لم يكن قناعه في أي مكان في الرِواق، لذا لا بدّ أن يكون قد

سقط تحت مقعده عندما فرَّ عنه. وربما تدحرَج من هناك بسبب المطبّ الهوائي، ويمكن أن يكون في أي مكان في الطائرة اللعينة. لم يكن هناك أي شيء آخر ليفعله سوى البحث عنه.

بدأ يركع بجانب الفتاة العمياء. مالت مقدمة الطائرة إلى الأسفل مما أسقطه على الأرض مثل أخطبوط. رمى يده ليحمي رأسه وارتطم مسند ذراع بعينه. سخر من حماقته عندما طعنه شيء.

شَعَر بموجة ألم كبير من سقوط وزنه على رِجله اليمنى، مباشرة تحت رُكبته اليمنى، إلى أن فرقَعت في اللحم الطري بين الوتر والعضلة في الجهة الخلفية لركبته.

كان الألم أكبر من أي ألم آخر اختبره في حياته، إلى أن حاوَل تقويم رِجله، والشيء الذي كان قد اقتحم الآلية المُرهَفة لركبته تفجَّر داخله، ثم ملأ الألم عالمه العريض كله.

صَرَخ بقوة وهو يكوِّر نفسه على أرض الطائرة، وشدَّ ركبته المغروزة إلى صدره. راح يصرخ ويصرخ، لكنه لم ينتبه فوراً إلى غرابة المسألة، إلى أن كل صراخه لم يجعل أحداً في الطائرة يتفاعل معه أبداً.

مدَّ يده إلى الزوجين الجالسين على المقعدين 11B و11C، ونزَع البطانية عنهما مما أسقط رواية دان في الرِواق. ارتطم رأسيهما ببعض وخرَّ الزوج على سطح طاولته. انساب غدير أحمر عميق من مِنخَره الأيسر، الذي نتأ منه مقبض ملعقة القهوة. تجشأت زوجته وزحَف شيء من فمها المفتوح، ظل أحمر ملطَّخ بدم شرياني ساطع.

فرَّ أنين من شفتيه المتراخيتين المرتعشتين. اهتزّ على رِجله وضربته موجة ألم جديدة. هناك سكين في رِجله اليمنى. شدَّ رِجل سرواله الجينز ورأى مقبضاً بلاستيكياً أبيض ناتئاً من الجرح الذي في المنطقة المنخفضة

التي تحت رأس رُكبته مباشرة.

هدَّدت موجة غثيان بأن تنقله بعيداً عندما نظَرَ إليه، لكن إنكاراً صافياً أبقاه يواصل التحديق. لقد طُعن بسكين بلاستيكية. وقد خرج رأسها من الجهة الأخرى، بعد أن تفكَّك أو مُضغَ إلى أن أصبح حادّاً كالمِيضَع.

استدار وجسَّ الفتاة العمياء، على أمل أن يعلو صراخها مثل جرس إنذار الحريق، لكنها تخبَّطت فقط فوق مسند ذراعها وارتطمت جمجمتها الطويلة المجوَّفة بجبهة راين. انفتح فمها، وبدت شفتاها مرقَّطتين ببُقع حمراء لامعة تطابق المستنقع الذي كان يجلس فيه. كانت بشرتها باردة كالرخام، وأطرافها رخوة وخاملة كأطراف الدمية، لكنها اهتزّت عليه وقد أصابتها نوبة سعال لما بعد الوفاة.

خرَجت من فمها. تبعثرت مع السعال المتلِف فوق شفتيها ونزولاً إلى المَرج الغائر لحُضنها وراحت تنظر إليه شزراً فوق مسند الذراع.

بدت كخنافس أو حشرات عَصَوية، بصدورها المخدَّدة وأطرافها المستدَقة. استعارت أجسامها بشكل مختلط من فصائل الحشرات والزواحف والبرمائيات، لكن وجوهها البشعة كانت (أو متخفية خلف) أقنعة حصاد زوروكوا منمنمة.

الأطول بينها لم يتعدَّ طوله عشرين سنتيمتراً، لكنها كانت تنظر إليه بازدراء من مكان جثومها، كانت تمتلكه.

سحَب راين نفسه إلى الخلف، نحو الرِواق باتجاه قُمرة القيادة. أينما نظر، رآها تتسلّل فوق الجثث، تحدِّق فيه من خلف مساند الرؤوس. مرَّ بجانب الأم وولدَيها – منتفخين وسود من الاختناق – وبجانب رجل أعمال محدَّب فوق كمبيوتره المحمول – وهناك أقلام حبر

جاف مُقحَمة في بقايا عينيه - والمضيفة - العنق المكسور لزجاجة شراب شعير ناتئة من فم جديد في عنقها. بقي يسحَب نفسه إلى الخلف إلى أن أوقفه باب قُمرة القيادة المدرَّع الصلب.

كان الجميع في الطائرة موتى، لكن قُمرات القيادة تشبه خزنات المصارف هذه الأيام. راح يركل الباب، ويصرخ لكي يفتحوا له قبل أن يُقتَل، فهناك شيء قتل الجميع على متن الطائرة، لكنه لم يكن الفاعل، كان بريئاً ولا يستحق أن يموت -

"*سيداتي سادتي، نشكركم على الطيران مع خطوط بيورا فيدا الجوية، ونطلب منكم أن تنتظروا وقوف الطائرة بالكامل قبل أن تشغِّلوا أجهزتكم الإلكترونية الشخصية أو تحاولوا إخراج أمتعتكم...*"

كان صوتاً هادئاً، نعساناً تقريباً، مهدئاً للأعصاب... ومسجَّلاً مسبقاً. لن يصلوا إلى فوق لوس أنجلوس قبل ساعة أخرى.

بقي الباب مُحكم الإغلاق. قد يكون الطاقم على الجهة الأخرى ميتين أيضاً، أو قد يكونوا غافلين كلياً عما يجري. استدار ليبحث عن هاتفٍ.

وَثَبت الظلمة عن المقاعد لتملأ الرِواق وأتت متدفّقة نحوه مثل جيش من النمل. ضرَب بقوة على الباب، وزعق أبعد من الكلمات، لكن الظلمة لم تأتي لتقتله.

أرادته أن يحصل على القناع. أحضَرته له ووضعته على أرض الطائرة.

أرادته أن يرتديه.

اهتزّت الطائرة مع انخفاض معدات هبوطها في الرياح الصارِخة. كانت المقصورة لا تزال كهفاً قاتماً، لكن توهُّج الصوديوم الكهرماني

البشع لمدينة تيخوانا تدفّق عبر النوافذ مثل فيضان حمّام عام.

ملتصقاً بالباب، أدرك ببطء أنه غير مُلزَم أن يموت. رَفَع القناع بشكل خَدِر، ورآه بعينين جديدتين بعد فوات الأوان. لم يكن حلية رخيصة أو كنزاً، أو حتى قناعاً.

كان باباً.

الدم الذي سكبه هو الذي فتحه. لكي يسمح لهم بمغادرة هذا المكان، كان يجب فقط فتح الباب مرة أخرى. الأمر بسيط، عندما لا يكون هناك خيار آخر سوى القبول.

وَضَع راين القناع على وجهه. داعبه السطح الداخلي الصلب الخشن بشظايا كبُرت وتضافرت تحت بشرته.

تسلَّقت بعضها البعض لتصل إلى شفتيه. الفم الضيق ذو الأنياب سمح فقط بمرور واحدة منها تلو الأخرى، وسرعان ما أصبحت أعدادها هائلة. تسلَّقت جسمه المرتعش ودخلت بوابة الأسنان، واستطاع الشعور بها تتكدَّس داخل بطنه، مضطربةً، متعطّشة للمتاعب، واستطاع الشعور بعالم جديد كلياً، بارد، أسود ولا متناهٍ، داخله.

قبل أن اختفت الأخيرة في فمه، حطَّت الـ 727 بارتعاشٍ فظٍ وانزلقت على المدرَج كما لو أنه سطحٌ من صخور طليقة.

عندما توقفت الطائرة أخيراً وأُضيئت أضواء المقصورة، لم يتحرَّك أي راكب ليشغِّل هاتفه الخلوي أو يحاول سحب أمتعته من الحاويات العليا. ضغط راين على نفسه ليقف على قدمَيه وقرَع مرة أخرى على باب قُمرة القيادة، لكن أياً يكن على جهته الأخرى كان مسروراً جداً من البقاء خلفه.

سحَب مزلاج باب المقصورة وأدار العجلة. ضغط حمّالا أمتعةٍ

وجهَيهما الفضوليين على الكُوَّة ونقرا على الزجاج. ابتسم لهما راين، وقد نسي أنه يرتدي قناعاً، وفتح الباب.

حاوَل أن يشرح لهما، لكنهما لم يرياه أبداً. سقطا على رُكبتَيهما، وراحا يختنقان ببلغم أحمر. تجاوزهما ونزل الدرجات ليركع ويقبِّل المدرَج بلسان أسود متشعِّب.

كان جميلاً جداً، بعد كل تجواله، أن يعود إلى المنزل...

غارة جوية

جون ڤارلي

وُلد جون ڤارلي في تكساس ودرس في جامعة ولاية ميشيغن بمنحة الجدارة الوطنية - ربما بسبب المدارس التي كان يمكنه تحمّل كلفتها، كانت جامعة ولاية ميشيغن الأبعد عن تكساس. هناك كتّاب روايات خيال علمي لديهم أفكار رائعة، وكتّاب روايات خيال علمي ذوو أسلوب رفيع في النثر. ڤارلي هو أحد المحظوظين القلائل من الاثنين معاً. نُشرت "غارة جوية" في العام 1977 (تحت الإسم المستعار هيرب بوهم، وهو مزيج من إسمه الوسطي وكنية أمه قبل الزواج، لأنه كانت تظهر له قصة أخرى في نفس عدد مجلة أسيموفز ساينس فيكشن)، ورُشِّحَت لجائزتَي هوغو ونيبولا، وتوسّعت إلى الرواية Millennium [الألفية] في العام 1983، وأصبحت فيلماً في العام 1989. حالما تبدأ بقراءة هذه القصة، لن تكون قادراً على وضعها من يدك. لذا أهلاً وسهلاً بك على متن رحلة صن-بَلت رقم 128 المنطلقة من ميامي والمتوجهة إلى نيويورك. لكن الركاب قد يكونون متوجّهين إلى وجهة مختلفة جداً.

استيقظتُ جافلةً من الإنذار الصامت الذي يهزّ جمجمتي. لن يتوقف إلى أن أستوي جالسةً، لذا فعلتُ ذلك. كان كل أعضاء فريق الانتزاع من حولي في المهجع المظلم ينامون فردياً وزوجياً. تثاءبتُ، حككتُ أضلاعي، وربّتُّ خاصرة جين الكثيرة الشعر. استدار. يا له من وداع عاطفي.

فركتُ عينيَّ لأطرد النوم منهما، وانحنيتُ إلى الأرض نحو رِجلي،

شددتُ أربطتها وأوصلتُها. ثم رحتُ أركض بين صفوف الأسرّة نحو غرفة العمليات.

توهَّجت لوحة الحالة في الظُلمة. رحلة صن-بَلت رقم 128، ميامي إلى نيويورك، 15 سبتمبر 1979. بقينا نتطلّع إلى هذه الرحلة منذ ثلاث سنوات. كان يجب أن أكون سعيدة، لكن مَن يستطيع فعل ذلك عندما يستيقظ؟

تمتمت ليزا بوسطن أثناء مرورها بجانبي في طريقها إلى غرفة الاستعداد. تمتمتُ لها بدوري، وتبِعتُها. أُضيئت الأضواء حول المرايا، وتلمَّستُ طريقي إلى إحداها. دخل خلفنا ثلاثة أشخاص يترنَّحون. جلَستُ، وأجريتُ التوصيل، وأخيراً يمكنني أن أسترخي وأغمض عينيّ.

لم تبقيا مغمضتين لفترة طويلة. فورة نشاط! استويتُ جالسةً بينما استُبدل الطين الذي أستخدمه كدم بسائلٍ مشحونٍ جداً. نظرتُ حولي وتلقيتُ سلسلة ابتسامات حمقاء. ها هي ليزا وبينكي ودايف. وعند الجدار البعيد كانت كريستابل تدور من قبل أمام المرذاذ الهوائي ببطء، لتحصل على لون قوقازي. بدا فريقاً جيداً.

فتَحتُ الجارور وبدأت العمل التمهيدي على وجهي. المهمة أصعب كل مرة. نقل دم أم لا، كنتُ أبدو ميتة. لقد اختفت أذني اليمنى بالكامل الآن. ولم أعد أستطيع إغلاق شفتيّ؛ تبقى اللثة مكشوفة بشكل دائم. الأسبوع الفائت، سقط إصبعٌ أثناء نومي. وما شأنك، أيها التافه؟

بينما كنتُ أعمل، توهَّجت إحدى الشاشات حول المرآة. شابة مبتسمة، شقراء، حاجب مرتفع، وجه مستدير. قريب بما فيه الكفاية. كان خط الزحف يقول *ماري كاترينا سوندرغارد، وُلدت في ترنتون،*

سفر أم خطر

بيوجيرسي، العمر في 1979: 25. عزيزتي، هذا هو يوم سعدك.

أذاب الكمبيوتر البشرة عن وجهي ليُظهِر لي بنية عظامي، برمها، ثم أعطاني مقاطع عرضية. درَستُ أوجه الشبه مع جمجمتي، ولاحَظتُ الفروق. ليس سيئاً، وأفضل من بعض مما أُعطيتُ سابقاً.

جمَّعتُ طقم أسنان اصطناعية تضمَّن الفجوة البسيطة في القواطع العليا. وملأ المعجون خديَّ. سقطت العدسات اللاصقة من الموزِّع ووضعتُها على عينيَّ. وعرَّضت قابسات الأنف منخريَّ. لا حاجة إلى أذنين؛ فالشعر المستعار سيغطيهما. سحَبتُ قناع لحم بلاستيكي فارغ فوق وجهي وكان عليَّ أن أنتظر قليلاً لكي يذوب. احتاج إلى دقيقة فقط ليتقولَب بشكل مثالي. ابتسمتُ لنفسي. كم جميل أن تكون لديَّ شفتان.

قرقَرت فتحة التسليم وأسقطت شعراً مستعاراً أشقر وملابس زهرية في حُضني. كان الشعر المستعار ساخناً من آلة التصفيف. وَضَعتُه على رأسي، ثم ارتديتُ الجوارب الطويلة.

"ماندي؟ هل حصلتِ على النبذة عن سوندرغارد؟". لم أرفع نظري؛ لقد تعرَّفتُ على الصوت.

"أجل".

"لقد حدّدنا مكانها بالقرب من المطار. يمكننا إدخالك خلسةً قبل الإقلاع، لذا ستكونين المهرِّج".

تأوهتُ، ونظرتُ إلى الوجه على الشاشة. ألفريدا بلتيمور-لويسفيل، مديرة الفِرق التشغيلية: وجه بلا حياة وشقّان صغيران جداً للعينين. ماذا يمكنك أن تفعل عندما تموت كل العضلات؟

"حسناً". تأخذ ما تحصل عليه.

أطفأت الأضواء، وأمضيتُ الدقيقتين التاليتين أحاول أن أرتدي ملابسي مع إبقاء عينيَّ على الشاشات. استظهَرتُ أسماء أعضاء الطاقم ووجوههم زائد الحقائق القليلة المعروفة عنهم. ثم أسرعَتُ ولحِقتُ بالآخرين. الوقت المنقضي من الإنذار الأول: اثنتا عشرة دقيقة وسبع ثوانٍ. من الأفضل لنا أن نتحرَّك.

"تباً لك صن-بَلت"، شَكت كريستابل وهي تشدّ حمّالة صدرها.

"على الأقل تخلَّصوا من الكعوب العالية"، أشار دايف. قبل سنة كنا لنترنَّح في الأروقة على أحذية ارتفاع كعوبها ثمانية سنتيمترات. وكلنا ارتدينا قمصاناً تحتيةً زهريةً قصيرةً ذات تقليمات زرقاء وبيضاء قطرية عند جهاتها الأمامية، وحملنا حقائب كتف مطابقة. وكنتُ أثير جلبةً عند محاولة تثبيت القبعة الصغيرة المستديرة المضحكة.

هروَلنا إلى غرفة تحكم العمليات الداكنة واصطففنا عند البوابة. لقد أصبحت الأمور خارج سيطرتنا الآن. إلى أن تصبح البوابة جاهزة، لا يسعنا سوى الانتظار.

كنتُ أول الواصلين، على بُعد متر تقريباً من البوابة. استدرتُ عنها؛ وسبَّب لي ذلك دواراً. ركَّزتُ بدلاً من ذلك على الأقزام الجالسين وراء وحدات تحكمهم، غارقين في الأضواء الصفراء لشاشاتهم. لا أحد منهم اِلتفَت صوبي. لا يحبّوننا كثيراً. وأنا لا أحبّهم أيضاً. ذابلون، هزيلون، كلهم. تُعتبر أرجلنا وأعقابنا البدينة وصدورنا توبيخاً لهم، تذكيراً بأن المنتزِعين يأكلون خمسة أضعاف حصتّهم لكي يبقوا حسني المظهر للتنكّر. في غضون ذلك، نتابع التعفّن. سأجلس ذات يوم خلف وحدة تحكم. *سأُحوَّل* ذات يوم إلى وحدة تحكم، وتكون كل أحشائي في الخارج ولن يبقى شيء من جسمي سوى رائحة كريهة. تباً لهم.

سفر أم خطر

طمَرتُ مسدسي تحت ركام من الأنسجة وأحمر الشفاه في جزداني. كانت ألفريدا تنظر إليَّ.

"أين هي؟"، سألتُ.

"غرفة الفندق الرخيص. كانت لوحدها من 10 مساءً إلى الظهر في يوم الرحلة".

كان وقت الرحيل 1:15. ستُنهي الأمور عند حدودها القصوى وتكون على عجلة من أمرها. جيد.

"هل يمكنك القبض عليها في الحمّام؟ وأفضل حتى، في المغطس؟".

"إننا نعمل على ذلك". رسمت ابتسامة برأس إصبعها فوق شفتين بلا حيوية. كانت تعرف كيف أحبّ أن أعمل، لكنها كانت تُخبِرني أن أقبل ما لديَّ. السؤال لا يؤذي أبداً. يكون الناس مسالمين إلى أقصى حد عندما يكونون غارقين حتى أعناقهم في الماء.

"اذهبي!"، صرَخت ألفريدا. دخلتُ، وبدأت الأمور تسوء.

كنتُ أنظر في الاتجاه الخطأ، خارجةً من باب الحمّام ومواجهةً غرفة النوم. استدرتُ ولمحتُ ماري كاترينا سوندرغارد عبر ضباب البوابة. لم تكن هناك أي طريقة لبلوغها من دون معاودة الدخول. لا أستطيع حتى التصويب من دون إصابة أحدهم على الجهة الأخرى.

كانت سوندرغارد أمام المرآة، وهو أسوأ مكان ممكن. قلّة من الناس يتعرَّفون على أنفسهم بسرعة، لكنها كانت تنظر إلى نفسها. رأتني واتّسعت عيناها. تنحَّيتُ جانباً، بعيداً عن أنظارها.

"تباً ما هذا... مهلاً؟ تباً مَن...". لاحَظتُ الصوت، الذي يمكن أن يكون أصعب شيء لتحديده بشكل صحيح.

قدَّرتُ أنها ستكون فضولية أكثر مما هي خائفة. كان ظنّي

صحيحاً. خرجَت من الحمّام، ومرَّت عبر البوابة كما لو أنها لم تكن هناك، وهي لم تكن، بما أن لها جهة واحدة فقط. كانت تلفّ منشفةً حول نفسها.

"يا إلهي! ماذا تفعلين في –". تخذلك الكلمات في أوقات كهذه. عرَفت أن عليها أن تقول شيئاً، لكن ماذا؟ *عفواً، ألم أرك في المرآة؟*

رسمتُ أفضل ابتسامة لديَّ كمضيفة ومدَدتُ يدي.

"عذراً على التطفّل. يمكنني أن أشرح كل شيء. أنا –". ضربتُها على جهة رأسها فترنَّحت وسقطت بقوة. وسقطت منشفتها على الأرض. "– أشقّ طريقي في الكلية". بدأَت تنهض، لذا أصبتُها تحت ذقنها بركبتي الاصطناعية. بقيَت على الأرض.

"*زيت* قياسي لعين!". همسَتُ وأنا أفرك مفاصل أصابعي المجروحة. لكن لم يكن هناك وقت. ركَعتُ بجانبها، وتفحّصتُ نبضها. ستكون بخير، لكنني أعتقد أنها خلخلتُ بعض أسنانها الأمامية. رحتُ أفكِّر للحظات. يا للهول أن تبدو هكذا من دون ماكياج، وبلا أعضاء اصطناعية! كادت تفطر لي قلبي.

أمسَكتُها من تحت رُكبتَيها وكافحتُ لآخذها إلى البوابة. كانت كيس معكرونة مترهّلة. مدَّ أحدهم يديه، وأمسك قدمَيها، وسحَب. *وداعاً، عزيزتي! ما رأيك بالذهاب في رحلة طويلة؟*

جلَستُ على سريرها المستأجَر لألتقط أنفاسي. كانت هناك مفاتيح سيارة وسجائر في جزدانها، تبغ أصلي، يستحق وزنه دماً. أشعلتُ ست منها، على اعتبار أن لديَّ خمس دقائق بمفردي. امتلأت الغرفة بدخان عذب. لم يعودوا يصنعونها هكذا.

كانت سيارة السيدان في مرأب سيارات الفندق الرخيص. ركبتُها

سفر أم خطر

وتوجَّهتُ نحو المطار. رحتُ أتنفَّس عميقاً الهواء الغني بالهيدروكربونات. كان يمكنني الرؤية لمئات الأمتار أمامي. كاد المنظر يصيبني بدُوار، لكنني أعيش لهكذا لحظات. لا توجد أي وسيلة لشرح طبيعة الوضع في العالم ما قبل المشاريع المنزلية. كانت الشمس كُرة صفراء شرِسة في الضباب.

كانت المضيفات الأخريات يصعدن إلى الطائرة. بعضهن يعرفن سوندرغارد لذا لم أقل الكثير، مدّعيةً أنني مصابة بصُداع ما بعد الثمالة. نجح ذلك جيداً، مع كثير من ضحكات المعرفة والملاحظات الخبيثة. من الواضح أن ذلك لم يكن خلافاً للطبيعة. صعدنا إلى الـ 707 واستعدّينا لوصول الماعز.

بدا الوضع جيداً. كانت المغاوير الأربعة على الجهة الأخرى توائم مماثلات للنساء اللواتي أعمل معهن. لم يكن هناك شيء أفعله سوى أن أكون مضيفة حتى وقت الرحيل. أمَلتُ ألا تكون هناك شوائب أكثر. فعكس بوابةٍ لمهرِّجٍ في غرفة فندق رخيص كان شيئاً، لكن على متن طائرة 707 على ارتفاع ستة آلاف متر...

كانت الطائرة ممتلئة بالكامل تقريباً عندما أغلقت المرأة التي ستنتحل بينكي شخصيتها الباب الأمامي. سارت الطائرة إلى نهاية المدرَج، ثم أصبحنا في الجو. بدأتُ آخذ طلبات الشراب أولاً.

كان الماعز من الصنف المعتاد، للعام 1979. بدينون ووقحون، كلهم، وغير مُدركين لعيشهم في نعيم مثلما أن السمكة غير مدركة للبحر. *ما رأيكم، سيداتي سادتي، برحلة إلى المستقبل؟ لا؟ لا يمكنني القول إنني متفاجئة. ماذا لو أخبَرتُكم أن هذه الطائرة ذاهبة إلى* –

صفَّرت ذراعي عندما وَصَلنا إلى ارتفاع التحليق المخصَّص لنا. استشرتُ المؤشر تحت ساعتي البولوفا وألقيتُ نظرة سريعة على باب أحد

المراحيض. شعَرتُ باهتزاز في الطائرة. *تباً، ليس باكراً إلى هذا الحدّ.*

كانت البوابة هناك. خرجتُ بسرعة، وأومأتُ لديانا غليسون – حمامة دايف – أن تأتي إلى المقدمة.

"انظري إلى هذا"، قلتُ بنظرة مشمئزة. بدأت تدخل المرحاض، وتوقفت عندما رأت التوهُّج الأخضر. زرعتُ حذائي على مؤخّرتها ودفَعَتُ. مثالي. سيتسنّى لدايف أن يسمع صوتها قبل دخوله. رغم أنها لن تفعل أكثر من مجرد الصراخ عندما تلقي نظرة في الأرجاء...

اجتاز دايف البوابة، وعدَّل قبعته الصغيرة السخيفة. لا شك أن ديانا قاومته.

"كن مشمئزاً"، همَستُ.

"يا لها من فوضى"، قال وهو يخرج من المرحاض. كان تقليداً مقبولاً لنبرة ديانا، لكنه افتقد اللكنة. لن يعود ذلك مهماً.

"ما هذا؟". كانت إحدى المضيفات من الدرجة السياحية. تنحّينا جانباً لكي تستطيع إلقاء نظرة، ودفَعها دايف. غادرت پينكي بسرعة.

"فاتتنا بضع دقائق"، قالت پينكي. "لقد خسِرنا خمس دقائق على الجهة الأخرى".

"خمس دقائق؟"، زعقَ دايف-ديانا. شَعَرتُ نفس الشعور. لدينا مئة وثلاثة ركاب لمعالجتهم.

"أجل. لقد فَقَدوا السيطرة بعد أن دفَعتي حمامتي. احتاجوا إلى تلك الدقائق لإعادة تنظيم أمورهم".

يعتاد المرء على ذلك. فالوقت يمرّ بسرعات مختلفة عند جهتَي البوابة، رغم أنه تسلسلي دائماً، فيسير من الماضي إلى المستقبل. بعدما بدأنا الانتزاع مع دخولي غرفة سوندرغارد، لم تكن هناك أي طريقة

للعودة إلى الماضي عند الجهتين. هنا، في العام 1979، كانت لدينا أربع وتسعون دقيقة بالضبط لإنجاز كل شيء. على الجهة الأخرى، لا يمكن المحافظة على البوابة لأكثر من ثلاث ساعات.

"عندما رحلت، كم من الوقت مرَّ منذ أن اشتغل الإنذار؟".

"ثماني وعشرون دقيقة".

لم يبدُ ذلك جيداً. سنحتاج إلى ساعتين على الأقل لمجرد تخصيص الجبناء. بافتراض عدم وجود انزلاق أكثر في وقت العام 79، قد ننجح. لكن هناك انزلاق *دائماً*. ارتجَفتُ وقد خطرت ببالي فكرة ركوبه.

"إذاً لا وقت لمزيد من الألعاب"، قلتُ. "يينك، عودي إلى الدرجة السياحية واستدعي الفتاتين الأخريين إلى هنا. أخبِريهما أن تأتيا الواحدة تلو الأخرى، وأخبِريهما أن لدينا مشكلة. تعرفين الإجراءات".

"كبت الدموع. فهمتُك". أسرعَت. ظهرت الأولى بلمح البصر. كانت ابتسامة صن-بَلت الودودة مرسومة على وجهها، لكن معدتها ترغي وتزبد. *يا إلهي، حانت اللحظة!*

أخذتُها من مِرفقها وسحَبتُها إلى خلف الستائر عند الجهة الأمامية. كانت تتنفس بصعوبة.

"مرحباً بك في منطقة الشَفَق"، قلتُ، ووضعت المسدس برأسها. خرَّت، والتقَطتُها. ساعَدتني يينك ودايف في دفعها عبر البوابة.

"تباً! الشيء المتعفِّن يهتزّ".

كانت يينكي محقّة. وهذه دلالة مُنذِرة بسوء كبير. لكن التوهُّج الأخضر توازَن أمام ناظرينا، مع مقدار مجهول من الانزلاق في الجهة الأخرى. انحنت كريستابل.

"لدينا أكثر من ثلاثة وثلاثين"، قالت. لم يكن هناك مغزى من

التكلّم عما كنا كلنا نفكّر فيه: كانت الأمور تسير بشكل سيئ.

"عودي إلى الدرجة السياحية"، قلتُ. "كوني شجاعة، وابتسمي للجميع، لكن اجعليها جيدةً جداً أكثر من المتوقع بقليل، مفهوم؟".

"أجل"، قالت كريستابل.

عالجَنا الأخرى بسرعة، دون أي حادث. ثم لم يكن هناك وقت للتكلّم عن أي شيء. فبعد تسع وثمانين دقيقة ستكون الرحلة 128 منتشرة فوق جبلٍ سواء كنا قد أنجزنا مهمتنا أم لا.

دخَل دايف قُمرة القيادة ليمنع طاقم الرحلة من إزعاجنا. كان يُفترَض أن أهتمّ وپينكي بالدرجة الأولى، ثم نساند كريستابل وليزا في الدرجة السياحية. استخدَمنا مناورة "قهوة، شاي، أو حليب" القياسية، متكّلات على سرعتنا وهمودهم.

انحنيتُ فوق أول مقعدَين على اليسار.

"هل تستمتعان برحلتكما؟". طاخ، طاخ. ضغط الزناد مرتين، على مقربة من الرؤوس وبعيداً عن أنظار بقية الماعز.

"مرحباً. أنا ماندي. طيريني". طاخ، طاخ.

في منتصف الطريق إلى المطبخ، كان بضعة أشخاص يراقبوننا بفضول. لكن الناس لا يسبّبون هرجاً ومرجاً إلى أن يصبح لديهم أكثر بكثير لينطلقوا منه. نهضت معزاةٌ في صف خلفي، وأعطيتُها ما تستحقه. لم يبق الآن إلا ثمانية مستيقظين فقط. تخلّيتُ عن الابتسامة وأطلقتُ أربع طلقات سريعة. اهتَمت پينكي بالباقين. أسرعَنا عبر الستائر، في الوقت المناسب.

كان هناك صَخَب يتصاعد في الجهة الخلفية للدرجة السياحية، بعد معالجتنا حوالي ستين بالمئة من الماعز. ألقت كريستابل نظرة سريعة

عليَّ، وأومأتُ لها برأسي.

"حسناً أيها القوم"، صاحت. "أريدكم أن تلزموا الصمت. اهدأوا واسمعوني جيداً. *أنت*، أيها الغبي، *اصمت* قبل أن أحشر قدمي بالعرض في مؤخّرتك".

صدمة سماعه كلامها له بهذه الطريقة كان كافياً ليوفّر لنا بعض الوقت، على أي حال. شكّلنا خط مناوشة على عرض الطائرة، وشهرنا المسدسات، وثبّتنا أنفسنا على ظهور المقاعد، وصوّبنا على المجموعة المُربَكة من ثلاثين معزاةٍ.

المسدسات كافية لإرهاب معظم المتهوّرين تقريباً. الصاعق القياسي في جوهره هو مجرد قضيب بلاستيكي ذي قصبتين تبعدان خمسة عشر سنتيمتراً عن بعضهما. لا يحتوي على كمية كافية من المعدن ليسبّب إطلاق إنذار الاختطاف، ولا يبدو سلاحاً لكل الأشخاص بدءاً من العصر الحجري وحتى العام 2190 بل مجرد قلم حبر جاف. لذا فإن قسم المعدّات يُنعِشها في صَدفة بلاستيكية بناسفات باك روجرز حقيقية، مع دزينة مسكات وأضواء تومض وماسورة تشبه خَطْم دبّ. بالكاد يصادف أي شخص واحداً منها.

"نحن في خطر كبير، والوقت قصير. عليكم جميعاً أن تفعلوا مثلما أقول لكم، وستكونون بأمان".

لا يمكنك إعطاءهم وقتاً للتفكير، عليك أن تتّكل على موقعك كصوت سلطوي. *لن* يبدو الموقف منطقياً لهم، كيفما شرحته.

"مهلاً لحظة، أعتقد أنكم تَدينون لنا –"

محامٍ في الجو. أخذتُ قراراً مرتجلاً، فتلمّستُ بدّالة الألعاب النارية في مسدسي، وأطلقتُ النار عليه.

أصدرَ المسدس صوتاً كأنه صحن طائر يعاني من بواسير، وبصقَ شرارات وألسنة لهب صغيرة، ومدَّ إصبعاً ليزرياً أخضر إلى جبهته. سقط أرضاً.

كله مصدر للقلق، بالطبع. لكنه مؤثِّر بالتأكيد.

ومحفوف بالمخاطر أيضاً. كان عليَّ أن أختار بين ذعرٍ إذا جعلهم الغبي يفكِّرون، وبين ذعر محتمل من وميض المسدس. لكن عندما يبدأ أحد العشرين بالتكلم عن "حقوقه" وما "نَدين" له، يمكن أن تخرج الأمور عن السيطرة. هذا مُعدٍ.

نجحَ ذلك. كان هناك الكثير من الصراخ، وأشخاص يختبئون خلف المقاعد، لكن لا فورة. كان يمكننا مُعالجَة الأمر، لكننا نحتاج إلى بعضهم واعياً إذا كنا سننُهي عملية الانتزاع.

انهضوا. انهضوا، أيتها *اليرقات*!"، صاحت كريستابل. "لقد صُعق فقط لا غير. لكنني *سأقتل* أي شخص يخرج عن الخط. *انهضوا* الآن وافعلوا ما أقوله لكم. *الأولاد أولاً! أسرِعوا*، بأسرع ما يمكنكم، إلى مقدمة الطائرة. افعلوا ما تقوله لكم المضيفة. هيا يا أولاد، *تحرّكوا*!".

ركَضتُ عائدةً إلى الدرجة الأولى قبل الأولاد، واجتزتُ باب المرحاض المفتوح، وركعتُ على رُكبتيَّ.

كانوا مشلولين من الخوف. خمستهم – بعضهم يبكي، وهذا يخنقني دائماً – وينظرون يميناً ويساراً إلى الأشخاص الميتين على مقاعد الدرجة الأولى، ويتعثَّرون، على وشك أن يصابوا بذعر تام.

"هيا يا أولاد"، ناديتُهم وأنا أرسم ابتسامتي الخاصة على وجهي. "سينضم إليكم أهلكم بعد لحظات. كل شيء سيكون على ما يرام، أعِدُكم. هيا".

مرَّرتُ ثلاثة منهم. الرابعة عارضت. كانت مصمِّمة على عدم اجتياز ذلك الباب. بسطت رِجليها وذراعيها ولم أتمكن من دفعها عبره. لن أضرب ولداً، أبداً. خدشَتْ وجهي بأظافرها. سقط شعري المستعار، وفغَر فمها عند رؤية رأسي العاري. دفَعتُها بقوة.

كان الخامس يجلس في الرِواق، يصيح. ربما كان في السابعة من عمره. ركَضتُ إليه ورفعتُه، احتضنتُه وقبَّلتُه، وقذفتُه عبر الباب. آه، أحتاج إلى بعض الراحة، لكنهم يحتاجون إليَّ في الدرجة السياحية.

"أنت، أنت، وأنت. حسناً، أنت أيضاً. هلاّ ساعدتموه؟".

كانت لبينكي عين خبيرة في تمييز الأشخاص الذين لن يكونوا ذوي فائدة لأحد، حتى لأنفسهم. سقناهم نحو مقدمة الطائرة، ثم نشرنا أنفسنا عند الجهة اليسرى حيث يمكننا تغطية العمّال. لم نحتج إلى وقت طويل لحثّهم على العمل. جعلناهم يسحبون الجثث المترهّلة إلى الأمام بأسرع ما يمكنهم. كنتُ وكريستابل في الدرجة السياحية، وكل الآخرين أمامنا.

كان الأدرينالين يُنتقَض في جسمي الآن؛ زالت فورة النشاط وبدأتُ أشعر بتعب شديد. هناك موجة تعاطف لا يمكن تجنّبها مع الماعز المغفَّلين المساكين تبدأ تصيبني في هذه المرحلة من اللعبة. طبعاً من الأفضل أن نتخلّص منهم، وطبعاً كانوا سيموتون لو لم نُخرجهم من الطائرة. لكن عندما يرون الجهة الأخرى سيجدون صعوبة في التصديق.

كانت الدفعة الأولى تعود لنقل حمولةٍ ثانيةٍ، مذهولةً مما رأوه للتو: عشرات الأشخاص يُوضَعون في حُجيرة تكون مزدحمة عندما تكون فارغة. بدا طالب كليةٍ كأنه أُصيب في معدته. توقَف بجانبي بعينين تتضرَّعان.

"اسمعي، أريد *مساعدتكم*، لكن... ماذا *يجري*؟ هل هذا نوع جديد من عمليات الإنقاذ؟ أقصد، هل سنتحطَّم -"

بدَّلتُ مسدسي إلى صيغة الحثّ ومسحته على خده. لَهَث، وسقط أرضاً.

"أغلق فمك اللعين وتحرَّك، وإلا فسأقتلك". ستمرّ ساعات قبل أن يعود فكّه إلى شكله الطبيعي ليسأل أي أسئلة غبية أخرى.

أفرغنا الدرجة السياحية وانتقلنا صعوداً. كان اثنان من مجموعة العمل قد أصبحا مرهقَين تماماً وقتها. عضلاتهم كلهم كالأحصنة، لكن بالكاد يمكنهم صعود السلالم. تركنا بعضهم يمرّ، بما في ذلك شخصين في الخمسين من عمرهما على الأقل. يا للهول. خمسين! اقتصرت المجموعة الآن على أربعة رجال وامرأتين بدوا أقوياء، وجعلناهم يعملون إلى أن كادوا ينهارون. لكننا عالجَنا الجميع في خمس وعشرين دقيقة.

خرجت كاميرا تصوير الفيديو بينما كنا نخلع ملابسنا. قرَعت كريستابل على باب قُمرة القيادة وظَهَر دايف، عارياً من قبل. علامة سيئة.

"اضطررتُ إلى تقييدهم"، قال. "لقد شعَر القبطان الحزين أن *عليه* القيام بجولته الكبيرة في الطائرة. حاوَلتُ *كل شيء*".

تضطر أحياناً إلى فعل ذلك. كانت الطائرة تطير على الطيّار الآلي، مثلما هي العادة في هذا الوقت. لكن إذا قام أحدنا بأي شيء مؤذٍ للطائرة، فيغيِّر المسار الثابت للأحداث بأي طريقة، سيضيع كل عملنا هباءً، وتصبح الرحلة 128 محظورة علينا دائماً. لا أفقه شيئاً عن نظرية الوقت، لكنني أعرف الزوايا العملانية. يمكننا أن نفعل أشياء في الماضي في بعض الأوقات وبعض الأماكن فقط حيث لن يُحدِث ذلك

أي فرق. علينا تغطية آثارنا. هناك مرونة؛ ذات مرة نسيت منتزِعةٌ مسدسها ودخَل مع الطائرة. لم يعثر عليه أحدٌ، أو إذا عثروا عليه، لم تكن لديهم أدنى فكرة عما كان، لذا كنا في السليم.

كانت الرحلة 128 فشلاً ميكانيكياً. هذا أفضل الأنواع؛ فهو يعني أننا لسنا مضطرين إلى إبقاء الطيّار غير مُدرك للحالة في المقصورة حتى مرحلة الهبوط على الأرض. يمكننا تقييده وقيادة الطائرة، بما أنه لا يوجد أي شيء كان بإمكانه أن يفعله ليُنقذ الرحلة على أي حال. التحطّم بسبب خطأ ارتكبه الطيّار هو حالةٌ من المستحيل تقريباً انتزاعها. نعمل في الأغلب على الأعطال في الجو، والقنابل، والأعطال البنيوية. وإذا كان هناك ناجٍ واحدٍ حتى، لا يمكننا لمسه. فذلك لن يلائم نسيج الزمكان (أو الزمان-المكان) الذي يُعدّ راسخاً (رغم أنه يمكنه التمدّد قليلاً)، وسنتلاشى كلنا ونظهر في غرفة الاستعداد من جديد.

كان رأسي يؤلمني. أردتُ كاميرا تصوير الفيديو تلك بشدّة.

"مَن التي أمضت أطول مدة على متن طائرةٍ 707؟". پينكي. لذا أرسَلتُها إلى المقصورة، مع دايف، الذي يمكنه تقليد صوت الطيّار لبرج مراقبة الحركة الجوية. يجب أن يكون لديك سجل يمكن تصديقه في مسجِّل الرحلة، أيضاً. سحبا أنبوبَين طويلين من كاميرا تصوير الفيديو، وتجمهَر بقيتنا عن قُرب. وَقَفنا هناك ندخِّن حفنةً من السجائر أردنا إنهاءها لكننا كنا نتمنى ألا يكون هناك وقت لذلك. تلاشت البوابة حالما قَذَفنا ملابسنا وطاقم الرحلة عبرها.

لكننا لم نقلق طويلاً. هناك أشياء *لطيفة* أخرى في عملية الانتزاع، لكن لا شيء يُقارَن بإثارة التوصيل بكاميرا تصوير فيديو. نقل الدم للاستيقاظ ليس سوى دم طازج، غني بالأكسجين وقِطع السكر. ما

كنا نحصل عليه الآن هو خليط مدهش من الأدرينالين المركّز، الهيموغلوبين المشبَّع بإفراط، الميثيدرين، برق أبيض، تي أن تي، وعصير السعادة كيكابو. كان ذلك أشبه بمفرقعة نارية في قلبك.

"إنني أنمي شعراً على صدري"، قالت كريستابل بوقار. قهقه الجميع.

"هلاّ أعطاني أحدكم مُقلتَي عينيَّ؟".

"الزرقاء أم الحمراء؟".

"أعتقد أن مؤخّرتي سقطت للتو".

لقد سمِعنا كل هذا من قبل، لكننا رحنا نعوي على أي حال. كنا أقوياء، *أقوياء*، وللحظة ذهبية واحدة لم تكن لدينا أي هموم. كان كل شيء مُضحكاً. كان يمكنني تمزيق صفيحة معدنية برموشي.

لكنك تصبح مفرط النشاط من ذلك المزيج. عندما لم يظهر العدّاد، ولم يظهر، ولم يظهر، بدأنا كلنا نتجمهر. لم تكن هذه الطائرة ستطير لفترة طويلة بعد.

ثم ظهرَ، وشغّلنا. خرج أول الجبناء، مرتدياً الملابس المأخوذة من راكبٍ تم اختياره ليشبهه.

"اثنان وخمسة وثلاثون الوقت الإيجابي المنقضي"، أعلَنت كريستابل.

"يا للهول".

إنه روتينٌ مُخفِتٌ. تُمسِك السرج حول كتفَي الجبان وتسحبه إلى الرِواق، بعد استشارة رقم المقعد المطلي على جبهته. سيدوم الطلاء لثلاث دقائق. تُجلسه على مقعده، وتشدّ حزام أمانه، وتفكّ السرج وتعيده معك لتقذفه عبر البوابة بينما تُمسِك الجبان التالي. عليك افتراض أنهم قاموا بالعمل الصحيح على الجهة الأخرى: حشوات الأسنان،

بصمات الأصابع، التطابق الصحيح في الطول والوزن ولون الشعر. معظم تلك الأمور لا تهمّ كثيراً، خاصة في الرحلة 128، التي هي مهمة تحطّم واحتراق. ستكون هناك أجزاء وقِطع محروقة كلياً. لكن لا يمكنك أن تخاطر. فعمّال الإنقاذ دقيقون جداً بشأن الأجزاء التي يعثرون عليها؛ وتُعدّ طبعة الأسنان وبصمات الأصابع مهمة بشكل خاص.

أكره الجبناء. أكرههم حقاً. كلما أمسكتُ سرج أحدهم، إذا كان ولداً، أتساءل إن كان أليس. *هل أنت ابنتي، أيتها الخضرة، أيتها اليرقة، أيتها الدودة المقزّزة؟* انضممتُ إلى فريق المنتزِعين مباشرة بعد أن أكلت حشرات الدماغ الحياة من رأس طفلتي. لم أتمكن تحمّل فكرة أنها الجيل الأخير، أن آخر البشر هناك سيعيشون بلا شيء في رؤوسهم، ميتين طبياً وفق المعايير السائدة حتى في العام 1979، والكمبيوترات تشغِّل عضلاتهم لإبقائهم في الإيقاع. تكبُرين، تصلين إلى مرحلة البلوغ ولا تزالين خصبةً - واحد من ألف - تُسرِعين لتصبحي حاملاً من النزوة الأولى. ثم تكتشفين أن أمك أو أباك أورثتك مرضاً مزمناً في الجينات، ولن يكون أيٌ من أولادك منيعاً ضده. كنتُ أعرف عن شبه الجذام؛ ترعرعتُ وأصابع قدميَّ تتعفّنان. لكن هذا كان كثيراً. ماذا تفعل؟

فقط واحد من عشرة من الجبناء لديه وجه مخصَّص. فبناء وجه جديد يصمد أمام تشريح الطبيب يتطلّب الكثير من الوقت والمهارة. ويأتي الباقي مشوهاً مسبقاً. لدينا الملايين منهم؛ ليس صعباً إيجاد تطابق جيد في الجسم. معظمهم سيبقى يتنفّس، فهُم مغفّلون جداً لكي يتوقفوا عن ذلك، إلى أن ركبوا الطائرة.

ارتعَشت الطائرة بقوة. ألقيتُ نظرة سريعة على ساعتي. خمس

دقائق قبل الاصطدام. لدينا وقت كافٍ. كنتُ على جباني الأخير. يمكنني سماع دايف ينادي الأرض بشكل مضطرب. أتت قنبلة عبر البوابة، وقَذَفتُها إلى قُمرة القيادة. شغَّلت پينكي مستشعِر الضغط في القنبلة وأتت تركض، ودايف خلفها. كانت ليزا قد عبرت من قبل. أمسَكتُ الدمى الرخوة في زيّ المضيفة ورميتُها على الأرض. سقط المحرّك واخترقت قطعة منه المقصورة. بدأنا نفقد الضغط. نسَفت القنبلة جزءاً من قُمرة القيادة (سيعتبر طاقم التحطّم الأرضي – أمَلنا ذلك – أن جزءاً من المحرّك اخترق المقصورة وقتل الطاقم: لا مزيد من الكلمات من الطيّار على مسجِّل الرحلة) واستدرنا، ببطء، يساراً ونزولاً. رُفعتُ نحو الفجوة في جانب الطائرة، لكنني تمكّنتُ من التمسّك بمقعدٍ. لم تكن كريستابل محظوظة إلى هذا الحدّ. فقد دُفعَت إلى الخلف.

بدأنا نرتفع قليلاً، ونحن نفقد السرعة. فجأة كان صعوداً من المكان الذي كانت كريستابل تقف فيه في الرِواق. راح الدم ينزف من صدغها. ألقيتُ نظرة سريعة إلى الخلف؛ كان الجميع قد رحلوا، وكان ثلاثة جبناء في بذلات زهرية مكوَّمين على الأرض. بدأت الطائرة تتعطّل، وتنخفض مقدمتها إلى أسفل، وارتفعت قدماي عن الأرض.

"بالله عليك يا بَلّ!"، صَرَختُ. كانت البوابة تبعد عني متراً واحداً فقط، لكنني بدأتُ أسحب نفسي إلى حيث عامَت. ارتجّت الطائرة، ووقعَت على الأرض. المدهش أن ذلك بدا أنه أيقظها. بدأَت تسبح نحوي، وأمسَكتُ يدها بينما ارتفعت أرضية الطائرة لتخبطنا مرة أخرى. رحنا نزحَف بينما دخلت الطائرة عذاب موتها الأخير، ووصلنا إلى الباب. كانت البوابة قد اختفت.

لم يكن هناك أي شيء لقوله. كنا ندخل. من الصعب إبقاء

البوابة في مكانها في طائرة تسير في خط مستقيم. عندما تبدأ الطائرة تدور دوراناً حلزونياً وتتفكَّك، تصبح الرياضيات مُرعِبة. هكذا قيل لي.

عانَقتُ كريستابل وأمسكتُ رأسها الدموي. كانت مترنِّحة، لكنها تمكَّنت من الابتسام وهزّت كتفيها. تأخذ ما تحصل عليه. أسرعتُ إلى المرحاض وجلسنا على الأرض. لقد عدتُ إلى القاطع الأمامي، كريستابل بين رِجليَّ، من الخلف إلى الأمام. تماماً كما في التدريب. ضغَطنا قدمَينا على الجدار الآخر. عانَقتُها بقوة وبكيتُ على كتفها.

وكان هناك. توهُّج أخضر على يساري. رميتُ نفسي نحوه، ساحبةً كريستابل خلفي، وبقينا منخفضتين بينما رُمي جبانان برأسيهما أولاً عبر البوابة التي فوق رأسينا. أمسكتنا يدان وسحَبتانا. زحفتُ حوالي خمسة أمتار على الأرض. يمكنك أن تترك رِجلاً في الجهة الأخرى ولم تكن لديَّ واحدةٌ يمكنني أن أستغني عنها.

استويتُ جالسةً بينما كانوا ينقلون كريستابل إلى المركز الطبي. ربَّتُّ على ذراعها أثناء مرورها على النقّالة، لكن كان مُغمى عليها. لم أكن أمانع أن يُغمى عليَّ أنا أيضاً.

لبرهة، لا يمكنك أن تصدِّق أن كل ذلك حصل حقاً. يتبيَّن لك أحياناً أنه لم يحصل. تعود وتكتشف أن كل الماعز في الحظيرة تلاشوا فجأة لأن السلسلة المتصلة لم تحتمل التغييرات والتناقضات التي وضعتها فيها. والأشخاص الذين بذلت جهدك لإنقاذهم منتشرون مثل الكاتشاب فوق كل أرجاء تلة لعينة في كارولاينا وكل ما بقي لديك هو مجموعة جبناء مُتلَفين وفريق انتزاع منهك. لكن ليس هذه المرة. يمكنني رؤية الماعز متجمهرين في الحظيرة، عارين ومرتبِكين أكثر من أي وقت مضى. وبدأوا يصابون بخوف *شديد*.

لمَستني ألفريدا بينما مرَرتُ بجانبها. أومأت برأسها، وذلك عَنى أحسنتِ في مخزونها المحدود من الإيماءات. هزَزتُ كتفيَّ، متسائلةً إن كنتُ أهتمّ، لكن الأدرينالين الفائض كان لا يزال في أوردتي ووجَدتُ نفسي أبتسم لها. أومأتُ لها برأسي.

كان جين يقف قرب الحظيرة. ذهَبتُ إليه وعانَقته. شَعَرتُ ببدء تدفّق العصائر. *تباً، دعنا نبذِّر بعض المؤن ونفرح قليلاً*.

كان أحدهم يطرق على جدار الزجاج المعقَّم للحظيرة. صرَخَت، وهي تتلفّظ بكلمات غاضبة علينا. *لماذا؟ ماذا فعلتِ بنا؟* كانت ماري سوندرغارد. ناشَدت توأمها الأصلع ذا الرِجل الواحدة أن يُفهِمها. اعتقَدت أن لديها مشاكل. يا إلهي كم كانت جميلة. أكرهها كثيراً.

سحَبني جين بعيداً عن الجدار. يداي تؤلمانني، وقد كسرتُ كل أظافري المزيَّفة دون خَدش الزجاج. كانت تجلس على الأرض الآن، تبكي. سمِعتُ صوت ضابط التوجيه على مكبِّر الصوت الخارجي.

"... القنطور 3 قابل للسكن، وذو مناخ شبيه بمناخ الأرض. أعني بهذا كوكب الأرض وليس ما أصبح عليه كوكبكم. سترون أكثر عن هذا لاحقاً. ستستغرق الرحلة خمس سنوات، بتوقيت السفينة. وعند بلوغ اليابسة، سيحق لكل شخص منكم بحصان واحد، محراث، ثلاثة محاور، ومئتَي كيلو من البذور..."

اتكأتُ على كتف جين. في أدنى انحساراتهم، في هذه اللحظة بالذات، كانوا أفضل منا بكثير. لديَّ ربما عشر سنوات، نصفها كشخصٍ عاجزٍ. إنهم أفضل ما لدينا، أملنا الكبير. كل شيء متروك لهم.

"... لا أحد مُجبر على الذهاب. نودّ أن نشير مرة أخرى، وليس

للمرة الأخيرة، أنكم جميعاً ستكونون موتى لولا تدخّلنا. لكن هناك أشياء يجب أن تعرفوها. لا يمكنكم أن تتنفسوا هواءنا. إذا بقيتم على كوكب الأرض، لا يمكنك الخروج من هذا المبنى أبداً. نحن لسنا مثلكم. نحن نتيجة غربلة جينية، عملية تحوُّل. نحن الناجون، لكن أعداءنا تطوّروا إلى جانبنا. إنهم يفوزون. لكنكم منيعون من الأمراض التي تفتك بنا..."

جفَلتُ، واستدرتُ.

"... اليد الأخرى، إذا هاجرتَ ستنال فرصة لتحيا حياة جديدة. لن يكون الأمر سهلاً، لكنكم كأميركيين يجب أن تكونوا فخورين بإرث روّادكم. لقد صمَدَ أسلافكم، وستصمدون أنتم أيضاً. يمكن أن تكون تجربة مُجدية، وأُلحّ عليكم..."

بالتأكيد. نظَرَتُ وجين إلى بعضنا البعض وضحِكنا. *اسمعوا هذا، أيها القوم. خمسة بالمئة منكم سيعاني من إنهيارات عصبية في الأيام القليلة القادمة، ولن تزول أبداً. حوالي نفس العدد سينتحر، هنا وعلى الطريق. عندما تصلون إلى هناك، سيموت ستون إلى سبعين بالمئة في السنوات الثلاثة الأولى. ستموتون أثناء الإنجاب، وتلتهمكم الحيوانات، وتدفنون ثُلثَي أطفالكم، وتتضوَّرون جوعاً ببطء عندما لا تهطل الأمطار. وإذا عشتم، سيكون ذلك لتكسروا ظهوركم خلف المحراث، من الشروق إلى الغسق. كوكب الأرض الجديد هو نعمة، أيها القوم!*

يا الله، كم أتمنى لو يمكنني الذهاب معهم.

لديكم الإذن

جو هيل

بدأت مسيرة جو هيل المهنية مع قصة قصيرة تدعى Better Than Home [أفضل من المنزل]، منذ حوالي عشرين سنة، ونشر روايته الأولى - Heart-Shaped box [صندوق شكله قلب] الأكثر مبيعاً - في العام 2007. ألّف ثلاث روايات أخرى محترمة جداً، وكتاب روايات قصيرة (Strange Weather [طقس غريب])، وعشرات القصص القصيرة (نُشر العديد منها في 20th Century Ghosts [أشباح القرن العشرين])، وسلسلة الروايات الرسومية الحائزة على جوائز Locke & Key [لوكي والمفتاح]. إنه إبن محرِّرك المتواضع، الذي لا يمكنه أن يكون فخوراً أكثر من العلاقة بينهما. هذه القصة، التي ألّفها خصيصاً لهذه المختارات، هي إحدى قصصه الأكثر رعباً. لنأمل جميعاً ألا تتحقّق أبداً.

غريغ هولدر في درجة رجال الأعمال

كان هولدر مع كوب شرابه الاسكتلندي الثالث ويتصرّف ببرودة مع المرأة المشهورة الجالسة بجانبه عندما اسودَّت كل الشاشات في المقصورة وظهرت رسالة بنص أبيض عليها. هناك إعلان قادم.

هسهسات ساكنة من نظام مكبّرات الصوت. للطيّار صوت يافع، صوت مراهق غير أكيد يخاطب حَشداً في جنازة.

"مرحبا، معكم القبطان ووترز. لديَّ رسالة من فريقنا على الأرض، وبعد تفكير مليّ، يبدو ملائماً أن أشارككم إياها. لقد وقع

حادث في قاعدة أندرسن لسلاح الجو في غوام و-"

انقطع البث. وساد صمتٌ طويلٌ مشوّقٌ.

"- قيل لي"، تابع ووترز كلامه فجأة، "إن مركز القيادة الاستراتيجية الأميركية لم يعد على اتصال مع قواتنا هناك أو مع مكتب الحاكم الإقليمي. هناك تقارير من مراكزنا عبر البحار تشير - تشير إلى وجود وميض. وميض من نوع ما".

ضغط هولدر نفسه على مقعده عن غير إدراك، كما لو أنه ردّ على صدمة الاضطراب. ماذا قَصَد اللعين بوجود *وميض*؟ وميض ماذا؟ هناك أمور كثيرة يمكنها أن تومض في هذا العالم. الفتاة يمكنها أن تومض قطعةً من ساقها. رجل غني يستطيع أن يومض ماله تبجّحاً أمام الآخرين. البرق يومض. حياتك كلها يمكنها أن تومض أمام عينيك. هل بإمكان غوام أن تومض؟ جزيرة بأكملها؟

"فقط قُل إن قُصفوا بقنبلة نووية، رجاءً"، همست المرأة المشهورة على يساره بصوتها المعسول الذي يدلّ على تربية أصيلة وغنى فاحش.

تابع القبطان ووترز، "آسف أنني لا أعرف المزيد وأن ما أعرفه يُعتبر...". انخفت صوته مرة أخرى.

"مروّعاً؟"، اقترحت المرأة المشهورة. "مُحبِطاً؟ مُرعِباً؟ ساحقاً؟".

"مُقلِقاً"، أكمل ووترز.

"حسناً"، قالت المرأة المشهورة ببعض الاستياء.

"هذا كل ما أعرفه الآن"، قال ووترز. "سنشارككم المزيد من المعلومات فور ورودها إلينا. في هذه الأثناء نحن نحلّق على ارتفاع أحد عشر ألف متر وقد قطعنا نصف مسافة رحلتنا. يجب أن نصل إلى بوسطن قبل الموعد بقليل".

سُمع صريرٌ ونقرة حادّة واستأنفت الشاشات عرض الأفلام. حوالي نصف الأشخاص في درجة رجال الأعمال يشاهدون نفس فيلم البطل الخارق كابتن أميركا يرمي درعه كأنه صحن فريسبي فولاذي، ويقضي على مخلوقات بشعة تبدو كأنها خرجت من تحت السرير.

كانت هناك فتاة سوداء في حوالي التاسعة أو العاشرة من عمرها تجلس على الطرف الآخر للرِواق من هولدر. نظرت إلى أمها وقالت، بصوت مسموع، "أين هي غوام، بالضبط؟". استخدامها لكلمة "بالضبط" دغدغت هولدر، فقد بدت تعليمية جداً وغير طفولية.

قالت والدة الفتاة، "لا أعرف يا حبيبتي. أعتقد أنها قريبة من هاواي". لم تكن تنظر إلى إبنتها. كانت تنظر يميناً ويساراً بارتباك، كما لو أنها تقرأ نصاً غير مرئي بحثاً عن تعليمات. *كيف تناقشين تبادلاً نووياً مع ولدك*.

"إنها أقرب إلى تايوان"، قال هولدر وقد مال عبر الرِواق ليخاطب البنت.

"جنوبي كوريا"، أضافت المرأة المشهورة.

"أتساءل كم شخص يعيش هناك"، قال هولدر.

قوّست المشهورة حاجب عينها. "تعني اعتباراً من هذه اللحظة؟ بناءً على التقرير الذي سمِعناه للتو، أعتقد قلّة فقط".

أرنولد فايدلمان في الدرجة السياحية

يعتقد عازف الكمان فايدلمان أن المراهقة الجميلة جداً والتي تبدو مريضة جداً الجالسة بجانبه كورية. كلما نزعت سمّاعات رأسها – لتكلّم المضيفة أو لتستمع إلى إعلان حديث – سمِع ما بدت له موسيقى

بوب كورية من جهازها السامسونغ. فايدلمان نفسه بقي مغرماً برجل كوري لعدة سنوات، رجل أصغر منه بعشر سنوات، كان يحبّ القصص المصوَّرة ويعزف على كمان الساق بشكل رائع، وقتل نفسه عبر الوقوف أمام قطار الخط الأحمر. كان يدعى سوه وأنفاسه حلوة دائماً، مثل حليب اللوز، وعيناه خجولتين دائماً، وينحرج عندما يكون سعيداً. لطالما ظنَّ فايدلمان أن سوه سعيدٌ، وصولاً حتى يوم قفزه مثل راقصة باليه أمام محرّك وزنه 52 طناً.

أراد فايدلمان أن يواسي الفتاة ولم يرغب في الوقت نفسه أن يتطفّل على قلقها. راح يتصارع ذهنياً مع ما سيقوله، هذا إن كان سيقول أي شيء، ثم نكزها بلطف أخيراً. عندما أخرجت السمّاعات من أذنَيها، قال، "هل تحتاجين إلى شيء لتشربيه؟ لديَّ نصف عبوة كولا لم ألمسها. ليست مليئة بالجراثيم، فقد كنتُ أشرب من الكوب".

قدَّمت له ابتسامة خائفة قليلاً. "شكراً. معدتي منقبضة بالكامل".

أخذت العبوة وشربت رشفةً.

"إذا كانت معدتك منزعجة، فالغازات في المشروب ستساعدك"، قال. "لطالما قلتُ إن آخر شيء أريد أن أتذوّقه على فراش موتي قبل أن أرحل عن هذا العالم هو كوكا كولا باردة". فايدلمان قال هذا الشيء بالضبط لعدة أشخاص آخرين، لكن حالما تخرج الكلمات من فمه، يتمنى لو أنه يستطيع استعادتها.

"لديَّ عائلة هناك"، قالت.

"في غوام؟".

"في كوريا"، قالت وأظهرت له ابتسامة متوترة مرة أخرى. لم يقل الطيّار أي شيء عن كوريا في إعلانه، لكن أي شخص شاهد محطة

CNN في الأسابيع الثلاثة الأخير يعرف أن هذا هو لبّ الموضوع.

"أي كوريا؟"، قال الرجل الضخم على الجهة الأخرى للرِواق. "الجيدة أم السيئة؟".

كان الرجل الضخم يرتدي ياقة عالية مبرومة حمراء بشكل كريه تُبرز لون شمام كوز العسل في وجهه. كان ضخماً لدرجة أنه اندلق خارج مقعده، دافعاً المرأة الجالسة بجانبه - سيدة صغيرة الحجم سوداء الشعر ذات حدّة عصبية المزاج لكلب سلوقي تم تناسله بإفراط - لتلتصق بالنافذة. كان هناك دبوس عَلَم أميركي مطلي بالمينا على طيّة صدر معطفه. عرَف فايدلمان مسبقاً أنه لا يمكن أن يصبح صديقه أبداً.

رمقت الفتاة الرجل الضخم نظرةً جافلةً وملّست فستانها فوق فخذَيها. "كوريا الجنوبية"، قالت، رافضةً أن تلعب لعبته بالجيد مقابل السيئ. "تزوَّج أخي للتو في جيجو. وأنا في طريق العودة إلى كلّيتي".

"أي كلّية؟"، سأل فايدلمان.

"معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا".

"أنا متفاجئ أنه يمكنك دخول هذا المعهد"، قال الرجل الضخم. "عليهم تجنيد عددٍ من أولاد قلب المدينة غير المؤهَّلين لكي يستوفوا حصتهم. وهذا يعني مساحة أقل بكثير لأشخاص مثلك".

"أشخاص مثل ماذا؟"، سأل فايدلمان وهو يلفظ ببطء وتأنٍ. *أشخاص. مثل. ماذا؟* حوالي خمسين سنة من المثليّة الجنسية علّمت فايدلمان أنه من الخطأ ترك بعض الجمل تمرّ مرور الكرام.

لم يخجل الرجل الضخم. "أشخاص مؤهَّلون. أشخاص يستحقون الانتساب. أشخاص يستطيعون إجراء الاحتساب. الرياضيات تنطوي على أكثر بكثير من مجرد عدّ الفكّة عندما يشتري

أحدهم كيس مخدرات. الكثير من مجتمعات المهاجِرين المثالية عانت بسبب الحصص. خاصة الشرقيين".

ضحِك فايدلمان - ضحكة حادّة، متكلّفة، غير مصدِّقة. لكن فتاة معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا أغمضت عينيها ولم تعد تتحرّك وفتح فايدلمان فمه ليوبِّخ السافل الضخم ثم يصمت مرة أخرى. سيكون التسبّب بشجار أمراً فظاً لمشاعر الفتاة.

"إنها غوام، وليست سيول"، أخبرها فايدلمان. "ولا نعرف ماذا حصل هناك. قد يكون أي شيء. قد يكون انفجاراً في محطة لتوليد الطاقة. حادث عادي وليس... نكبةً من أي نوع". أول كلمة خطرت بباله كانت *محرقة*.

"قنبلة قذرة"، قال الرجل الضخم. "أراهنك على مئة دولار. إنه منزعج فقط لأننا لم نُصبه في روسيا".

هو كان القائد الأعلى لكوريا الشمالية. هناك إشاعات أن شخصاً أطلق عليه النار بينما كان في زيارة دولة إلى الجهة الروسية لبحيرة خاسان، وهي كتلة مائية على الحدود بين الدولتين. تقول تقارير غير مؤكَّدة إنه أُصيب في كتفه، أُصيب في رُكبته، لم يُصَب أبداً؛ إن ديبلوماسياً بجانبه أُصيب ومات؛ إن أحد أشباه القائد الأعلى هو الذي قُتل. وفقاً للانترنت، كان القاتل إما معارضاً قوياً لبوتين، أو عميلاً لوكالة الاستخبارات المركزية تنكّر كعضوٍ في فريق أسوشيتد برس، أو نجم موسيقى بوب كورية يدعى وجبة طعام قيّمة إضافية. تصرّ وزارة الخارجية الأميركية ووسائل الإعلام الكورية الشمالية، في حالة توافق نادرة، على أنه لم يتم تبادل إطلاق النار خلال زيارة القائد الأعلى إلى روسيا، ولا محاولة اغتيال أبداً. مثل الكثيرين الذين كانوا يتابعون

القصة، فهِم فايدلمان أن هذا يعني أن القائد الأعلى كان قاب قوسين من أن يموت فعلاً.

صحيح أيضاً أنه منذ ثمانية أيام، أسقطت غواصة أميركية تقوم بدورية في بحر اليابان صاروخاً اختبارياً كورياً شمالياً في المجال الجوي الكوري الشمالي. واعتبر ناطقٌ لكوريا الشمالية أن ذلك العمل عملاً حربياً ووعَد بالثأر. حسناً، لا. وعَد أن يملأ أفواه كل الأميركيين بالرماد. القائد الأعلى نفسه لم يقل شيئاً. لم يره أحدٌ منذ محاولة الاغتيال التي لم تحصل.

"لن يكونوا بهذا الغباء"، قال فايدلمان للرجل الضخم وهو منحنٍ أمام الفتاة الكورية. "فكِّر بما سيحصل".

راحت المرأة الصغيرة الحجم الكَثّة الداكنة الشعر تحدِّق في الرجل الضخم الجالس بجانبها بفخر خانع، وأدرك فايدلمان فجأة لماذا كانت تحتمل تطفّل كرشه على مساحتها الشخصية. كانا معاً. إنها تحبّه. وربما تعشقه.

ردَّ الرجل الضخم بهدوء، "مئة دولار".

ليونارد ووترز في قُمرة القيادة

داكوتا الشمالية مكان تحتهم لكن كل ما يستطيع ووترز رؤيته هو فُسحة كبيرة من التلال السحابية التي تمتدّ إلى الأفق. لم يزر ووترز داكوتا الشمالية أبداً وعندما يحاول تخيّلها، يتخيَّل معدّات مزرعة قديمة صدئة، بيلي بوب ثورنتون، ومضاجعات خلافاً للطبيعة في صوامع الحبوب. على اللاسلكي، مراقب الحركة الجوية في مينيابوليس يأمر الـ 737 بالصعود إلى مستوى التحليق ثلاثة-ستة-صفر وزيادة السرعة إلى

ماخ سبعة ثمانية.

"هل زرتَ غوام من قبل؟"، سأله مساعده الأول، بابتهاج هشّ خاطئ.

لم يحلِّق ووترز أبداً مع مساعِدة قبطان من قبل وبالكاد يستطيع تحمّل النظر إليها، فهي فائقة الجمال. بوجه كهذا، تستحق أن تكون على أغلفة المجلات. قبل هذه اللحظة، كان قد التقاها في قاعة المؤتمرات في مطار لوس أنجلوس، قبل أن يحلِّقا بساعتين، ولم يكن يعرف أي شيء عنها سوى أن إسمها برونسون. كان يتخيَّل شخصا مثل ذلك الشاب في *أمنية الموت* الأصلية.

"زرتُ هونغ كونغ"، قال ووترز، وهو يتمنى لو لم تكن جميلة إلى هذا الحدّ الرهيب.

ووترز في منتصف أربعيناته ويبدو في حوالي التاسعة عشرة من عمره، رجل نحيل ذو شعر أحمر قصير جداً وخريطة نَمَش على وجهه. عريس جديد وسيصبح أباً عما قريب: وقد علَّق صورة فوتوغرافية لزوجته التي تشبه يقطينة ناضجة في فستان صيفي على لوحة القيادة. لا يريد أن يكون منجذِباً إلى أي شخص آخر. ويشعر بالخجل حتى من لمح امرأة جذّابة. في الوقت نفسه، لا يريد أن يكون بارداً، رسمياً، منعزلاً. إنه فخور بتوظيف شركة طيرانه لمزيد من الطيّارات، ويريد أن يؤيّد هذا القرار، أن يدعمه. كل النساء الفاتنات محنةٌ على روحه.

"سيدني. تايوان. لكن ليس غوام".

"كنتُ معتادةً مع صديقاتي على الغوص الحر عند شاطئ فاي فاي. واقتربتُ ذات مرة بما فيه الكفاية من قرش أسود الطرف لكي أربِّت عليه. الغوص الحر عاريةً هو الشيء الوحيد الأفضل من الطيران".

مرَّت فيه الكلمة *عارية* مثل صعقةٍ من أزّاز الفرح. هكذا كانت ردّة فعله الأولى. ردّة فعله الثانية هي أنها بالطبع تعرف غوام، فهي جندية سابقة في البحرية، وقد تعلَّمت الطيران هناك. عندما ألقى نظرة سريعة نحوها، صُدم من رؤية دموع على رموشها.

لاحظت كايت برونسون تحديقه فيها وابتسمت له ابتسامة مُحرَجة معقوفة أظهرت الفجوة البسيطة بين سنَّيها الأماميين. حاول أن يتخيَّلها برأس حليق ووسوم كلاب على عنقها. هذا ليس صعباً. فرغم شكلها الملائم للأغلفة، كان هناك شيء متوحش قليلاً فيها، شيء صلب ومستهتر.

"لا أعرف لماذا أبكي. لم أذهب إلى هناك منذ عشر سنوات. وليس لديَّ أي أصدقاء هناك".

راح ووترز يفكِّر في عدة جمل مطمئنة محتملة، ويرميها الواحدة تلو الأخرى. لا لطفٌ في إخبارها أن الوضع قد لا يكون سيئاً مثلما تعتقد، عندما يمكن أن يكون أسوأ بكثير في الواقع.

سُمع طرقٌ على الباب. قفزت برونسون عن مقعدها، ومسحت خدّيها بالجهة الخلفية ليدها، ونظرت عبر ثقب الباب، وفتحت المزاليج.

إنه ڤورستنبوش، كبير المضيفين، رجل بدين واهن ذو شعر أشقر متعرّج، طبع نيّق، وعينين صغيرتين خلف نظّاراته السميكة ذات الإطار الذهبي. يكون هادئاً، محترفاً، ومتحذلِقاً عندما يكون واعياً، ومتأنثاً بذيء الكلام عندما يكون ثملاً.

"هل رمى أحدهم قنبلة نووية على غوام؟"، سأل دون مقدمات.

"لم أتلقَّ أي شيء من الأرض سوى أننا فقدنا الاتصال"، قال ووترز.

"ماذا يعني هذا، بالتحديد؟"، سأل ڤورستنبوش. "لديَّ طائرة مليئة بأشخاص خائفين جداً وليس لديَّ شيء لأخبرهم إياه".

طرقت برونسون رأسها وهي تعاود الجلوس خلف أدواتها. تظاهَر ووترز أنه لم يلاحظ ذلك. وتظاهَر أنه لم يلاحظ أن يديها ترتعشان.

"يعني -"، بدأ ووترز يقول، لكن صدرت نغمة تنبيه، ثم سُمع صوت مراقب الحركة الجوية يوجّه رسالة إلى الجميع في المجال الجوي لمينيابوليس. الصوت من مينيسوتا رملي، ناعم، غير منزعج. ربما لا يتكلم عن شيء أهم من منطقة ضغط مرتفع. فقد تم تدريبهم على أن تبدو أصواتهم بهذه الطريقة.

"هذا مركز مينيابوليس مع تعليمات ذات أولوية عالية لكل الطائرات العاملة على هذا التردّد، نُبلغكم أننا تلقينا تعليمات من مركز القيادة الاستراتيجية الأميركية بضرورة إخلاء هذا المجال الجوي للعمليات من إلزْورث. سنبدأ بتوجيه كل الرحلات إلى أقرب مطار ملائم. أكرّر، نحن نجعل كل الطائرات التجارية والسياحية في مجال مينيابوليس تهبط. الرجاء البقاء في حالة تأهّب وجهوزية للتجاوب فوراً مع تعليماتنا". سُمع صوت هسهسة وجيز ثم، بنبرة بدت كأنها ندم حقيقي، أضاف مراقب مينيابوليس، "نأسف لهذا، سيداتي سادتي. يحتاج العمّ سام إلى السماء بعد ظهر هذا اليوم لحرب عالمية غير مقرَّرة سلفاً".

"مطار إلزْورث؟"، قال ڤورستنبوش. "ماذا لديهم هناك؟".

"جناح القنابل الثامن والعشرين"، قالت برونسون، وفركت رأسها.

فيرونيكا دارسي في درجة رجال الأعمال

مالت الطائرة بشكل حادّ ونظرت فيرونيكا دارسي إلى أسفل نحو

البساط المُجعَّد للسحب تحتها. راحت سهام من أشعة الشمس المسبِّبة للعمى تطعن عبر النوافذ على الجهة الأخرى للمقصورة. الثمل الوسيم الذي بجانبها - لديه خصلة شعر داكن متهدّلة على حاجبه تذكِّرها بـ كاري غرانت، بـ كلارك كنتْ - يضغط على مسندَي ذراعيه عن غير إدراك. تساءلت إن كان مسافراً جوياً متوتراً، أو مجرد ثملٍ. فقد تناول كوب شرابه الاسكتلندي الأول حالما وَصَلوا إلى ارتفاع التحليق المخصَّص لهم، منذ ثلاث ساعات، بعد العاشرة صباحاً بالضبط.

اسودَّت الشاشات وظهرت جملة هناك إعلان قادم أخرى. أغمضت فيرونيكا عينيها لتستمع، وركَّزت مثلما قد تركِّز في قراءة تدريبية بينما يقرأ ممثل آخر أسطره للمرة الأولى.

القبطان ووترز

مرحباً، معكم القبطان ووترز من جديد. أخشى أننا تلقينا طلباً غير متوقع من برج المراقبة بأن نغيِّر وجهتنا إلى فارغو ونحطّ في مطار هيكتور الدولي. لقد طُلب منا إخلاء هذا المجال الجوي، فوراً -

(طرقة مضطربة)

- لمناورات عسكرية. من الواضح أن الحالة في غوام سبَّبت، ممم، تعقيدات لجميع الطائرات في السماء اليوم. لا داعي للقلق، لكننا سنضطر إلى الهبوط. نتوقع أن نكون على الأرض في فارغو بعد أربعين دقيقة. سيكون لديَّ مزيد من المعلومات فور ورودها.

(طرقة)

آسف أعزائي. هذا ليس بعد الظهر الذي كان أي واحد
منا يأمله.

لو كان هذا فيلماً، لما بدا صوت القبطان مثل فتى مراهق يمرّ في أسوأ مراحل مراهقته. لكانوا استعانوا بممثل ذي صوت فظّ وسلطوي. هْيُو جاكمان ربما. أو ممثل بريطاني، إذا أرادوا الإيحاء بسعة المعرفة، ببعض الحكمة المكتسبة من أوكسفورد. ديريك جاكوبي ربما.

مثَّلت فيرونيكا إلى جانب ديريك بشكل متقطّع لحوالي ثلاثين سنة. وقد احتضنها في الكواليس ليلة وفاة أمها وهدَّأ لها روعها بهمس لطيف مطمئن. وكانا بعد ساعة يرتديان مثل الرومان أمام أربعمئة وثمانين شخصاً وآه كم كان بارعاً تلك الليلة، وكانت بارعة أيضاً، وقد اكتشفت في تلك الليلة أنه يمكنها تجاوز أي شيء عبر التمثيل، ويمكنها تجاوز هذا عبر التمثيل أيضاً. لقد أصبحت أكثر هدوءاً في الداخل من قبل، حيث بدأت تتخلّى عن كل قلقها، كل همومها. لقد مرَّت سنوات عديدة منذ أن شَعَرت بشيء لم تقرِّر أن تشعر به أولاً.

"اعتقَدتُ أنك تشرب باكراً جداً"، قالت للرجل الذي بجانبها. "تبيَّن لي أنني بدأتُ أشرب متأخراً جداً". رفعت كوب شراب العنب البلاستيكي الصغير الذي قُدِّم لها مع غداءها، وقالت "بالكامل-بالكامل" قبل أن تُفرغه كله.

ابتسم لها ابتسامة جميلة هادئة. "لم أزر فارغو أبداً رغم أنني شاهدتُ البرنامج التلفزيوني". ضيَّق عينيه. "هل مثَّلتِ في *فارغو*؟ أشعر أنك مثّلتِ فيه. لقد مثِّلتِ شيئاً عن الجنائيات ثم إيوان ماكغريغور يخنقك حتى الموت".

"لا يا عزيزي. أنت تتكلَّم عن *عقد: قتل* وكان جايمس ماكافوي الذي خنقني بسلكٍ".

"حسناً. عرَفتُ أنني رأيتُك تموتين مرةً. هل تموتين كثيراً؟".

"آه، طوال الوقت. مثَّلتُ فيلماً مع ريتشارد هاريس، احتاج إلى اليوم بأكمله لكي يقتلني بشمعدانٍ. أعدنا تصوير المشهد أربعين مرة. أصبح المسكين منهكاً في النهاية".

نتأت عينا الشخص الجالس على المقعد بجانبها وعرفت أنه شاهد الفيلم ويتذكَّر دورها. كانت في الثانية والعشرين في ذلك الوقت وعارية في كل مشهد، بلا مبالغة. وقد سألتها إبنتها ذات مرة، "ماما، متى اكتشفت الثياب بالضبط؟". وقد رَدَّت عليها فيرونيكا، "فور ولادتك يا حبيبتي".

إبنة فيرونيكا جميلة كفاية لكي تمثّل في الأفلام لكنها تصنع قبعات بدلاً من ذلك. عندما تفكِّر فيها فيرونيكا، يؤلمها صدرها من السرور. فهي لم تستحق أبداً أن تكون لديها هكذا إبنة عاقلة، سعيدة، متوازنة. وعندما تفكِّر فيرونيكا في نفسها - عندما تتذكَّر أنانيتها ونرجسيتها، لا مبالاتها لأن تكون أماً، انهماكها بمهنتها - يبدو مستحيلاً أن يكون لديها هكذا شخص طيب في حياتها.

"أنا غريغ"، قال جارها. "غريغ هولدر".

"فيرونيكا دارسي".

"ماذا يأخذك إلى لوس أنجلوس؟ فيلم؟ أم أنك تعيشين هناك؟".

"عليَّ أن أكون هناك لنهاية العالم. ألعب دور عجوز حكيمة في الأرض القاحلة. أظن أنها ستكون أرضاً قاحلةً. كل ما رأيتُه كان شاشة خضراء. آمل أن تنتظر نهاية العالم الحقيقية مدةً كافيةً لكي يخرج

الفيلم إلى العلن. هل تعتقد ذلك؟".

نظرَ غريغ إلى السُحُب. "بالتأكيد. إنها كوريا الشمالية وليست الصين. بماذا يمكنهم إصابتنا؟ لا نهاية عالم لنا. لهم ربما".

"كم شخص يعيش في كوريا الشمالية؟"، جاء هذا من الفتاة الجالسة على الجهة الأخرى للرِواق، الفتاة ذات النظّارات الضخمة إلى حدّ هزلي. كانت تستمع إليهما باهتمام ومالت نحوهما الآن بطريقة راشدة جداً.

ابتسمت أمها ابتسامة متوترة لغريغ وفيرونيكا، وربَّتَت على ذراع إبنتها. "لا تزعجي الركاب الآخرين يا عزيزتي".

"هي لا تزعجنا"، قال غريغ. "لا أعرف أيتها الطفلة. لكن الكثير منهم يعيشون في مزارع منتشرة في كل أرجاء الريف. أظن أن هناك المدينة الكبيرة الوحيدة فقط. مهما يحصل، أنا متأكد أن معظمهم سيكون بخير".

استراحت الفتاة وراحت تفكِّر في ذلك، ثم استدارت على مقعدها لتهمس لأمها. أغمضت أمها عينيها بقوة وهزّت رأسها. تساءلت فيرونيكا إن كانت تدرك حتى أنها لا تزال تربِّت على ذراع إبنتها.

"لديَّ فتاة بعمرها تقريباً"، قال غريغ.

"لديَّ فتاة *بعمرك* تقريباً"، أخبرته فيرونيكا. "إنها أكثر شيء مفضَّل عندي في العالم".

"أجل. أنا أيضاً. إبنتي، أعني، وليس إبنتك. أنا متأكد أن إبنتك رائعة أيضاً".

"هل أنت عائد إلى المنزل؟".

"نعم. زوجتي اتصلت لتسأل إن كان يمكنني اختصار رحلة عمل.

زوجتي مغرمة برجل تعرَّفت عليه على فايسبوك وتريدني أن أعود لأهتم بالبنت لكي تتمكن من القيادة إلى تورونتو لكي تلتقيه".

"يا إلهي. أنتَ لستَ جدّياً. هل كان لديك أي تحذير؟".

"شعرتُ أنها تمضي الكثير من الوقت على الانترنت، لكن الحق يُقال، شعرَت أنني أمضي الكثير من الوقت ثملاً. أظن أنني مدمن شراب. ربما عليَّ أن أفعل شيئاً بشأن هذا الآن. أعتقد أنني سأبدأ بإنهاء هذا الكوب". وابتلع آخر ما بقي من شرابه الاسكتلندي.

فيرونيكا مطلَّقة - مرتين - ولطالما أدركت أنها هي نفسها السبب الرئيسي للفساد المنزلي. عندما تتذكَّر كم تصرَّفت بشكل سيئ، كم استخدَمت روبرت وفرانسوا بشكل سيئ، تشعر بالخجل والغضب من نفسها، لذا فهي مسرورة بالطبع من إبداء تعاطفها وتضامنها مع الرجل المظلوم الذي بجانبها. أي فرصة للتكفير، مهما تكن صغيرة.

"هذا مؤسف جداً. يا لها من قنبلة فظيعة رموها عليك".

"ماذا قلتِ؟"، سألت الفتاة عبر الرِواق، وقد مالت نحوها مرة أخرى. لا يبدو أن العينين البنيتين الداكنتين خلف تلك النظّارات تطرفان أبداً. "هل سنرمي قنبلة نووية عليهم؟".

بدت فضولية أكثر من خائفة، لكن أمها زفرت نَفَساً مذعوراً حادّاً بسبب سؤالها.

مال غريغ نحو الطفلة مرة أخرى، مبتسماً بطريقة لطيفة وساحرة في آن، وتمنّت فيرونيكا فجأة لو أنها أصغر بعشرين سنة. لربما كانت جيدة لرجل مثله. "لا أعرف ما هي الخيارات العسكرية، لذا لا يمكنني الجزم بذلك. لكن -"

قبل أن يمكنه إنهاء جملته، امتلأت المقصورة بصوت عواء مُتلِف

للأعصاب.

مرَّت طائرة بجانبهم مسرعةً، ثم مرَّت طائرتان أخريان تطيران الواحدة خلف الأخرى. كانت إحداهما قريبة جداً من الجناح لدرجة أن فيرونيكا لمحت الرجل الجالس في قُمرة القيادة، المرتدي خوذة، ووجهه مكوَّراً داخل جهاز تنفّس من نوع ما. كانت تلك الطائرات تحمل شبهاً طفيفاً بال 777 التي تنقلهم شرقاً... كانت صقوراً حديدية هائلةً، التدرّج الرمادي لرؤوس رصاصات. قوة مرورها جعل طائرتهم تهتزّ بأكملها. صرخ الركاب، وأمسَك بعضهم البعض. كان يمكنهم الشعور داخل أحشائهم بالصوت المعاقِب للقاذفات وهي تقطع مسارهم. ثم اختفت، بعد أن خلَّفت وراءها ذيولاً طويلة من التكثّف في السماء الزرقاء الساطعة.

ساد صمت مصدوم، متزعزع.

نظرت فيرونيكا دارسي إلى غريغ هولدر ورأت أنه سحق كوبه البلاستيكي بقبضته. لاحَظ ما الذي فعله في الوقت نفسه، فضحك ووضع الحُطام على مسند الذراع.

ثم استدار إلى الفتاة الصغيرة وأنهى جملته كما لو أن شيئاً لم يقاطعه. "لكنني سأقول إن كل الدلالات تشير إلى 'نعم'".

جيني سلايت في الدرجة السياحية

"قاذفات B-1"، قال لها حبيبها، بنبرة مسترخية، مسرورة تقريباً. "لانسر. كانت تحمل قنابل نووية فيما مضى، لكنها لا تزال تحمل ما يكفي من قوة نار لتطبخ كل كلب في بيونغيانغ. هذا مضحك، لأنك إذا أردتِ عادة كلباً مطبوخاً في كوريا الشمالية، عليك الحجز مسبقاً".

سفر أم خطر

"كان عليهم أن يثوروا"، قالت جيني. "لماذا لم يثوروا عندما سنحت لهم الفرصة؟ هل *أرادوا* معتقلات الأشغال الشاقة؟ هل أرادوا أن يتضوّروا جوعاً؟".

"هذا هو الفرق بين العقلية الغربية والشرقية"، قال بوبي. "الفردية هناك تُعتبر حالةً شاذةً". ثم أضاف همساً، "هناك مستعمرة نمل في نوعية تفكيرهم".

"عفواً"، قال اليهودي في الرِواق الوسطي، الجالس بجانب الفتاة الشرقية. "هلاّ أخفضتَ صوتك، رجاءً؟ جارتي على المقعد الذي بجانبي منزعجة".

أخفضَ بوبي صوته، لكن حتى عندما يحاول أن يكون هادئاً، يميل صوته إلى الهدير. هذه لن تكون أول مرة يوقِعه ذلك في ورطة.

قال بوبي، "لا يجب أن تكون منزعجة. غداً صباحاً ستصبح كوريا الجنوبية قادرة أخيراً على عدم القلق من المضطربين عقلياً على الجهة الأخرى للمنطقة المنزوعة السلاح. ستتّحد العائلات ثانيةً. حسناً. بعض العائلات. لا تميِّز القنابل بين المجموعات السكانية العسكرية والمدنية".

تكلَّم بوبي باليقين الاعتيادي لرجلٍ أمضى عشرين سنة في إنتاج مقاطع أخبار لشركة بث تملك حوالي سبعين محطة تلفزيونية محلية وتتخصَّص في توزيع محتوى يخلو من انحياز وسائل الإعلام السائدة. لقد سافر إلى العراق، إلى أفغانستان. وذهَب إلى ليبيريا خلال تفشّي الإيبولا ليُعدّ تحقيقاً عن خطة لدى منظّمة إرهابية عالمية لتحويل الفيروس إلى سلاح. لا شيء يخيف بوبي. لا شيء يزعزعه.

كانت جيني أماً حاملاً غير متزوجة نبذَها أهلها، وتنام في غرفة المؤن لمحطة وقود بين نوبات عملها، في اليوم الذي اشترى لها بوبي وجبة

طعام وأخبَرها أنه لا يكترث مَن هو الأب. قال إنه سيحبّ الطفل كما لو أنه إبنه. كانت جيني قد حجزت موعداً لعملية الإجهاض من قبل. أخبَرها بوبي بهدوء أنها إذا أتت معه، فسيؤمّن لها ولولدها حياةً سعيدة، لكن إذا ذهبت إلى العيادة، ستقتل طفلاً، وتخسر روحها. ذهبت معه وكان الوضع مثلما قال لها تماماً، كله. لقد أحبَّها جيداً، عشقها منذ اللحظة الأولى؛ كان أعجوبتها. لم تحتج إلى الأرغفة والأسماك لكي تصدِّق. كان بوبي كافياً. كانت جيني تتخيَّل أحياناً أن متحرِّراً – عضوا في جمعية سلام، ربما، أو شخصاً يدعى بيرني – سيحاول اغتياله، وستتمكن من الوقوف بين بوبي والمسدس لتتلقى الرصاصة عنه. أرادت دائماً أن تموت من أجله. أن تقبِّله ومذاق دمها في فمها.

"أتمنى لو لدينا هواتف"، قالت الفتاة الشرقية فجأة. "بعض هذه الطائرات تحتوي على هواتف. أتمنى لو هناك طريقة للاتصال – بأحدهم. كم من الوقت قبل أن تصل القاذفات إلى هناك؟".

"حتى ولو يمكننا إجراء اتصال من هذه الطائرة"، قال بوبي، "سيكون صعباً إتمام المكالمة. فأحد الأشياء الأولى التي يفعلها الأميركيون هو إيقاف كل الاتصالات في المنطقة، وقد لا يحدّون أنفسهم عند كوريا الشمالية فقط. لن يريدوا أن يخاطروا بوجود عملاء في كوريا الجنوبية – حكومة نائمة – ينسِّقون إجراء ضربة مضادة. كما أن كل شخص لديه عائلة في شبه الجزيرة الكورية سيتصل بها الآن. وسيكون الأمر مثل محاولة الاتصال بمانهاتن يوم هجمات 11 سبتمبر، إلا أنه دورهم هذه المرة".

"دورهم؟"، قال اليهودي. "دورهم؟ لا شك أنه فاتني التقرير الذي قال إن كوريا الشمالية مسؤولة عن إسقاط برجَي التجارة العالمية.

اعتقَدتُ أنه كان تنظيم القاعدة".

"كوريا الشمالية باعت التنظيم أسلحة ومعلومات استخبارية لسنوات"، أخبره بوبي. "كل شيء متصل ببعضه. كوريا الشمالية هي المصدِّر الأول عالمياً لحمى تدمير أميركا منذ عقود".

نكزت جيني كتفها ببوبي وقالت، "أو هكذا كانت. أعتقد أن حركة 'حياة السود مهمة' حلّت محلها". كانت تكرّر في الواقع ما قاله بوبي لأصدقاء له منذ بضع ليالٍ. اعتقَدت أنها جملة ظريفة وتعرف أنه يحبّ سماع أفضل كلامه يُكرَّر على مسمعه.

"رائع. رائع!"، قال اليهودي. "هذا أكثر شيء عنصريّ سمِعته في حياتي. إذا كان ملايين الأشخاص على وشك أن يموتوا، فذلك لأن ملايين الأشخاص *مثلك* جعلوا أغبياء غير مؤهَّلين مملوئين بالكره مسؤولين عن حكومتنا".

أغمضت الفتاة عينيها واسترخت على كرسيها.

"زوجتي من أي *صنف* من الأشخاص؟"، سأل بوبي وهو يرفع حاجب إحدى عينيه.

"بوبي"، حذَّرته جيني. "أنا بخير. لم يزعجني هذا".

"لم أسأل إن أزعجك ذلك. سألتُ هذا السيد مع أي صنف من الأشخاص يعتقد أنه يتكلَّم".

احمرّ وجه اليهودي. "أشخاص وحشيون، معتدّون بأنفسهم – وجهلة".

ثم استدار، وهو يرتعش.

قبَّل بوبي صدغ زوجته ثم فك حزام أمانه.

مارك ڤورستنبوش في قُمرة القيادة

بقي ڤورستنبوش لعشر دقائق يهدئ أعصاب ركاب الدرجة السياحية وخمس دقائق أخرى يمسح شراب الشعير عن رأس أرنولد فايدلمان ويساعده على تغيير كنزته. أخبَر فايدلمان وروبرت سلايت أنه إذا رأى أحدهما ناهضاً عن مقعده مرة أخرى قبل أن يهبطوا، سيُعتقلان في المطار. قبِل سلايت هذا على مضض، وشدّ حزام أمانه ووضع يديه على حُضنه، وراح يحدِّق إلى الأمام بهدوء. وبدا فايدلمان أنه يريد أن يحتجّ. كان فايدلمان يرتعش لاإرادياً ولونه سيئ ولم تهدأ أعصابه إلا عندما لفَّ ڤورستنبوش بطانية حول رِجليه. مالَ ڤورستنبوش نحو مقعد فايدلمان وهمس له أنه عندما تهبط الطائرة، سيقدِّمان شكوى معاً يتّهمان فيه سلايت بهجوم لفظي وجسدي. رمقه فايدلمان بنظرة تفاجؤ وتقدير، من مثلي جنس إلى مثلي جنس آخر، يعتنيان ببعضهما في عالم مليء بأمثال روبرت سلايت.

كبير المضيفين نفسه شعر بالقرف ودخلَ مقدمة الطائرة لمدة تكفي لتهدأ أعصابه. كانت المقصورة تعبق برائحة القيء والخوف، في كل أرجائها. الأولاد يبكون بلا عزاء. ورأى ڤورستنبوش امرأتين تصلّيان.

لمس شعره، وغسل يديه، وراح يأخذ نَفَساً عميقاً تلو الآخر. لطالما كان دور ڤورستنبوش كقُدوة مماثلاً لشخصية أنطوني هوبكنز في فيلم *بقايا النهار*، وهو فيلم لم يعتبره مأساة أبداً، بل مديحاً لحياة الخدمة المنضبطة. كان ڤورستنبوش يتمنّى أحياناً لو أنه بريطاني. تعرَّف على فيرونيكا دارسي في درجة رجال الأعمال فوراً، لكن احترافيته تُلزمه أن يقاوم الإقرار بشهرتها بأي طريقة علنية.

سفر أم خطر

عندما تمالك نفسه، خرج من مقدمة الطائرة، وبدأ يشق طريقه إلى قُمرة القيادة ليُخبر القبطان ووترز أنهم سيحتاجون إلى أمن المطار عند الهبوط. وقف قليلاً في درجة رجال الأعمال ليعتني بامرأة تعاني من فرط التنفّس. عندما أخذ ڤورستنبوش يدها، تذكّر آخر مرة أمسك فيها يد جَدّته؛ كانت وقتها في تابوتها، وكانت أصابعها باردة وبلا حياة مثلها. شَعَر ڤورستنبوش بسخط متهدِّج عندما تذكَّر القاذفات – تلك النقانق البلهاء – وهي تمرّ على مسافة قريبة جداً من الطائرة. أسقمه انعدام الاعتبار البشري البسيط. راح يتمرَّن على التنفّس العميق مع المرأة، وطمأنها أنهم سيصبحون على الأرض قريباً.

قُمرة القيادة مليئة بأشعة الشمس والهدوء. لم يتفاجأ. كل شيء في العمل مصمَّم لجعل حتى الأزمة – وهذه أزمة *فعلاً*، حتى لو أنها واحدةٌ لم يتمرَّنوا عليها أبداً في مُحاكيات الطيران – أمراً روتينياً، أمراً لا يتطلّب سوى اللجوء إلى لوائح التدقيق وتنفيذ الإجراءات الملائمة.

مساعِدة القبطان فتاة لعوب أحضَرت معها غداءها إلى الطائرة في كيس بنيّ. عندما ارتفع كُمّها الأيسر، لمحَ ڤورستنبوش جزءاً من وشم، أسد أبيض، فوق المعصم مباشرة. نظَرَ إليها ورأى في ماضيها مرأب مقطورات، أخ مدمن على الأفيون، والدَين مطلَّقين، وظيفة أولى في وولمارت، هروب يائس إلى الجيش. أحبّها للغاية – كيف لا يمكنه أن يحبّها؟ فقد كانت طفولته مشابهة لطفولتها كثيراً، ما عدا أنه عوضاً عن الهرب إلى الجيش، ذهَب إلى نيويورك ليكون مثلي الجنس. عندما أدخلته إلى قُمرة القيادة في المرة الأخيرة كانت تحاول إخفاء دموعها، وهذه حقيقة أحزنت ڤورستنبوش. لا شيء يُحزنه مثل كرب الآخرين.

"ما الأمر؟"، سأل ڤورستنبوش.

"سنهبط بعد عشر دقائق"، قالت برونسون.

"ربما"، قال ووترز. "لديهم ست طائرات تنتظر قبلنا".

"أي خبر من الجهة الأخرى للعالم؟"، أراد ڤورستنبوش أن يعرف.

للحظة لم يرد عليه أحدهما. ثم بصوت متكلّف ومشتت الذهن، قال ووترز، "يشير الاستطلاع الجيولوجي الأميركي إلى حدوث زلزال في غوام قوّته 6.3 على مقياس ريختر".

"هذا يوازي مئتَي وخمسين كيلوطن"، قالت برونسون.

"كان رأساً حربياً"، قال ڤورستنبوش. لم يكن سؤالاً بالضبط.

"شيءٌ ما حصل في بيونغيانغ أيضاً"، قالت برونسون. "ساعة قبل غوام، انتقل بثّ تلفزيون الدولة إلى أشرطة الألوان. تقول معلومات استخبارية إن مجموعة كاملة من المسؤولين ذوي الرتب العالية قُتلوا في غضون دقائق من بعضهم البعض. لذا فنحن إما نتكلم عن انقلاب في القصر أو أننا حاوَلنا إسقاط القيادة ببعض الاغتيالات الجراحية ولم يتقبّلوا الأمر جيداً".

"كيف يمكننا أن نخدمك يا ڤورستنبوش؟"، قال ووترز.

"حصل عراك في الدرجة السياحية. سكبَ أحدهم شراب شعير على شخص آخر -"

"آه تباً"، قال ووترز.

"- حذَّرناهما، لكننا قد نريد شرطة فارغو عندما نهبط. أظن أن الضحية يريد تقديم شكوى".

"سأتصل بفارغو، لكنني لا أعدك بشيء. أظن أن المطار سيكون أشبه بمستشفى للمجانين. وقد يكون رجال الأمن مشغولين بالكامل".

"هناك أيضاً امرأة في درجة رجال الأعمال تعاني من نوبة هلع.

تحاول عدم إخافة إبنتها، لكنها تعاني من مشكلة في التنفّس. جعلتُها تنفخ في كيس دُوار الجو. لكنني أريد الإسعاف أن تلاقينا مع خزّان أكسجين عندما نهبط".

"حسناً. أي شيء آخر؟".

"هناك عشر أزمات صغيرة أخرى تتفتّح، لكن الفريق يسيطر على الأمور. هناك شيء آخر، أظن. هل يريد أحدكما كوب شراب شعير أو شراب عنب في مخالفة صريحة لكل القوانين؟".

استدارا لينظرا إليه. ابتسمت برونسون.

"أريد أن أُنجب لك طفلاً يا ڤورستنبوش"، قالت. "سنُنجب ولداً جميلاً".

"كما سبق"، قال ووترز.

"هل هذه نعم؟".

نظر ووترز وبرونسون إلى بعضهما البعض.

"من الأفضل أن تكون لا"، قرّرت برونسون وأومأ ووترز برأسه.

ثم أضاف القبطان، "لكنني سأتناول أبرد شراب شعير يمكنك إيجاده حالما نركن".

"هل تعرف أكثر شيء مفضَّل لديَّ في الطيران؟"، سألت برونسون. "أن الجو مشمس دائماً عند هذا العلو. يبدو مستحيلاً أن أي شيء مريع إلى ذلك الحدّ يمكن أن يحصل في يوم مشمس".

راحوا كلهم يتأملون تشكيلة السُحُب عندما طُعِنَت الأرضية البيضاء والزغِبة التي تحتهم مئة مرة. مئة دعامة من الدخان الأبيض دفعت نفسها في السماء، صاعدةً من كل حدب وصوب حولهم. بدا الأمر كلعبة من ألعاب الخفّة، كما لو أن السُحُب كانت تُخفي سهاماً

انبثقت فجأة. بعد لحظة أصابهم قصف الرعد ومعه اضطراب، وُركلت الطائرة إلى أعلى وجانبياً. راحت عشرة أضواء حمراء تتلعثم على لوحة القيادة، وإنذارات تزعق. رأى ڤورستنبوش كل شيء فوراً كما لو أنه رفع قدمَيه. عامَ ڤورستنبوش في الهواء للحظة كأنه مظلّة، كأنه رجلٌ مصنوع من حرير ومعبأ بالهواء. ارتطم رأسه بالجدار. وسقط بقوة وسرعة كما لو أن باباً أفقياً فُتح في أرضية قُمرة القيادة وأسقطه إلى الغور الساطع للسماء التي تحته.

جانيس مَمفورد في درجة رجال الأعمال

"ماما!"، صرخت جانيس. "انظري يا ماما! ما هذا؟".

ما يجري في السماء مخيفٌ أقل مما يجري في المقصورة. هناك شخص يصرخ: خيط صوت فضيّ ساطع غرَز نفسه في رأس جانيس. يتأوه الراشدون بطريقة تجعل جانيس تفكِّر بالأشباح.

مالت الـ 777 إلى اليسار، ثم اهتزّت فجأة إلى اليمين. أبحرت الطائرة عبر متاهة دعائم عملاقة، أعمدة قلعة تاريخية ضخمة إلى حد لا يُصدَّق. اضطرت جانيس إلى تهجئة كلمة قلعة (كلمة سهلة) في مسابقة أنغلوود الإقليمية.

لم تردّ أمها، مِيلي، عليها. كانت تتنفّس بانتظام في كيس ورقي أبيض. لم تسافر مِيلي في طائرة أبداً من قبل، ولم تغادر كاليفورنيا أبداً. كذلك جانيس، لكنها خلافاً لأمها، كانت تتطلّع إلى كِلا الأمرين. لطالما أرادت جانيس أن تحلِّق في طائرة كبيرة؛ كما تتمنّى لو تغطس في غواصة يوماً ما، رغم أنها ستقبل بنزهة في كاياك زجاجي القاع.

انحسرت أوركسترا اليأس والرعب إلى جهارة متضائلة ناعمة

(هجّأت جانيس كلمة متضائل في الجولة الأولى من نهائيات الولاية وكانت قاب قوسين من الإخفاق وتلقّي هزيمة مذلّة مُبكرة). مالت جانيس نحو الرجل الوسيم الذي بقي يشرب الشاي المثلَّج طوال الرحلة.

"هل كانت هذه صواريخ؟"، سألت جانيس.

ردَّت الممثلة بلكنتها البريطانية الفاتنة. لا تسمع جانيس اللكنات البريطانية إلا في الأفلام وتحبّها.

"صواريخ بالستية عابرة للقارات"، قالت النجمة السينمائية. "إنها في طريقها إلى الطرف الآخر من العالم".

لاحظت جانيس أن النجمة السينمائية تُمسك يد الرجل الأصغر سناً بكثير الذي شرِب كل شايه المثلَّج، وقد ارتسم على وجهها هدوء جليدي تقريباً. من جهة أخرى، كان يبدو على الرجل الذي بجانبها أنه يريد أن يتقيأ. كان يضغط يد المرأة الأكبر سناً منه بقوة لدرجة أن مفاصل أصابعه ابيضَّت.

"هل أنتما مرتبطان؟"، سألت جانيس. لا يمكنها التفكير بسبب آخر يجعلهما يُمسكان يد بعضهما.

"لا"، قال الرجل الوسيم.

"لماذا إذاً تُمسكان يد بعضكما؟".

"لأننا خائفان"، قالت النجمة السينمائية، رغم أنها لا تبدو خائفة. "وهذا يريحنا".

"آه"، قالت جانيس، ثم أمسكت يد أمها الحرة بسرعة. نظرت إليها أمها بامتنان فوق الكيس الذي بقي ينتفخ ويفرغ منه الهواء مثل رئة ورقية. عادت جانيس ونظرت إلى الرجل الوسيم. "هل تريد أن تمسك يدي؟".

"نعم رجاءً"، قال الرجل، وأمسكا يد بعضهما البعض عبر الرِواق.

"هل تعلم أن صاروخ بالستي عابر للقارات كان إحدى كلماتي! لقد اضطررتُ إلى تهجئة 'عابر للقارات' في المسابقة الإقليمية".

"حقاً؟ لا أعتقد أنني قادر على تهجئتها دون ورقة وقلم".

"آه الأمر سهل"، قالت جانيس، وبرهنته له بتهجئتها.

"سأصدِّقك. أنت الخبيرة".

"أنا ذاهبة إلى بوسطن لمسابقة تهجئة. إنها نصف النهائي الدولي، وإذا أحسنتُ *هناك*، سأذهب إلى واشنطن العاصمة، وأظهر على التلفزيون. لم أعتقد أنني سأذهب يوماً ما إلى أحد تلك الأماكن. لكنني لم أعتقد أيضاً أنني سأذهب يوماً ما إلى فارغو. هل لا زلنا سنهبط في فارغو؟".

"لا أعرف ماذا يمكننا أن نفعل غير ذلك"، قال الرجل الوسيم.

"كم عدد الصواريخ البالستية العابرة للقارات التي مرّت بنا؟"، سألت جانيس وهي تمدّ عنقها لتنظر إلى أبراج الدخان.

"كلها"، قالت النجمة السينمائية.

قالت جانيس، "أتساءل إن كانت مسابقة التهجئة ستفوتنا".

هذه المرة أمها هي التي أجابت. كان صوتها أجش، كما لو أن حنجرتها متقرّحة، أو أنها تبكي. "أخشى ذلك يا حبيبتي".

"آه"، قالت جانيس. "آه لا". شعرت قليلاً مثلما شعرت عندما لعبوا لعبة سانتا السري العام الماضي، وكانت الوحيدة التي لم تحصل على هدية، لأن سانتا السري الخاص بها كان مارتن كوهاسي، وقد انسحب مارتن من اللعبة بسبب إصابته بكثرة الوحيدات.

"كنتِ ستفوزين"، قالت أمها وأغمضت عينيها. "وليس فقط

نصف النهائي".

"لن تُقام قبل ليلة غد"، قالت جانيس. "ربما يمكننا أن نستقلّ طائرة أخرى في الصباح".

"لستُ متأكداً أن أي شخص سيسافر غداً"، قال الرجل الوسيم، بنبرة اعتذارية.

"بسبب شيء يحصل في كوريا الشمالية؟".

"لا"، قال صديقها عبر الرِواق. "ليس بسبب شيء سيحصل هناك".

فتحت مِيلي عينيها وقالت، "*صه*. ستخيفها".

لكن جانيس ليست خائفة، هي فقط لا تفهم. راح الرجل عبر الرِواق يؤرجح لها يدها ذهاباً وإياباً، ذهاباً وإياباً.

"ما هي أصعب كلمة اضطررتِ إلى تهجئتها يوماً؟"، سأل.

"الأنثروبوسين"، قالت جانيس بحزم. "إنها الكلمة التي خسِرتُ بسببها العام الماضي، في نصف النهائيات. اعتقَدتُه أنها تحتوي على حرف 'i'. إنها تعني 'في عصر البشر'. كما في جملة 'يبدو عصر الأنثروبوسين قصيراً جداً بالمقارنة مع العصور الجيولوجية الأخرى'".

راح الرجل يحدِّق فيها للحظة، ثم ضحك بصوتٍ عالٍ. "لقد قلتها يا طفلة".

أخذت النجمة السينمائية تحدِّق خارج نافذتها إلى الأعمدة البيضاء الهائلة. "لم ير أحدٌ سماءً كهذه. أبراج السُحُب تلك. اليوم الأخطبوطي الساطع محبوسٌ في قفصها الدخاني. إنها تبدو كما لو أنها ترفع السماوات. يا له من بعد ظهر جميل. قد تراني عما قريب أمثِّل موتاً آخر يا سيد هولدر. لستُ متأكدةً أنه يمكنني أن أعدك بتمثيل

الدور بموهبتي الاعتيادية". أغمضت عينيها. "أشتاق لإبنتي. لا أعتقد أنني سأتمكن من -". فتحت عينيها ونظرت إلى جانيس وصمتت.

"كنتُ أقول لنفسي الشيء نفسه عن إبنتي"، قال السيد هولدر ثم أدار رأسه ونظر إلى ما بعد جانيس نحو أمها. "هل تعرفين كم أنت محظوظة؟". نقَّل نظره من مِيلي إلى جانيس ثم إلى مِيلي مرة أخرى، وعندما نظرت جانيس، كانت أمها تومئ برأسها إيماءة إقرار صغيرة.

"لماذا أنت محظوظة يا ماما؟"، سألت جانيس.

ضغطت مِيلي على يدها وقبَّلت صدغها. "لأننا معاً اليوم، يا زهرتي الساذجة".

"آه"، قالت جانيس. من الصعب رؤية الحظ في ذلك. لأنهما معاً كل يوم.

أدركت جانيس في مرحلة ما أن الرجل الوسيم أفلت يدها وعندما نظرت، رأته يحتضن النجمة السينمائية بين ذراعيه، وهي تحتضنه، وكانا يقبِّلان بعضهما البعض، برفق كبير، وشعرت جانيس بصدمة، بصدمة فقط، لأن النجمة السينمائية أكبر منه في السنّ بكثير. كانا يقبِّلان بعضهما تماماً مثل حبيبين في نهاية الفيلم، مباشرة قبل ظهور أسماء الممثلين والعاملين في الفيلم وقبل نهوض الجميع ليعودوا إلى منازلهم. هذا شنيع جداً، وعلى جانيس أن تضحك.

آرا لي في الدرجة السياحية

للحظة في عرس أخيها في جيجو، اعتقَدت آرا أنها رأت أبيها، الذي تُوفِّيَ منذ سبع سنوات. أُقيمت المراسم وحفلة الاستقبال في حديقة خاصة كبيرة وجميلة، يشطرها نهر عميق جميل من صنع الإنسان. راح

سفر أم خطر

الأولاد يرمون حفنات من الحُبيبات في التيار ويراقبون الماء يغلي بأسماك شبّوط قوس القزح، مئة سمكة رائعة بكل ألوان الكنز: ذهبي وردي وبلاتين ونحاس. انجرف نظر آرا من الأولاد إلى الجسر الحجري الزيني الذي يعلو الغدير ورأت أبيها هناك في إحدى بذلاته الرخيصة، يتّكئ على الجدار، مبتسماً لها، وبدا وجهه الكبير العطوف متشقّقاً بخطوط عميقة. أجفلها منظره كثيراً لدرجة أنها اضطرت إلى إشاحة نظرها، فقد انحبست أنفاسها من الصدمة. عندما عادت والتفَتت صوبه، كان قد اختفى. حين عادت إلى مقعدها لحضور المراسم، استنتَجت أنها رأت فقط دجوم، الأخ الأصغر لأبيها، الذي يقصّ شعره بنفس الطريقة. سيكون سهلاً، في هكذا يوم عاطفي، أن تخلط للحظة الواحد بالآخر... خاصة عند تذكّر قرارها بعدم ارتداء نظّاراتها في العرس.

على الأرض، تضع طالبة اللغويات التطوُّرية في معهد ماساتشوستس للتكنولوجيا ثقتها في ما يمكن برهنته، تدوينه، معرفته، ودراسته. لكنها عالياً في الجو الآن وتشعر أنها منفتحة العقل أكثر. الـ 777 - بكل أطنانها الثلاثمئة - تندفع في السماء، مرفوعة بقوى هائلة غير منظورة. لا شيء يحمل كل شيء على ظهره. هكذا هو حال الموتى والأحياء، الماضي والحاضر. *الآن* هو جناحٌ والتاريخ تحته، يرفعه عالياً. كان والد آرا يحبّ المتعة - فقد أدار مَصنع حداثة لأربعين سنة، كانت المتعة مهنته الفعلية. هنا في السماء، هي مستعدة أن تصدِّق أنه لم يكن ليدع الموت يقف بينه وبين هكذا أمسية سعيدة.

"أنا خائف جداً الآن"، قال أرنولد فايدلمان.

أومأت برأسها. وهي خائفة أيضاً.

"وغاضب جداً. غاضب إلى حد كبير".

توقفت عن الإيماء. فهي ليست غاضبة واختارت ألا تكون غاضبة. في هذه اللحظة أكثر من أي وقت مضى اختارت ألا تغضب.

قال فايدلمان، "ذلك السافل، السيد سأجعل-أميركا-اللعينة عظيمة هناك. أتمنى لو يمكننا استعادة عمود التشهير، ليوم واحد فقط، لكي يتسنّى للناس قذفْ أتربة وملفوف عليه. هل تعتقدين أن هذا كان ليحصل لو أن أوباما الرئيس؟ أي شيء من هذا - *هذا* - الجنون؟ *اسمعي*. عندما نهبط - *إذا* هبطنا. هلاّ بقيتِ معي على الجسر المتنقّل للطائرة؟ لكي نبلّغ عما حصل؟ أنتِ صوت غير متحيِّز في كل هذا. ستستمع لكِ الشرطة. سيعتقلون ذلك البدين اللعين لصَبّه شراب شعيره عليَّ، ويمكنه الاستمتاع بنهاية العالم من خلية صغيرة رطبة، محشوراً مع ثملين مستهجَنين جامحين".

كانت قد أغمضت عينيها، محاولة إعادة نفسها إلى حديقة العرس. تريد أن تقف قرب النهر الذي من صنع الإنسان وتدير رأسها وترى أبيها على الجسر مرة أخرى. لا تريد أن تكون خائفة منه هذه المرة. تريد أن تنظر إلى عينيه وأن تبتسم له بدورها.

لكنها لن تتمكن من البقاء في حديقة عرس ذهنها. فقد كان صوت فايدلمان يرتفع إلى جانب الهستيريا التي بدأ يُصاب بها. الرجل الضخم عبر الرِواق، بوبي، سمِع آخر ما قاله.

"بينما تقدِّم إفادتك إلى الشرطة"، قال بوبي، "آمل ألا تنسى الجزء الذي نعتَّ فيه زوجتي بالمعتدّة بنفسها والجاهلة".

"بوبي"، قالت زوجة الرجل الضخم، المرأة الصغيرة ذات العينين الودودتين. "لا".

أطلقت آرا نَفَساً بطيئاً طويلاً وقالت، "لا أحد سيبلِّغ الشرطة

شيئاً في فارغو".

"أنت مخطئة في هذا"، قال فايدلمان بصوت مرتعش. كانت رجلاه ترتعشان أيضاً.

"لا"، قالت آرا، "لستُ مخطئة. أنا متأكدة من ذلك".

"لماذا أنت متأكدة إلى هذا الحدّ؟"، سألت زوجة بوبي. لديها عينان ساطعتان كالعصفور وإيماءات سريعة كالعصفور.

"لأننا لن نهبط في فارغو. توقفت الطائرة عن الدوران فوق المطار بعد بضع دقائق من إطلاق الصواريخ. ألم تلاحظوا؟ لقد خرجنا من طابور الانتظار منذ بعض الوقت. نحن نتوجَّه شمالاً الآن".

"كيف تعرفين ذلك؟"، سألت المرأة الصغيرة.

"الشمس على الجهة اليسرى للطائرة. وبالتالي نحن نتوجَّه شمالاً".

نظر بوبي وزوجته خارج النافذة. قامت الزوجة بهمهمة اهتمام وتقدير منخفضة.

"ماذا يوجد شمالي فارغو؟"، سألت الزوجة. "ولماذا سنذهب إلى هناك؟".

رفع بوبي يده إلى فمه ببطء، وهي إيماءة قد تشير إلى أنه يفكِّر بالمسألة، لكن آرا اعتبرتها إيماءة فرويدية. هو يعرف من قبل لماذا لن يهبطوا في فارغو وليست لديه أي نيّة ليقول.

تحتاج آرا فقط إلى إغماض عينيها لكي ترى في ذهنها أين هي الرؤوس الحربية الآن بالضبط، خارج الغلاف الجوي لكوكب الأرض، وقد تخطّت من قبل قمة مسارها المميت وتعاود النزول إلى بئر الجاذبية. هناك ربما أقل من عشر دقائق قبل أن تصيب الجهة الأخرى للكوكب. رأت آرا ثلاثين عملية إطلاق للصواريخ على الأقل، وهذا أكثر بعشرين

عملية إطلاق من المطلوب لتدمير دولة أصغر من نيو إنغلاند. وعملية الإطلاق الثلاثين التي شهِدوها كلهم ترتفع إلى السماء هي بالطبع مجرد جزء بسيط من الترسانة التي أُطلِق العنان لها. هكذا انقضاض لا يمكن إلا أن يلقى رداً يناسبه، ولا شكّ أن الصواريخ البالستية العابرة للقارات الأميركية قد تقاطعت في مسارها مع مئات الصواريخ التي تطير في الاتجاه الآخر. لقد حصل خطب ما رهيب جداً، وهو أمر محتوم عندما أُشعِل فتيل سلسلة المفرقعات النارية الجيوسياسية هذه.

لكن آرا لم تُغمض عينيها لتتخيَّل الضربة والضربة المضادة. بل تفضِّل العودة إلى ...جو بدلاً من ذلك. سمك الشبّوط يُحدث شغباً في النهر. المساء يعبق بعطر الأزهار المُفعَمة بالحيوية والعشب المجزوز حديثاً. يضع أبوها مرفقه على الجدار الحجري للجسر ويبتسم لها بخُبث.

"هذا الرجل -"، قال فايدلمان. "هذا الرجل وزوجته اللعينة. يسمّي الآسيويين 'شرقيين'. يتكلَّم عن كيف أن شعبك نملٌ. يتنمَّر على الآخرين بسكب شراب شعير عليهم. هذا الرجل وزوجته اللعينة ينصِّبان أشخاصاً أغبياء مستهترين مثلهما تماماً مسؤولين عن هذه الدولة وها قد وصلنا إلى ما وصلنا إليه الآن. الصواريخ تتطاير في كل مكان". كان صوته متوتراً وشعرت آرا كم أنه قريب من البكاء.

فتحت عينيها مرة أخرى. "هذا الرجل وزوجته اللعينة على متن الطائرة معنا. *كلنا* على متن هذه الطائرة". نظرت نحو بوبي وزوجته، اللذين كانا يسمعانها. "لكننا وصلنا إلى هنا، *كلنا* على متن هذه الطائرة الآن. في الجو. في الورطة معاً. نهرب بأقصى ما يمكننا عليه". ابتسمت. شعرت أنها مثل ابتسامة أبيها. "المرة التالية التي تشعر فيها برغبة في سكب شراب شعير، أعطني إياه بدلاً من ذلك. لا ضرر من

أن أشرب شيئاً".

راح بوبي يحدِّق فيها للحظة بعينين مفتونتين - ثم ضحك.

رفعت زوجة بوبي نظرها إليها وقالت، "*لماذا* نحن نهرب شمالاً؟ هل تعتقد حقاً أن فارغو يمكن أن تتعرّض للقصف؟ هل تعتقد حقاً أننا يمكن أن نتعرَّض للقصف *هنا*؟ فوق وسط الولايات المتحدة؟". لم يُجبها زوجها، لذا عادت والتفتت نحو آرا.

راحت آرا تزن في قلبها إن كانت الحقيقة ستُعتبر رحمةً أم مجرد هجوم آخر. لكن صمتها جوابٌ كافٍ.

زمَّت المرأة فمها. نظرت إلى زوجها وقالت، "إذا كنا سنموت، أريدك أن تعرف أنني مسرورة أنني بجانبك عندما يحصل ذلك. كنتَ طيباً معي، روبرت جيريمي سلايت".

استدار إلى زوجته وقبَّلها وقال، "هل تمزحين؟ لا يمكنني أن أصدِّق أن رجلاً بديناً مثلي يتزوج امرأة خلاّبة مثلك. سيكون أسهل الفوز بمليون دولار في قرعة الحظ".

حدَّق فيهما فايدلمان ثم أشاح بنظره. "آه تباً. لا تبدأ بالتصرّف كإنسان أمامي الآن". جعَّد منشفة ورقية تفوح منها رائحة شراب الشعير ورماها على بوب سلايت.

ارتدّت عن صدغ بوبي. أدار الرجل الضخم رأسه ونظر إلى فايدلمان... وضحك. بحرارة.

أغمضت آرا عينيها، وأسندت رأسها على ظهر مقعدها.

يراقبها أبوها تقترب من الجسر، عبر ليل ربيعي حريري.

بينما تصعد القوس الحجري، يمدّ يده ليُمسك يدها، ويقودها إلى بستان، حيث هناك أشخاص يرقصون.

كايت برونسون في قُمرة القيادة

حين أنهت كايت مداواة جراح رأس ڤورستنبوش، تأوهّت المضيفة، ومطَّطت جسمها على أرضية قُمرة القيادة. دسّت نظّاراته في جيب قميصه، وقد انكسرت العدسة اليسرى خلال سقوطه.

"لم أفقد أبداً موطئ قدميَّ"، قال ڤورستنبوش، "في السنوات العشرين لخدمتي. أنا فْرَد أستير اللعين للأجواء. لا. غرايس كيلي اللعينة. يمكنني إنجاز عمل كل المضيفات الأخريات وأنا أسير عكسيا إلى الخلف ومرتدياً كعباً عالياً".

قالت كايت، "لم أشاهد أبداً فيلماً لفْرَد أستير. لطالما كنتُ من محبّي سيلفستر ستالون".

"رقيق الأرض"، قال ڤورستنبوش.

"حتى العظم"، وافقته كايت، وشدّت على يده. "لا تحاول أن تنهض. ليس بعد".

قفزت كايت بخفة إلى قدمَيها وجلست على المقعد الذي بجانب ووترز. عندما انطلقت الصواريخ، اشتعلَ نظام التصوير بمئة نقطة صغيرة حمراء، لكن لا شيء الآن سوى الطائرات الأخرى في الجوار المباشر. معظم الطائرات الأخرى خلفهم، لا تزال تدور فوق فارغو. وجّههم القبطان ووترز إلى وجهة جديدة بينما كانت كايت تعتني بڤورستنبوش.

"ماذا يجري؟"، سألت.

أقلقها وجهه. كان شاحباً لدرجة أنه أصبح عديم اللون تقريباً.

"كل شيء يحصل"، قال. "لقد نُقل الرئيس إلى مكان آمن. تقول الأخبار إن روسيا أطلقت صواريخ".

"لماذا؟"، سألت كما لو أن الجواب يُحدث فرقاً.

هزّ كتفيه بعجز، لكنه ردَّ عندها، "روسيا، أو الصين، أو كلاهما وضعتا مدافعات في الجو لكي تعود قاذفاتنا قبل أن تتمكن من الوصول إلى كوريا. وقد ردَّت غواصة في المحيط الهادئ الجنوبي بضربها حاملة طائرات روسية. ثم. ثم".

"إذاً"، قالت كايت.

"لا فارغو".

"أين؟"، بدا أن كايت لا تستطيع أن تنطق أكثر من كلمة واحدة كل مرة. هناك إحساس متوتّر خالٍ من الهواء خلف عظمة قَصّها.

"يجب أن يكون هناك مكان ما شمالاً يمكننا أن نهبط فيه، بعيداً عن – عما ينزل خلفنا. يجب أن يكون هناك مكان ما لا يشكِّل تهديداً لأحد. نونافوت ربما؟ لقد حطَّت طائرة 777 في إيكالويت العام الماضي. مدرَج صغير قصير في نهاية العالم لكنه ممكن تقنياً وربما لدينا ما يكفي من وقود لبلوغه".

"ما أغباني"، قالت كايت. "لم أفكِّر بإحضار معطف للشتاء".

قال، "لا شكّ أنك جديدة في عالم الطيران البعيد المدى. لا تعرفين أبداً إلى أين سيرسلونك، لذا تتأكدين دائماً أن معك ثوب سباحة وقفّازات ثلج في حقيبتك".

إنها جديدة *فعلاً* في عالم الطيران البعيد المدى – فقد حقَّقت تصنيفها لل 777 منذ ستة أشهر فقط – لكنها لا تعتقد أنه يجب أخذ نصيحة ووترز على محمل الجد، لأنها لا تظن أنها ستحلِّق في طائرة تجارية أخرى. وكذلك ووترز. لن يكون هناك أي مكان آخر للسفر إليه.

لن تتمكن كايت من رؤية أمها، المقيمة في بنسلتاكي، مرة أخرى،

لكن لا بأس. ستخبز أمها، إلى جانب زوج أمها الذي حاوَل وضع يده أسفل سروالها عندما كانت في الرابعة عشرة. وعندما أخبَرت كايت أمها عن محاولته، قالت لها إن الذنب ذنبها لارتدائها مثل بائعة هوى.

لن ترى كايت أيضاً أخاها غير الشقيق ذا الثانية عشرة مرة أخرى، وهذا يُحزنها *فعلاً*. ليام صبي عذب، مسالم، ومتوحِّد. أهدته كايت طائرة بدون طيّار في احتفال الشتاء وأكثر شيء مفضَّل لديه في العالم كله هو إرسالها عالياً لالتقاط صور جوية. إنها تفهم جاذبية ذلك. فهذا كان دائماً جزءها المفضَّل أيضاً في الطيران، تلك اللحظة التي تنكمش فيها المنازل إلى حجم مجسَّمات عربات قطار، الشاحنات إلى حجم دعاسيق تومض أثناء انزلاقها، بلا احتكاك، على الطرقات العامة. الارتفاع يصغِّر البحيرات إلى حجم مرايا يد فضية. من ارتفاع كيلومترين، تبدو البلدة بأكملها صغيرة كفاية لتتّسع على راحة يدك. يقول ليام أخوها غير الشقيق إنه يريد أن يكون صغيراً، مثل الأشخاص في الصور التي يلتقطها بطائرته بدون طيّار. يقول إنه إذا كان صغيرا مثلهم، سيصبح بإمكان كايت أن تضعه في جيبها، وتأخذه معها.

حلَّقوا فوق أقصى شمال حدود داكوتا الشمالية، منزلقون بالطريقة التي انجرفت بها ذات يوم في المياه الدافئة لشاطئ فاي فاي، عبر الأخضر الساطع الزجاجي للمحيط الهادئ. كم كان ذلك الشعور منعشاً، أن تُبحر كما لو أنها عديمة الوزن فوق عالم المحيط تحتها. شَعَرت أن التحرّر من براثن الجاذبية يشبه الشعور بانطلاق الروح النقية، بالهرب من الجسد نفسه.

ناداهم برج مراقبة مينيابوليس. "دلتا اثنان-ثلاثة-ستة، لقد ابتعدتم عن مساركم. على وشك مغادرة مجالنا الجوي، إلى أين تتوجّهون؟".

"مينيابوليس"، قال ووترز، "نتوجّه إلى صفر-ستة-سفر، نطلب الإذن بتغيير وجهتنا إلى مطار إيكالويت".

"دلتا اثنان-ثلاثة-ستة، لماذا لا يمكنكم الهبوط في فارغو؟".

انحنى ووترز فوق أدواته لوقت طويل. رنّت قطرة عرق على لوحة القيادة. انتقلت نظراته لفترة وجيزة ورأته كايت ينظر إلى صورة زوجته. "مينيابوليس، فارغو مكان للضربة الأولى. لدينا فرصة أفضل شمالاً. هناك مئتان وسبعة وأربعون روحاً على متن الطائرة".

خشخَش اللاسلكي. برج مينيابوليس يفكِّر.

حدث سطوع قوي، مسبِّب للعمى تقريباً، كما لو أن ضوء كاميرا بحجم الشمس لمع في مكان ما في السماء، خلف الطائرة. أدارت كايت رأسها بعيداً عن النوافذ وأغمضت عينيها. دوّى انفجار مكتوم عميق، وقد شعَروا به أكثر مما سمِعوه، نوعٌ من ارتجاف وجوديّ في هيكل الطائرة. عندما رفعت كايت نظرها مرة أخرى، كانت هناك أشباح صور ملطَّخة بالأخضر تنجرف أمام مُقلتَي عينيها. الأمر مشابه للغطس في فاي فاي مرة أخرى؛ كانت مُحاطة بسُعف نخيل نيونية وقناديل بحر فلورية متشنِّجة.

مالت كايت إلى الأمام وطقطقت عنقها. هناك شيء يتوهَّج تحت الغطاء السحابيّ، ربما يبعُد ما يصل إلى مئتَي كيلومتر خلفها. السحابة نفسها بدأت تتشوّه وتتوسَّع، تنتفخ صعوداً.

عندما عادت واستوت على مقعدها، حصل دوّي عميق آخر، مزعج، مكتوم، ولمعان ضوء آخر. أصبحت قُمرة القيادة للحظة صورة سلبية لنفسها. شعرت هذه المرة بموجة حرّ تلفح الجهة اليمنى لوجهها، كما لو أن شخصاً أضاء مصباحاً شمسياً وأطفأه.

قال برج مينيابوليس، "عُلم. اتصلوا بمركز وينيبَغ واحد-اثنان سبعة-فاصلة-ثلاثة". تكلَّم المُراقب الجوي بلا مبالاة اعتيادية تقريباً.

استوى ڤورستنبوش جالساً. "إنني أرى وميضاً".

"نحن أيضاً"، قالت كايت.

"يا إلهي"، قال ووترز. ارتعش صوته. "كان يجب أن أحاول الاتصال بزوجتي. لماذا لم أحاول الاتصال بها؟ إنها حامل في الشهر الخامس ولوحدها في المنزل".

"لا يمكنك"، قالت كايت. "لا يمكنك الاتصال بها".

"لماذا لم أتصل بها *وأُخبِرها*؟"، قال ووترز، كما لو أنه لم يسمع.

"إنها تعرف"، أخبرته كايت. "إنها تعرف من قبل". سواء كانا يتكلَّمان عن الحبّ أو نهاية العالم، لا تستطيع كايت أن تجزم.

وميض آخر. دويّ عميق آخر، رنّان، ذو معنى.

"اتصل الآن بمركز وينيبَغ"، قال برج مينيابوليس. "اتصل الآن بشركة ناف كندا. دلتا اثنان-ثلاثة-ستة، لديكم الإذن".

"عُلم، مينيابوليس"، قالت كايت، لأن ووترز كان يضع وجهه في يديه ويُصدر أصواتاً مكروبةً خافتةً ولا يستطيع أن يتكلَّم. "شكراً. انتبهوا لأنفسكم. معكم دلتا اثنان-ثلاثة-ستة. انتهى".

جو هيل

إكستر، نيو هامبشاير

3 ديسمبر 2017

ملاحظة المؤلف: أشكر الطيّار المتقاعد بروس بلاك لمساعدته بشأن الإجراءات الملائمة في قُمرة القيادة. أي أخطاء تقنية هي أخطائي أنا.

طيور الحرب

دايفد ج. شو

ربما أكثر شيء مشهور به دايفد شو هو أعماله التي تتميَّز بالوصف الصريح للمشاهد المروِّعة والعنيفة، والإباحية في أغلب الأحيان، لكنه ألّف أيضاً روايات خرافية، قصص جرائم قتل، وسيناريوهات منها The Crow [الغراب] وأفضل أفلام Texas Chainsaw Massacre [مجزرة منشار تكساس] (The Texas Chainsaw Massacre: The Beginning [مجزرة منشار تكساس: البداية]، للمهتمين منكم). "طيور الحرب" إعادة مذهِلة ومفصَّلة بشكل مدهش لغارات القصف فوق ألمانيا في الحرب العالمية الثانية. كما أنها صورة فعّالة للقوى التي يُطلَق العنان لها عندما يذهب الرجال إلى الحرب. "أعتقد أننا أيقَظنا شيئاً وقتها، بكل تلك النزاعات"، قال يورغنسن العجوز. "كل ذلك الكره. كل تلك الحيوات..." قد يشرح (أو قد لا يشرح) ما رآه طاقم السيدة الظليلة بينما الرصاصات تئزّ والهواء يتفجَّر من حولهم.

"طيور الحرب حقيقية"، قال العجوز الجالس مقابلي إلى الطاولة. "لقد رأيتُها. حقيقية أكثر من العفاريت؛ وحقيقية أقل من وزن مسدَّس في يدك".

لقد سافَرتُ عدة مئات الكيلومترات لأستمع إلى ذكريات هذا الرجل عن أبي الراحل، وكان يغزل لي حكاية عن وحوش الطيران، وحاجبا عينيه العنكبوتيان الأبيضان يقيسان كم يمكنني أن أتقبّل من هراء. لم نلتق أبداً من قبل، وكل الثقة الضمنية المفترَضة بيننا كانت مجرد لياقة، تنتظر باسترخاء إلى أن يستطيع شيء أساسي أكثر استبدالها.

كان عليّ أن أنتبه أكثر لتلك الجملة عن المسدّس.

"رجل طيب، أبوك"، قال يورغنسن، مدفعي البرج العلوي. إنه برج مارتن على متن B-24D. اللوم يقع على واجباتي المدرسية. كنتُ أعرف كل عضو في الطاقم بحسب موضعه؛ وقد ألقيتُ الكثير من توقّعاتي على صورة فوتوغرافية وجَدتُها من العام 1943 - إحدى المرات القليلة التي تماسَك بها الفريق بأكمله لمدة كافية من أجل لقطةٍ. ألحَقتُ كنيةً لكل رجل، حيث أن جدولي منع عنهم أسماءهم الكاملة أو ألقابهم، وفي تلك الحقبة كان *لكل شخص* لقبٌ، يكون عادة اختصارا لإسمه: بوبي، وِيلي، فرانكي، لا شيء مختلف عن الأولاد في زُمرة الحي. وكم كان أولئك الشباب أولاداً. بينما جلَستُ هناك أشرب قهوة أعدّتها كايتي أخت يورغنسن، كان عمر تلك الصورة السوداء والبيضاء غير النقية تماماً خمساً وستين سنة وكانت معظم الوجوه الجديدة بالكاد خرجت من مراهقتها. اثنان من الطاقم كحد أدنى كذَبا بشأن عمرهما لكي يُسمح لهما بالتجنيد. يورغنسن، اليوم، لم يكن يقارب الثمانين؛ بل يجرّها وراءه. عبء آخر. يعاني من التهاب في المفاصل أطبقَ له يديه إلى مخالب ضيقة. ولم يكن يعترف أنه أصمّ قليلاً، رغم أن جهاز مساعدته على السمع باديٌ للعيان (أحد الطُرُز القديمة الضخمة الحجم التي توضع خلف الأذن مع ما يسمى سلك مُجْدول "بلون الجلد" يتلوّى إلى صندوق موضوع في جيب قميصه). عيناه زرقاوان شاحبتان بسبب اصفرار بياضهما. نظّارات مصقولة. أثقل الزمن كاهلَه لكنه لم ينحنِ له ويتوقع مني أن أصدِّق ما أخبرَني إياه، لأنه، في النهاية، كان أكبر سناً، وماذا يعرف الأولاد حقاً، على أي حال؟

بْرَتّ يورغنسن، مثل معظم الرجال في طواقم القاذفات خلال

الحرب العالمية الثانية، خرج من التدريب وحطَّ في أوروبا برتبة رقيب. كان يمزح بأن مخيَّمات السجون الألمانية قبل غزو النورماندي كانت شديدة الازدحام بآلاف الرقباء الذين أُسقطت طائراتهم. كان يسرِّب لي هكذا أمور لكي يقيِّمني؛ هل أنا حقيقي وهل أعرف عما أتكلَّم عنه، أم أنني مجرد جندي آخر من المشاة اعتبر أنه من الملائم إزالة الحرب العُظمى من التاريخ والذاكرة؟

"رقباء وملازمون"، قلتُ وأنا أرمي موادَّ كيميائيةً مطحونةً في قهوتي الفاترة. أما يورغنسن فيشرب قهوته سوداء تماماً. طبعاً. إذا كرَّرتَ ما يُخبرك به أحدهم، فهذا سينيره عادة.

دفَع نفسه بعيداً عن طاولتنا، ثم تحرَّك إلى الأمام. كان يجد صعوبة في استخدام يديه، بما أنهما انحلّتا إلى مجرد أدوات إمساك بدائية. شَعَرتُ بحزن ودّي تجاهه، ليس لأول مرة.

"كان أبوك رقيباً أيضاً، من شيكاغو. حاوَل أن يتدرَّب على طائرات الـ AT-6 لكنه لم يكن طيّاراً بارعاً جداً". نخَر ضحكةً خافتةً وراح يبحث عن منديل. "ذات مرة، احترق عَقِبه بطلقة مدفعية مضادة للطائرات احترقت هيكل الطائرة ومزَّقت بذلة طيرانه واستقرّت تغلي عند مؤخِّرته".

"نعم، أخبَرني عن تلك الحادثة. مطار بيرنبرغ، جزء من الحلقة الخارجية للقواعد الوقائية في برلين، المهمة رقم ثلاثة، مارس 1944".

"كنتَ تُصغي *جيداً*"، قال يورغنسن. "حسناً إذاً، ربما لن تجد هذه القصة غريبةً جداً. لقد شاهدتَ أفلام حرب. هل شاهدتَ معركةً في حياتك؟".

"لا سيدي". كنتُ في المدرسة الثانوية عندما أُجريت قرعة

التجنيد. سحبتُ رقماً كبيراً نوعاً ما في عملية الاختيار الأولى.

"حسناً، الأمر ليس هكذا، والمعركة الجوية مسألة مختلفة كلياً. هي في أغلبها مليئة بالضجة والذعر، وإذا تمكّنتَ من النجاة منها بطريقة أو بأخرى، ستحاول أن تفهم لاحقاً لماذا لم تمت. أما خلالها، فستكون مشبّعاً بالأدرينالين ونوع الخوف الذي يجعلك تتبرّز على نفسك. طائرات تتفكّك حولك، قنابل تنفجر، مدافع كبيرة تزعق، مقاتِلو العدو يقصفون قذائف عيار عشرين ميلليمتراً عليك، وحولك، من كل حدب وصوب، ترى طائرات أخرى تتحطّم - شباب تعرفهم، يجرّون سُحُب دخان خلفهم، ينفجرون في الجو، وتريد رؤية مظلاّت لكنك لا تجد أيا منها. هل استمعتَ يوماً إلى موسيقى الميتال تلك؟".

رسَم ملخّصاً مُشرِقاً لدرجة أنني تهتُ فيه للحظة، واهياً. "ماذا؟ آه، أجل، بعضها".

"لم تعجبني أبداً"، قال يورغنسن. لحظة تأمل لكي يتسنّى لي تخيُّل يورغنسن جالساً مرتاحاً مع أسطوانة لأفضل أغاني فرقة روك. أو نكهة من فرقة روك بديل. ربما بعض إنتاجات فرقة ميتال سريع نرويجية عن فكرة الانهيار.

"هل تعرف السبب؟ لأنها تشبه أصوات المعركة".

القاذفة B-24 ليبراتور والمسمّاة *تركية*، وفقاً للطلاء على أنفها، قضمت الأرض وتجشأت أجزاءً ملتهبةً في كل أرجاء كتف المدرَج بينما تبعثر ما بقي من طاقمها. وتسبَّب الانفجار بسحق فردَين من طاقمها كانا لا يزالان يرتديان بذلات حرارية. لم ينهض أحدهما ليصفع نفسه

لكي يستعيد رشده. أسرَعَت طواقم الحريق من حريق هائل أُخمِد جزئياً إلى هذا الحريق الجديد بينما كانت مركبات مشلولة أخرى تحاول تفادي الأنقاض والهبوط. تكدَّست طائرات الليبراتور - تزن فارغةً تسعة عشر طناً - خلف بعضها في الجو وكانت تسقط من السماء بكل معنى الكلمة. وكان مُراقِب البرج مشغولاً في عدّ الطائرات العائدة وإحصاء عدد القتلى.

كان الطقس، النموذجي في إنكلترا، عبارة عن ضباب جائر ومظلم. وأحرقت الطائرات الملتهِبة ثقوباً ساطعةً بشكل مؤلم في الرذاذ، بُقعاً ساخنةً تخلّف وراءها في السماء ذيول تكثّف سوداء من الدخان.

وِيتروه، مدفعي بطن وصل للتو من مدينة أوكلاهوما، أشقر الشعر وتربّى على تناول الذرة مثلما يوحي إسمه، سارع إلى الملازم هاري مارس الذي كان مساعِد قبطان *السيدة الظليلة*. وَقَف مارس حاشراً يديه في جيبَيه الخلفيين، وهذه وقفة يعتمدها عندما لا تكون لديه أي فكرة عما عليه أن يُصلح أولاً.

"يا إلهي!"، قال وِيتروه. "ما الذي أصابها؟".

"دخَلت وعجلتها الأمامية مائلة وأظنها لم تشاهد فيلم التحطّم"، قال مارس. "مرحباً بك في شيبدام، أيها الغلام".

كانت شيبدام مجموعة سكانية في نورفَك، وهي نتوء جُزُر شمالي شرقي لندن، تضم الآن فرقة القنابل الرابعة والأربعين وإحدى نقاط تجمُّع الحلفاء الساحلية للمهام الأوروبية. هذه البطاقة البريدية البريطانية للمقاصف والأكواخ احتلّتها أكواخ نيسن ومدارج هبوط الطائرات، وطوّقتها البطاريات المضادة للطائرات، ثم غمرتها الطائرات الأميركية المتهوِّرة التي تتطلَّب معرفة ما الذي يجري حقاً. صاحبة عادة وتفتقر

اللباقة بشكل حاد – إنها صدمة ثقافية، على نطاق واسع.

مشهد طائرة B-24 مصابة في بطنها تنزلق إلى الأرض هو مشهد أوبرالي تقريباً في رعبه الكبير. كانت طائرات الليبراتور طيوراً ذات بطن كبير لا تتوقَّف عن أن تبدو خرقاء إلا خلال طيرانها. وهي تميل إلى أن "تنهرس" على خنادق الماء، مما جعل احتمالات الصمود فيها أقل بعشرة أضعاف مما لو سقطتَ في قلعةٍ طائرةٍ. أخذ قبطان *التركية* الورقة الرديئة التي أُعطيَت له ولعِبها حسب الأصول، أدار شفرات المروحة لمحرّكيه العاملين، وداسَ الرفاريف وأبقى مقدمة الطائرة عاليةً عن المدرج قدر الإمكان. تحطّمت عجلة الميمنة العالقة عند الاصطدام، مما رماه في الوحل ومزّق الجناح الأيمن بين محرّكات پرات–ويتني الضخمة. ثم اشتعَلت النيران في شيءٍ. لا قنابل على متنها، والذخيرة قليلة، والوقود قليل، لكن شيئاً على متنها اندلع وفجّر الوحش عند الخصر مثل مفرقعة نارية في زجاجة شراب شعير.

كل شيء عملياً على متن تلك الطائرات ملتهبٌ، على أي حال، ولن ينطفئ الحريق في الوحل الرمادي البارد للمملكة المتحدة وهوائها الرطب جداً.

حصل كل شخص على مزيد من الأخبار السيئة من مادسن في قاعة الطعام، التي لعِبت أيضاً دور قاعة اجتماعات. تفحَّص وِيتروه لائحة المهام بحثاً عن *السيدة الظليلة*. كانت خانتها لا تزال فارغةً. كان مادسن بريطانياً جامداً يرتدي حزاماً سام براوني، ويحمل عصا متبجِّحةً يستخدمها كمؤشر وأداة لضرب الخريطة، مخاطباً مجموعة كاملة من الضباط وضباط الصف المتململين في الكوخ المموَّج الصغير جداً.

سفر أم خطر

"... ما مجموعه 109.2 طن قنابل وزنها 250 و500 كيلوغرام، موقوتة عند عُشر ثانية في مقدمتها وربع ثانية عند مؤخرتها، رُميَت بنجاح من ارتفاع خمسة آلاف وخمسمئة إلى ستة آلاف متر. بصرف النظر عن مصنع المسرشميت في ريغنسبورغ –"

ضربت عصا مادسن المتبجّحة الخريطة وعمَّ ابتهاجٌ عامٌ من ذلك.

"نعم، نعم". انتظَر مادسن عودة الهدوء. "أُصيب هدفان آخران في الجوار، مما نجح في قطع أنابيب الهواء والماء والخطوط الكهربائية. مَصنع براغي ومَصنع مطاط. بالطبع، بقيت بعض الآلات قابلة للإنقاذ، لكن ليس من دون عمليات اختبار وإصلاح رئيسية".

حوالي تسعمئة سيجارة مشتعلة شكَّلت سحابة دخان كثيفة في قبّة الكوخ. تعرَّف وِيتروه على بضعة وجوه جديدة من تدريبه في كاسبر، وايومنغ، شبابٌ شحنهم معه، شبابٌ ذوو أسماء لا تُنسى. لكنه كان عالقاً الآن مع طاقمه الجديد، اللحم الطازج على أطباقهم. جلَس بجانب الرقيب يورغنسن، الذي كان يتأرجح على كرسيه القابل للطيّ.

"لا يتكلَّم هذا الإنكليزي"، قال يورغنسن. "إلا عن البراغي والمطاط".

انحنى ألڤن تيوكس، راعي بقر من كاليفورنيا، من الجهة البعيدة ليورغنسن ليهزّ إبهاماً نحو ملاّح *السيدة الظليلة*. "الملازم ماكس، *تزوَّج* إنكليزية حالما نزل الشاطئ. طاخ!".

ارتعَد تيوكس خوفاً فوراً من تفحّص الملازم كيث ستاكبول، مدفعي المقدمة. فهو كان، في النهاية، يتكلَّم عن ضابط. "تباً"، قال. "آسف، سيدي".

مدَّ ستاكبول، وهو أحد الراشدين بينهم في الثانية والعشرين من

عمره، يداً مسطَّحةً. *ابق هذا الثرثار في الخزانة*. تماماً مثلما كانوا يغيرون على المحور، كان فريق مقاتلات بريطانيات يغِرنَ على مجموعة أميركيين يشعرون بالحنين إلى الوطن، في جو يزخر بالحرمان الجسدي والموت الوشيك. ادّعى ماكس غنتري، ملاّحهم ذو العينين الخضراوين، خلاف ذلك. فقد وقع في الحبّ. بالطبع. كما جنى على نفسه بكمية كبيرة من السخرية والكلام الفارغ، وقد أبدى ستاكبول إعجابه به لتحمّله ذلك بإذعان هادئ أوحى أنه يتأقلم مع الوقفة الفطرية ذات الشفة العليا المتيبّسة. طالما أن غنتري لم يبدأ بارتداء وشاح طيران أو يتكلّم بلكنة أنفية، لن ينزعج ستاكبول من ملاّح *السيدة*.

مرَّر ستاكبول سيجارةً إلى الرقيب جونز، مشغِّل اللاسلكي، الذي قَسَمها إلى نصفين ومرّرها إلى الرقيب سميث، أعزّ أصدقائه، ومهندس ومدفعي الخصر الأيمن. سميث وجونز. عليك أحياناً أن تضحك لتمنع نفسك من البكاء.

"اللعنة على كل الحسابات"، شَكا جونز. "كم *عددها*؟".

"أربعون، خمسون، شيء من هذا القبيل"، قال سميث. أشعل الرجلان من نفس عود الثقاب.

تخثَّر وجه وِيتروه. "من أصل كم؟".

"مئتان، شيء من هذا القبيل". ظهَر جيمي بَكْ خلفهما، بما أنه لم تعد هناك مقاعد شاغرة. كان مدفعي الذيل يرتدي نظّارات عسكرية وراح ينقِّل سيجارته من يد إلى أخرى ليسمح للملازم مارس وطيّارهم، الملازم كوغنز، بأن يحشر نفسه بينهما. كل حقيقة وإحصائية، مهما تكن واضحة، كانت *شيئاً من هذا القبيل*.

راح وِيتروه يلهث. "*مئتان...؟!*"

"من أصل مئة وسبع وسبعين طائرة B-24"، دوّى مادسن من المسرح الصغير التافه في الأمام، "على الأقل مئة وسبع وعشرون وربما حتى مئة وثلاث وثلاثين وصلت إلى الهدف وقَصَفته. وأُسقطَت اثنتان وأربعون طائرة أو تحطّمت على الطريق –"

"على الطريق؟"، قال تيوكس، وهو لا يزال لديه افتتان قادمٍ جديدٍ بمَيل البريطاني إلى عدم التكلّم بالإنكليزية.

"– ونقدِّر أن خمس عشرة منها فُقِدَت فوق الهدف".

"لسنا على لائحة المهام، مرة أخرى"، قال كوغنز لستاكبول.

"بالإضافة إلى ذلك"، قال مادسن، "حطَّت ثماني طائرات في تركيا المحايدة وسُجنَت. عادت مئة وأربع إلى القاعدة، وثلاث وعشرون إلى قواعد صديقة أخرى، مما يعني أننا خسرنا خمسين طائرة. عدد الضحايا حتى الآن أربعمئة وأربعون رجلاً مقتولاً أو مفقوداً. وقد أُبلغنا أن المحور يحتجز عشريناً من الرجال المفقودين".

شَعَر وِيتروه بمعدته تنقبض. مهمة واحدة فُقد خلالها حوالي أربعمئة وخمسين شاباً. طواقم خمس وأربعين طائرة مفقودة. *شيء من هذا القبيل*.

"الألمان اللعينون"، تمتم يورغنسن.

قدَّم مادسن الجزء المريح من كلامه: "دُمّر ما مجموعه واحدة وخمسين مقاتِلة للعدو".

"رائع"، قال تيوكس. "مقاتِلة واحدة تقريباً لكل قاذفة مليئة بالشباب".

صفّق بعض الرجال على أي حال.

كان الملازم مارس قد تجاوز ذلك من قبل، وكان يسخر من بَكْ.

"يا جيمي – هل تعرف متوسط العمر المتوقَّع لمدفعي الذيل؟".

كانت نكتة قديمة لأولئك الأطفال. صرخَ ثلاثة منهم على الأقل، "تسع ثوانٍ!".

"شكراً أيها الزملاء"، قال بَكْ وهو يزفر دخان سيجارته. "أشعر بتحسّن كثير. بشعور دافئ في داخلي".

راقَب كوغنز ردّة الفعل بين طاقمه بصمت. جيد. أعداد الموتى الكبيرة ستجعلهم كلهم يكرهون الفوهرر أكثر قليلاً غداً، وربما ذلك الكره يمكن أن يساعده على إعادتهم كلهم أحياء، وليس مشويين في حُطام قاذفةٍ مثل أولئك المساكين على متن *التركية*، التي كان قبطانها يشغَل حالياً سريراً في المستشفى وذراعه اليسرى مقلية ورِجله محطَّمة في أربعة مواضع.

هكذا هي الحرب. هذا هو المهم. في العام 1941، وقبل ستة أشهر من بيرل هاربر، تم تغيير إسم الفيلق الجوي للجيش الأميركي إلى القوات الجوية للجيش الأميركي تحت قيادة الجنرال هاپ أرنولد، وكان لدى هذا الكوخ المليء بالأميركيين المحارِبين الكثير ليدافعوا عنه. أطنان ليبرهنوه. الآن، كبرياؤهم يُطعَن كل يوم. كان مُحاربو السُحُب *تقريباً* شرعيين ومستقلين بذاتهم مثل البحرية أو فرسان الدبابات. بعد دخول الولايات المتحدة الحرب، أعادت وزارة الدفاع تنظيم القوات البرية والقوات الجوية ومنحتها صلاحيات متساوية، لكن الخليط لن يؤدي إلى شيء يدعى سلاح جو الولايات المتحدة إلا بعد انتهاء الحرب. لا يزال العديد من قدامى الطيّارين يرتدون شارة فيلقهم الجوي باحترامٍ مفهومٍ للذات رغم أنهم أصبحوا كلهم الآن جزءاً من سلاح الجو الأميركي.

سفر أم خطر

لا يُحدث الكبرياء فرقاً كبيراً عندما يتم إيقاظك عند الواحدة فجراً. كان نصف الشباب في الكوخ يُدركون مَن هو المتطفّل حتى قبل أن يُشعِل مصباحه اليدوي. إنه كارلايل، قائد الوحدة، لذا فإنه شعاع كارلايل الذي يرتدّ عن جمجمة كوغنز الصلعاء في الظلمة القارسة.

"كوغنز"، همَس كارلايل. "استيقظ يا ج.ج.".

"أنا مستيقظ"، قال كوغنز بصوت أجش، وتشقلَبَ.

أجلَس كارلايل نفسه على حافة السرير النقّال. "اسمع، أكره أن أفعل هذا بك، لكن -"

"كم الساعة الآن؟". كان كل شخص ما عدا تيوكس مستيقظاً الآن.

"الواحدة والرُبع. اسمع... المهمة. هل يمكنك إنجازها؟".

"بالتأكيد"، قال كوغنز، كما لو أنه كان متأكداً من كل شيء.

"إننا نقود الفرقة الثامنة هذا الصباح، ونحتاج إلى المجموعة بأكملها لحَشْد الجهد الأقصى".

"ماذا يقول؟"، قال وِيتروه وهو يفرك وجهه لكي يصحا جيداً.

"صه"، قال بَكْ. "إنها مفاجأة".

"المسألة مهمة جداً"، قال كارلايل، بصوت صاخب أكثر الآن، من أجل المنفعة العامة. "قصف مدفعي مكثّف، ثم المقاتِلات. معمل لتكرير الزيت. أعرف أن طاقمك ليس جاهزاً للمعركة كثيراً، لكن لا يمكننا أن نزوّدكم بمساعِد قبطان خبير أكثر لأن -"

"طاقمي *جاهز* للمعركة، سيدي"، ردَّ كوغنز، ولم يناقضه أحدٌ.

تم الأمر، إذاً. وهو ما سيصفه كوغنز لاحقاً بـ "مجزرة".

كان كوغنز قد طلى "السيدة الظليلة" على طائرته خلال إقامته

في شمال أفريقيا. كان هذا الطاقم الأخضر ينام داخل كوخ شَغَله قبل عدة أيام طاقم مختلف كلياً فُقد كل أفراده في المعركة. غداً، مَن يعرف؟ تقنياً، حلّقوا أربعاً من مهامهم الخمسة والعشرين، لكن يتم استدعاؤهم أو تُلغى المهمة كل مرة. لم يتسنَّ لهم بعد قطع كل مسافة القناة. مهمتهم الأولى التي تفاخروا بها كثيراً اضمحلّت إلى إحراج تام عندما تعطَّل الشاحن التوربيني على ارتفاع 4,000 متر واضطروا إلى العودة وإلقاء قنابلهم شمال الأطلسي. وقد أُعير مدفعي خصرهم الأيمن، شاب من تكساس يدعى ماكاردل، إلى فريق معركة نشط، تدعى طائرتهم *فتاة مسقط الرأس*، في جولتهم الثانية عشرة مما ترك ثغرة ملأها وِيتروه للتو.

مدفعي البطن من سفينة تدعى *الماسة المزدوجة* روى المهمة لكوغنز: "رأيتُ الطائرة تُصاب بقذيفة عيار 88 في قُمرة القيادة. جنحت بكامل حمولتها من القنابل وقصَّت *فتاة مسقط الرأس* إلى نصفين. لم أر أي مظلّة". هل ماكاردل حيٌّ أم ميتٌ؟ لم يعرف أحد، وما عدا لبعض الاهتمام الطفيف، كان من السيء الاكتراث كثيراً.

ها هم إذا: قهوة تَغلي، مفاصل تتصدَّع في الرطوبة البريطانية اللعينة، يكافِحون مع معداتهم، أوساخ النوم تغشي أبصارهم، وقد أصبحوا طيّارين قصيرين بدينين. بذلات كهربائية، سترات للقصف المدفعي، مظلّة ظهر للطيّارين، مظلّة صدر للباقين، سترات نجاة، خوذات، نظّارات واقية، أقنعة أكسجين. كانت رائحتهم كلهم تشبه رائحة جلد خروف رطب.

"الضباب اللعين"، قال تيوكس على متن الشاحنة المتوجّهة إلى الميدان. "رقيق جداً لأكله وسميك جداً لشربه".

كانت الرؤية معدومة. "علينا اتباع سيارة جيب لمجرد العثور على

المدرَج"، قال ستاكبول. "أين نحن في التشكيل؟".

"زاوية التابوت"، قال كوغنز، محاولاً جعل ذلك يبدو عادياً.

"آه، رائع"، تذمّر بَكْ، الشاب في المؤخرة.

"ماذا؟"، قال وِيتروه، وشعره الأشقر الرطب ملتصق برأسه داخل قبعة طيرانه.

ألقى الملازم مارس الحُكم: "الحافة الخارجية للصندوق، العنصر الخلفي".

"لكي يستطيع القصف المدفعي قتلنا بشكل أسهل"، علّق بَكْ.

ضرب يورغنسن وِيتروه على ذراعٍ مبطَّنةٍ بكثافةٍ. "موضع القادم الجديد. للبتولات".

"يُفترَض بنا اللحاق بهم إلى أن تُلغى المهمة"، قال كوغنز. "لكي يمكننا سدّ الفراغ". على الأقل تخرَّجوا من مرحلة إلغاء المهام. كان كوغنز قد سحَب السلك من طرف قبعته الحامية بكماشة، ليسمح بـ "تحطّم المهمة" الملائم عندما يرتدي سمّاعات رأسه.

كان ستاكبول يصفِّر لحن أغنية "كيف تبدين هذه الليلة".

ولاحت *السيدة الظليلة* أمامهم فجأة، مالئةً عالمهم. خضراء شاحبة، أُم السافلة، حبيبة السماء، رحمهم، قدرهم.

كانت فرقة القنابل الرابعة والأربعون تُعرَف بإسم "كُرات الثمانية الطائرة"، أول وحدة ليبراتور في سلاح الجو الأميركي، لكنها ليست أول مَن ذهب إلى أوروبا، فهذا أمر أنجزته فرقة هَرَميي سلاح الجو التاسعة. حلّقت كُرات الثمانية أولى غاراتها دعماً لفرقة حصون الطيران في نوفمبر 1942، ومع تحوُّل المجموعات الأخرى إلى مهام ليلية، بقيت كُرات الثمانية في الموضع الذي لا يُحسَد عليه بأنها فرقة الليبراتور

الوحيدة المكلَّفة بغارات القصف النهارية. سرت شائعات كثيرة عن طائرةٍ ليبراتور بالذات، تدعى بُومرَنغ، شاركت في غارة فرقة القنابل الثالثة والتسعين على لِيل في 9 أكتوبر. عادت وفيها آلاف الثقوب، وصدر قرار بتحويلها إلى خردة، لكن طيّارها وطاقمها حاربوا من أجلها، ورقَّعوا ثقوب الرصاصات فيها بالألومنيوم، وأصبحت أول طائرة B-24 في فرقة الثمانية تُكمل مهامها الخمسين. دافع رجالها عن شرفها، وكافأتهم بالمحافظة على حياتهم. شكَّلت مهمة لِيل أيضاً حدا فاصلاً أظهَرَ بما لا يقبل الشك أن B-24 طائرةٌ أفضل للقصف، بدون بذل جهد كبير، من طائرة الـ B-17 "الفتاة الساحرة" الأكثر جاذبية منها – كانت طائرات الليبراتور أسرع، ذات مدى أطول، وقادرة على حمل قنابل أثقل. جوهرياً، كان تاريخ كُرات الثمانية ملحمة الليبراتور في زمن الحرب؛ النزاعات الجوية أنجبتها، وستصبح بائدة عملياً في يوم الانتصار على اليابان. وصل العديد من طائرات الـ B-24 إلى شيبدام ومعها الدرع الأحدث، الخزّانات الذاتية الإغلاق، الشاحنات التوربينية، وبرج سپيري الكُروي الانكماشي.

وهذا هو المكان الذي كان وِيتروه متوجِّهاً إليه هذا الصباح.

"السافلة ذات الكرش الكبير"، قال مارس مردِّداً كلمات قبطان يدعى كيث سكايلر.

"أحبّ النساء الضخمات"، قال تيوكس. "مساحة أكبر للإمساك بها".

"تتنقَّل بسرعة بالنسبة لحجمها الكبير"، قال كوغنز. ربما كان يتكلَّم عن زوجته في الولايات المتحدة، أو طائرته، فكَّر يورغنسن في سرّه. كما لو أن الفرق مهم. ربما كان باع جناح سيدته أطول من

هيكل طائرتها.

أنهى طاقم الرحلة تحميل القنابل التي تزن 250 كيلوغراماً في عنبر قنابل *السيدة*، وأُتخِمَت الرشاشات العشرة على متنها بأحد عشر ألف طلقة في أحزمة ربط قابلة للتفتّت. وبدأ رجال كوغنز يرفعون أنفسهم إلى الجهة السفلى للطائرة. سيمضون هناك الساعات الاثنتي عشرة القادمة في تشنّج لا يُطاق تقريباً، ويبوّلون في أنابيب خاصة، ويتنشّقون هواءً اصطناعياً، ويحاربون الموت. ستكون أكثر شخص سيئ الحظ إذا أصابك إسهالٌ خلال تنفيذ المهمة.

تسلَّق مارس بجهد إلى دلو مساعِد القبطان على يمين كوغنز، ولاحظ أن القبطان، كالعادة، قرَّب مقعده إلى الأمام إلى الحد الأقصى. قد تظن أن الرجال القصار مثاليون للقاذفات، لكن الهزليين في سان دييغو أو فورت وورث يحبّون دائماً إبعاد الدوّاسات عن متناول أي إنسان ذي طول عادي.

"يمكن أن تكون عملية نقل حليب"، قال مارس وهو يسترخي على مقعده.

"يمكن أن تكون كابوساً، إذا ضايقت المقاتِلات مجموعتنا"، قال كوغنز دون أن ينظر إليه. ضغط على قبعته (التي أصبحت لاسلكية الآن) لكي يُوصل سمّاعات رأسه.

راحا يراجعان لائحة التمهيد للطيران مع مهندس الطيران. خبّأ مارس مزلاج التحكّم العلوي (لكي لا يلطمه على وجهه لاحقاً) ونظر عبر النافذة ليفحص حركة الجُنيِّحات والرافعات والدفّة. كانا يشغّلان المحرّك من عربة بطاريات، لذا قَتَل بدّالات الإشعال. سحَب المهندس المراوح بيديه، ست دورات أو "شفرات" لكل واحدة، بدءاً من الرقم 3،

من الداخل إلى الخارج. كانت العملية مملة، إدارية، وتتم عن ظهر قلب، لكن بإمكان أي خطأ ولو صغير في هذه المرحلة أن يسبّب انفجاراً، من مبرِّد بَيني مسدود أو بدّالة شاحن توربيني تم التغاضي عنها. وضعَ مهندس الطيران أوتاد إسناد العجلات ووَقَف متأهبا حاملاً مطفأة حريق لعملية بدء تشغيل المحرّك الفعلية، الرقم 3 أولا، لدفع السوائل الهيدروليكية إلى التحرّك. عند سرعة 1000 دورة بالدقيقة، أظهرت العدّادات قراءة صحيحة:

45–50 رطلاً لضغط الزيت، 4½ بوصة لمضخّات الفراغ، ضغط بحوالي 975 رطلاً في المُركِّمات، لطاقة الفرملة. زاد كوغنز السرعة إلى ثُلث الطاقة بينما ضخَّم مارس مزيج الوقود إلى الضغط التلقائي. بعد الخروج إلى المدرَج، سيزيد مارس سرعة مصادر الطاقة الأربعة كلها لكي "يمرِّن" المراوح.

استخدم كوغنز اللاسلكي: "نفحص الهاتف الداخلي".

"يا للهول، لا أستطيع أن أرى حتى أبعد من أنف الطائرة"، ردّ مارس عندما بدأ أفراد الطاقم يؤكّدون جهوزيتهم من مواضعهم. كالعادة، سينقشع الضباب فقط عندما يحلّقون فوقه.

صوت ستاكبول: "المدفعي، حاضر". كان تحت أقدامهم، بالقرب من جونز، عند محطة اللاسلكي، الذي قال، "مشغِّل اللاسلكي، حاضر".

خلف سميث أتى جونز دائماً: "حاضر، الخصر الأيسر".

"حاضر–حواضر، أيها العجوز المحتضر". هذا كان تيوكس، مقابل سميث عند مدفع الخصر الأيمن.

"البرج العلوي، يورغنسن هنا". لو استدار مارس أو كوغنز، لرأيا

حذاء يورغنسن على قضيب الرِجلَين في البرج.

"وِيتروه. برج الكُرة بخير". يا للفتى المسكين. لقد اضطروا إلى حشره هناك من دون مظلّة. فلا مكان لها. ولاستخدام واحدة، عليه أن يتسلّق بجهد إلى الخارج – مع مساعدة – ويرتدي واحدة، نظرياً بينما تسقط الطائرة بسرعة نحو الأرض في كُرة نار. أمر سهل.

أطلّ الملازم غنتري برأسه من محطته ليرفع إبهامه إشارةً على أن كل شيء سليم. لكن الإجراءات تقتضي أن يُسمَع، لذا سُمِع.

"انتباه يا جيمي"، قال كوغنز.

"الذيل جاهز، أيها القبطان"، قال بَكْ مما سمّاه يورغنسن "مؤخرة الحافلة".

في تلك اللحظة، بدا أن كوغنز انضغط من الوزن الذي تخيَّله على مِقرَنه. ارتفع حاجبا مارس. ارتسمت أخيراً شبه ابتسامة على وجه كوغنز وقال، "هذا المقعد اللعين قصير جداً".

رغم معدّاتها الضخمة، وأسلحتها، ونزعتها إلى طرد النوم من العينين، عندما تحلّق *السيدة* في السماء، يشعر المرء كأنه يركب سيارة ليموزين. تمكّنوا أخيراً من رؤية بعضٍ من ضوء النهار والسماء الزرقاء. كل مكافأة صغيرة كانت مهمةً جداً.

على ارتفاع 900 متر، أشعَلَ كل واحد منهم سيجارة، لأن عليهم على ارتفاع 3,000 متر أن يتنفّسوا أكسجين الطائرة. بعد ذلك عليهم الاتكال على إرادتهم وتصميمهم فقط لكي يُنجزوا مهمتهم ويعودوا فارغين، بعد أن يكونوا قد أظهروا مآثرهم للقارة.

"غمرتنا طائرات فوك-وولف"، قال يورغنسن. "كانت في كل مكان. بعد القصف المدفعي تأتي المقاتِلات دائماً. وسرعان ما بدأ مارس يصرخ في نظام اتصاله الداخلي بأن *دمية ڤارغاس* تحترق، عند جناحنا الأيسر. لم أستطع *عدم* رؤيتها من برجي. فقد أصاب القصف المدفعي قارورة أكسجين بالقرب من رأس جونزي وفجَّرت جهازه اللاسلكي. تعرَّضت بذلة وِيتروه الكهربائية لقصورٍ وحرقته. الجميع يصيحون، كل المدافع تزعق، طائرات فوك-وولف تمرّ بنا على مسافة قريبة بما فيه الكفاية لنبصق عليها. هشَّم تيوكس رباط مدفعه وأصاب موازِننا الأيمن عن غير قصد محاولاً تدمير أحد أولئك السفلة، وبدأنا نهتزّ مثل بائعة هوى ثملة. وعندها رأيتُه، لأول مرة".

"طير الحرب"، قلتُ. سكبت لنا كايتي المزيد من القهوة. كانت أخت يورغنسن الكبرى في ثمانيناتها أيضاً. أما السيدة يورغنسن الراحلة فقد ماتت منذ عقد.

"ظننتُه في البدء أنه إحدى طائرات الستوكا"، قال يورغنسن. "عندما يغطس، يُصدر ذلك النحيب الغريب. ثم رأيتُ أجنحته ترفرف وقلتُ لنفسي، *هذا ليس طائرة*. كان *ضخماً* كمقاتِلة تقريباً. أجنحة مثل الوطواط، خَطْم مثل منقار، وعينين مثل عقيق يماني وبيوتر". تنحنح. "أنت تقول لنفسك الآن، يا إلهي، لا شك أن هذا العجوز الأبله فَقَد عقله، صح؟". تقوَّس حاجباه المكسوان بالريش، لتوجيه الاتهام لي.

"في الواقع، لا يا سيدي. لم أتمكن أبداً من جعل أبي يُخبرني عن الحرب، لكن بعض أفراد طاقم *السيدة الظليلة* الآخرين أخبروني بضع حكايات، خلال سنوات بحثي عنهم. لقد سمِعتُ ما هو أغرب".

بدا أنه توصَّل إلى قرار داخلي خطير. "حسناً إذاً، طالما أن كايتي في المطبخ أو تشاهد مسلسلات على التلفزيون أو مهما يكن ما تفعله في وقت فراغها". لم يصدر احتجاجٌ من الجهة الخلفية للمنزل، لذا كان يورغنسن راضياً أننا على انفراد، هنا.

"فكَّرتُ مثلما فكَّرتَ أنت الآن على الأرجح"، أكمل يقول. "أنها مجرد هلوسة. لا أعتقد. لقد رأيتُ للتو هذا الشيء المستحيل الكبير قادم صوبي مباشرة، مجهِّزاً مخالبه. ثم سرعان ما طار كل الحاجب البلاستيكي ووجدتُ نفسي على أرضية الطائرة ورأسي ممزَّق. لا تزال لديَّ الندبة". مسَّد شعره إلى الخلف ليُظهِر لي خطاً أبيض يتعرَّج من حاجب عينه اليسرى صعوداً إلى فروة رأسه. بدا كأنه جرح سكين. "تباً، كدتُ أفقد عيني. حين عدنا إلى القاعدة، كنتُ في صدمة من كثرة فقداني الدم. بالكاد كنتُ قادراً على تذكّر إخراجي من الطائرة. أخبَروني لاحقاً أن برج البطن كان مختفياً عندما هبطنا، وكذلك وِيتروه، الشاب الجديد".

"البرج بأكمله اختفى من الطائرة؟".

"أجل – من الصعب جداً فعل ذلك بمجرد نيران مدفعية أو رشاشات. وكنا كلنا لنشعر بإصابة مباشرة. كان جيري يستخدم رشاشات عيار 128 ملليمتراً للقصف، لذا إذا كان وِيتروه قد نُسفَ من الكُرة بسبب رشقةٍ، كنا سنعرف ذلك لأن نصف الطائرة سيكون يحترق. كانت معنا ثلاثة أطنان من القنابل، وكانت أجنحتنا مليئةً ببنزين سريع التطاير".

"تعتقد أن –"

قاطعني. "لا أعتقد. أشك. بعض الأشياء أعرفها. أشك الآن بما

حصل للمسكين وِيتروه، لكن دعني أُخبِرك ما أعتقده: أعتقد أن حربا بتلك الضخامة لا تزول فقط بمصافحة العدو وتوقيع ورقةٍ ما".

"أو بقصف مدينتين بقنابل نووية وتحويلهما إلى بخارٍ بنكهة يابانية". لم أقصد أن تبدو جملتي حادّة إلى ذلك الحدّ، لكن يورغنسن بقي على المسار، إما تجاهلها أو كان يتصرَّف بتهذيب.

"فكِّر بالمسألة: العالم كله في حالة حرب. سنوات من الحرب. كل ذكرى ولادة، كل احتفال شتاء، الحرب لا تزال هناك. ثم أصبحنا كلنا متحضِّرين فجأة واتفقنا على التظاهر بأنه لا توجد حرب. أشعر أحياناً... أحياناً..."، ثم صمتَ. لماذا يتكبَّد العناء؟ بالكاد يعرفني، وكنتُ مجرد الفرخِ القليل الخبرة لأحد معارفه القدامى، جيمي بَكْ، الذي تُوفِّي منذ خمس سنوات ولم يرسل له بطاقة معايدة أبداً.

"المسألة ليست مسألة بطولات أو مَجد"، قال، بادئاً مساراً مختلفا من الهجوم. "عندما تكون في الجو، تُطلق النار على كل شيء حولك، وهناك شباب ينزفون وشباب يصيحون، وانفجارات، تكون المسألة كيف تنجو بحياتك. الصمود البَحت. وتصلّي من كل قلبك ألا تموت في تلك المهمة. وإذا كنتَ تصدِّق تمائم الحظ، تحملها معك. كان ستاكبول يحمل معه دمية جورب كيلروي صغيرة أعطته إياها زوجته، وكن على ثقة أننا كلنا عاملنا الدمية كأنها فردٌ من طاقمنا، وتأكدنا من حضورها معنا في كل مهمة. كان غنتري يحمل معه ميدالية سانت كريستوفر. ويأتي وِيتروه مع قدم أرنبه، رغم أن ذلك لم يكن من حسن حظه أو حظ الأرنب. وكان لأبيك شعائره الخاصة. قبل أن يتفحَّص مدافعه، يُخرج أول رصاصة من حزام السلسلة ويكتب التاريخ عليها ويضعها في جيبه بجانب قلبه".

كان طول الرصاصة عيار خمسين حوالي خمسة عشر سنتيمتراً ووزنها أكثر من لفّة أرباع دولار. لقد أكمل أبي ثماني مهام ناجحة على الأقل فوق منطقة العدو. تساءلتُ عما جرى لتشكيلة الرصاصات.

"كل شخص يفعل شيئاً كهذا"، قلتُ، رغم أن حيلة أبي كانت جديدة بالنسبة لي. "لستَ بحاجة إلى المشاركة في معركة لكي تصدِّق الشعائر الصغيرة، النقوش. مَن يمكنها أن تؤذي؟".

"أنت لا تفهم لبّ الموضوع". لوَّح يده باستخفاف.

بدوتُ جزءاً من صورة أكبر، صورة كانت خلفي مباشرة، جزءاً من أفق يستطيع يورغنسن لحْظه، لكنني لا أستطيع ذلك. كان يراها في هذه اللحظة بالذات.

"ذلك الشعور، ذلك الشعور بالمعركة، يعود"، قال. "كل يوم. بمقادير ضئيلة في البدء. وأكثر كل مرة. ليس استحضاراً لذكريات الماضي، ليس ارتعاشاً. لستُ خرِفاً، تباً. هذا حقيقي مثل الفِرق في شعرك. سأُخبرك رأيي الحقيقي الآن، وسأدعوك كذّاباً إذا أخبرتَ أي شخص آخر، لكنني أقول هذا احتراماً لأبيك".

كان يمرِّر شيئاً لي، وزناً ضخماً أكثر مما توقَّعتُ، وكل ما بوسعي أن أفعله هو عدم مقاطعته بكل حداثتي الحكيمة.

"أعتقد أننا أيقَظنا شيئاً وقتها، بكل ذلك النزاع. كل ذلك الكره. كل تلك الحيوات، تغذّي الحرب. شيءٌ بذلك الحجم الكبير لا يتوقف هكذا بكل بساطة، فيكون موجوداً في أحد الأيام ثم يزول في اليوم التالي. أعتقد ربما أنه أُتخِم وأصبح بديناً، وذهَب لينام لبعض الوقت. لقد اندلعت حروب أخرى، هنا وهناك، لكنها لم تكن مماثلة. هذه الحرب أنجبت ولداً. أنجبت شيئاً كريهاً، شيئاً استيقظ من قيلولته وأدرك

أنه جائع مرة أخرى، ولم ينتزعنا *كلنا* من الجو، حيث يتغذّى".

"طير الحرب. لكن لماذا أنت؟ لماذا الآن، بعد كل هذا الوقت؟".

"تريد منطقاً مني؟ ليس عندي واحدٌ. كل ما عندي هو فكرة أنه ربما كان يُفترَض أن يموت بعضنا وقتها ولم يمت. وهو يعرف مَن نحن، لديه لائحة تدقيق صغيرة، مثل قائمةٍ. ونحن غنائم سهلة، لأنه انتظَر، والآن لم نعد مليئين بسائل مَنَوي وخل. لا يمكننا الهروب، ولا يمكننا إطلاق النار ردّاً عليه. لقد عاد طير الحرب إلى التحليق من جديد، إلى أكل الفضلات، ولا شيء من هذا يهمّ، لأن مَن سيصدِّق عجوزاً خرفاً مثلي؟".

"سيد يورغنسن، أبي مات من نوبة قلبية. خُثار. مات تقنياً أربع مرات قبل أن يموت فعلياً للمرة الأخيرة. كان قد أجرى جراحة فتح مجرى جانبي للشريان التاجي. رأب الوعاء. وكان هناك جهازان لتنظيم ضربات القلب في صدره عندما سقط أخيراً. لم يكن أحدٌ عنيداً أكثر منه عندما يتعلق الأمر بالموت. ولم يمت خائفاً أو متألماً. بل تقبَّله. لم يتصرّف كأنه...". كرِهتُ أنني اضطررتُ إلى البحث عن كلمة ملائمة، "... مسكون بالأشباح".

"أجل"، قال يورغنسن. كانت هناك إمارة *قبضتُ عليك متلبساً* في عينيه، ما وراء الدموع التي كان يصدّها ببسالة. رجال جيله لم يكن يُفترَض بهم أن يبكوا، أبداً. "لكنك قلتَ للتو إنه لم يكلِّمك عن الحرب أبداً، أليس كذلك؟".

"ومع ذلك فقد كلَّمتَني عن طير الحرب". لم يكن يمازحني على طريقة جَدّ غريب الأطوار. كان جدّياً جداً، والإقرار كلَّفه انقباضات عاطفية في أحشائه، ملفوفة ببعضها ومباعَدة بغير أناقة للتفحّص. سواء

سفر أم خطر

كنتُ جديراً بالثقة أم لا، فقد سقطتُ في تلك الحفرة الغريبة التي تسمح للأشخاص بكشف أسرارٍ للغرباء لن يكشفوها أبداً لأقرب المقرّبين إليهم. لديَّ شرحٌ. بدا من الظلم الآن فرض شروط مسبقة بمفعول رجعي.

"أجل، كلّمتُك عنها"، قال، وقد عاد إلى رشده. "كان هذا غباءً مني. آسف أيها الشاب. آسف لأبيك، وآسف لرمي هذا عليك. تبدو شاباً نزيهاً. وكنتُ لأفتخر أن أحارب إلى جانبك. لكن رجاءً لا تدع هذه الحماقة تجعلك متغطرساً. أنا تخطيتُ ذلك. وقد وصلتُ إلى نهاية دربي وأسمع أشياء بين الحين والآخر، والمضحك هو أن سمعي ليس جيداً حتى. يمكن للشيخوخة أن تكون عاملاً محرِّراً".

في وقت لاحق من ذلك المساء، وَضَع بْرَتّ يورغنسن فوهة مسدس لوغر ألماني عتيق تحت ذقنه وفجَّر الجهة الخلفية لرأسه بطلقة مجوَّفة عيار تسعة ملليمتر.

كنتُ قد تركتُه لوحده ليفعل ذلك. قدّمتُ أعذاري، ودّعتُه، ووعدتُه بصدق أن أبقى على اتصال به. أدركتُ أنني تخلّيتُ عنه.

مما استطعتُ أن أستخلصه لاحقاً، كان يملك ذلك المسدَّس لأكثر من نصف قرن.

كان بْرَتّ يورغنسن، الرجل الذي تكلّمتُ معه للتو، إبن مهاجِرَين من أوسلو، النروج. إسمه الوسطي إيريك. بعد الحرب، تخرَّج بشهادة في العلوم السياسية من جامعة ميزوري، بفضل قانون إعادة دمج الجنود في المجتمع. تزوَّج مرتين، وأنجب ثلاثة أولاد. سيكون نعيه سريعاً. عمل في شركة سمسرة وتقاعد بمبلغ محترم. أسلوبه البسيط في الكلام كان خدعة في الأغلب. لا أحد اكترث كثيراً إلى أنه خاطَر بحياته يومياً ليرمي نيرانه

على آلة حرب المحور. منذ العام 1939 وهو يدخّن علبتَي سجائر كل يوم ولم يُصب بأي أثر للسرطان.

يبدو أنه أجرى عدة محاولات لكتابة رسالة انتحار وحرقها كلها في منفضة ضخمة شفقةً على الذات. بالقرب من المنفضة وأعقاب السجائر كان هناك إطار بيوتر فيه صورة فوتوغرافية لتيريزا، زوجته الأولى، حبّه الكبير في زمن الحرب، فتاته في الوطن. دفنها في العام 1981 بعدما أزال الأطباء ورماً بحجم كرة طائرة مفرَّغ منها الهواء من أحشائها. وخلافاً للاعتقاد الشعبي، انغرم مرة أخرى ودفن زوجته الثانية، ميليسنت، في نهاية المطاف في المقبرة نفسها في نيوجيرسي.

لم يحصل على مسدس اللوغر كغنيمة من العدو. فقد حارَب يورغنسن ألمانيا نظرياً لكنه لم ير نازيّاً أبداً، ما عدا ربما مرة واحدة عندما أقسَمَ أنه لمحَ وجهاً، يبتسم خلف نظّارات واقية وخوذة طيران جلدية، يُطلق رشقات رصاص عيار عشرين ميلليمتراً على رأسه مباشرة، على ارتفاع أربعة آلاف وخمسمئة متر، وتاه في السُحُب الغريبة. كانت تلك المهمة رقم ستة، ساحة السكك الحديدية في بريمن. أو ربما تلك الرحلة كانت إلى مَصنع ذخائر في هامبورغ. أو نوع آخر من المَصانع، شيء من هذا القبيل.

لم يظن أبداً أنه سيعيش حتى الشيخوخة. ومع ذلك فهذا كل ما كانوا يتكلّمون عنه، وقد تقطَّعت بهم السبل في شيبدام، ينفّذون مهام طيران: تزوَّج تلك الفتاة في الوطن. أنشئ تلك العائلة. انحَت تلك القطعة من الفطيرة الحمراء والبيضاء والزرقاء. اصمد لتحقّق كل ذلك.

لم يثق بأي سياسي منذ كينيدي. تذكَّر غضب العالم يتوحَّد حول حادثة الاغتيال تلك، ولا ينسى أبداً أين كان وماذا كان يفعل عندما

سمِع الخبر. أما اليوم، فكل ما يعرفه الناس هو أن كينيدي كان أشبه بنكتة شهوانية قذرة. فضيحة دنيئة؛ تشهير علني. تباً، كان جون ف. كينيدي بطل حرب. وإذا كانت الحركة التصحيحية في التاريخ حقيقية، فماذا كان يورغنسن يحارب ليحافظ عليه وقتها؟ لقد شاهد تلك الرسوم المتحركة، المعنونة *لقد التقينا العدو وهو نحن*، وفكَّر في سرّه، *أتمنى لو أعرف متى جرى ذلك اللقاء، لأنه فاتني*. كان عَلَم بلده لا يزال هو نفسه، لكنه رأى العديد من الرجال والنساء، منافِقون كلهم، يقفون أمام ذلك العلم ويكذبون. حتى شهادته في العلوم السياسية بدت خدعة وحشية، تسمح له أن يلحظ الكثير، وتوقّف عن دعم فكرة المحاربة لصالح دولة لم يعد يبدو أن لديه أي مكان شرعي فيها.

لقَّن المسدَّس عند الثالثة والنصف فجراً، لوحده في وكره، على بُعد سبعة أمتار من المكان الذي شربنا فيه القهوة. كان يعرف أصوات الطائرات المقاتِلة في الجو، طائراتنا وطائراتهم. وما كان يسمعه عندها لم يكن مروحية شرطة أو شاحنات نصف مقطورة تزحف بين الولايات. لكي يكون متأكداً، أخرج جهاز مساعدته على السمع وكل ما بقي كان زعيقاً ليس آتياً من أي نوع من الطائرات، ليس حتى ستوكا قاذفة.

أعرف أن هذا تكهّنٌ، لكن يمكنني رؤية المشهد الآن، نقياً مثل كؤوس ذات أعناق غالية الثمن: عجوزٌ ينزع جهاز مساعدته على السمع فيصمت العالم. تتوقف ساعة رف الموقد عن التكتكة، يزول العالم الخارجي، يتوقف صرير الألواح الخشبية لمنزله عن تعكير هدوء الليل، ويبقى لوحده مع صوت طير الحرب. يُنهي كوب شرابه، يُطفئ سيجارته، ويضغط الزناد بعينين مُغمضتين بلا دموع، آملاً أن تتفّهمه أخته وتسامحه. يصدر صوتٌ صاخبٌ، وتنسكب الحرب من رأسه.

مجرد عجوز خرِف آخر يدمّر ذاته.

ما عدا أنه يمكنني الآن سماع الأصوات أيضاً. أصوات لا يمكن الخلط بينها وبين أي شيء آخر. الآن أرى أشكالاً سوداء غريبةً في سماء الليل. جائعة، لا تزال غير مُتخَمة، تعود من أجل المزيد.

الآلة الطائرة

راي برادبُري

بعد بداية مُبكرة في تأليف قصص رعب قصيرة فعّالة (وشنيعة أحياناً)، مثل Small Assassin [القاتل الصغير] وThe Emissary [المبعوث]، كبُر راي برادبُري ليصبح أحد عمالقة روايات الخيال في القرن العشرين. ألّف رواية كلاسيكية واحدة، Something Wicked This Way Comes [شيء ما شرير يأتي من هذا الطريق]، وتدور أحداث قصصه في غرينتاون، إيلينوي، وتنافس قصص شيروود أندرسون عن واينزبورغ، أوهايو. لكن برادبُري يأخذنا في هذه الحكاية إلى الصين القديمة، ويرسِّم بوضوح الجهة المظلمة للطيران في 1,500 كلمة فقط. "إليكم رجلاً صنعَ آلةً معيَّنةً"، قال الإمبراطور، "ومع ذلك يسألنا ما الذي اخترعه. هو نفسه لا يعرف". قصة أمبروز بِيرس "الآلة الطائرة" ساخرة؛ بينما قصة برادبُري مَجازية، وتطرح سؤالاً بسيطاً بشكل مخادع: هل نفهم مضامين الأشياء التي نخترعها؟ وهناك سؤال ضمني آخر: بعدما يُخترَع أحد الأشياء، هل يمكن إلغاء اختراعه؟

في السنة 400 ميلادية، صانَ الإمبراطور يوان عرشه من خلال سور الصين العظيم، وكانت الأرض خضراء بالمطر، تجهِّز نفسها للحصاد، تنعم بالسلام، والشعب تحت سلطانه ليس سعيداً جداً ولا حزيناً جداً.

في الصباح الباكر لأول يوم في أول أسبوع من ثاني شهر في السنة الجديدة، كان الإمبراطور يوان يشرب الشاي ويهوّي لنفسه في نسيم

دافئ عندما رَكَض خادمٌ على البلاط القرمزي والأزرق للحديقة وهو يصرخ، "أيها الإمبراطور، أيها الإمبراطور، إنها أعجوبة!".

"نعم"، قال الإمبراطور، "الهواء عذب هذا الصباح".

"لا، لا، أعجوبة!"، قال الخادم وهو ينحني بسرعة.

"وهذا الشاي لذيذ في فمي، بالتأكيد هذه أعجوبة".

"لا، لا، سموّك".

"دعني أتكهّن إذاً - لقد أشرقت الشمس وبدأ يوم جديد. أو البحر أزرق. هذه الآن أفخر الأعاجيب كلها".

"سموّك، هناك رجل يطير!".

"ماذا؟"، توقف الإمبراطور عن التلويح بمروحته.

"لقد رأيتُه في الجو، رجل يطير بأجنحة. سمِعتُ صوتاً في السماء، وعندما رفعتُ نظري، كان هناك، تنين في السماوات ورجلٌ في فمه، تنين من ورق وخيزران، بألوان الشمس والعشب".

"الوقت مُبكر"، قال الإمبراطور، "وقد استيقظتَ للتو من حلمٍ".

"الوقت مُبكر، لكنني رأيتُ ما رأيتُه! تعال، وستراه أنت أيضاً".

"اجلس معي هنا"، قال الإمبراطور. "اشرب بعض الشاي. لا شك أنه شيء غريب، إذا كان حقيقياً، رؤية رجل يطير. يجب أن تفكّر في المسألة لبعض الوقت، حتى بينما أحضّر نفسي للمنظر".

شربِا الشاي.

"رجاءً"، قال الخادم أخيراً، "وإلا سيختفي عن الأنظار".

نهض الإمبراطور بتبصّر. "يمكنك الآن أن تُريني ما رأيتَه".

دخلا حديقةً، اجتازا مَرجاً عشبياً، سارا فوق جسر صغير، وعبرا بستان أشجار، وصعدا تلة صغيرة جداً.

سفر أم خطر

"هناك!"، قال الخادم.

نظر الإمبراطور إلى السماء.

وفي السماء، يضحك على ارتفاع عالٍ لدرجة أنه بالكاد يمكنك سماع ضحكه، كان رجلٌ؛ وكان الرجل يرتدي أوراقاً ساطعةً ويُمسك قصبات على شكل أجنحة وله ذيل أصفر جميل، ويحلِّق مثل أكبر طائر في كونٍ من الطيور، مثل تنين جديد في أرض تنانين قديمة.

ناداهما الرجل من فوق في رياح الصباح الباردة. "إنني أطير، أطير!".

لوَّح له الخادم. "نعم، نعم!".

لم يتحرَّك الإمبراطور يوان. بل نظَرَ إلى سور الصين العظيم الذي بدأ يظهر الآن من الرذاذ البعيد على التلال الخضراء، إلى تلك الأفعى الرائعة من الأحجار التي تتلوَّى بجلال على الأرض كلها. ذلك الجدار المدهش الذي حماهم منذ الأزل من حشود الأعداء وحافظ على السلام لسنوات غير معدودة. رأى البلدة، التي يحتضنها نهر وطريق وتلة، تبدأ بالاستيقاظ.

"أخبِرني"، قال لخادمه، "هل رأى أحدٌ غيرك هذا الرجل يطير؟".

"أنا الوحيد، سموّك"، قال الخادم وهو يبتسم للسماء ويلوِّح بيده.

راقَب الإمبراطور السماوات لدقيقة أخرى ثم قال، "ناده لينزل".

"يا هذا، انزل، انزل! الإمبراطور يريد رؤيتك!"، نادى الخادم وقد كوَّر يديه حول فمه ليوصل صوته.

ألقى الإمبراطور نظرة سريعة في كل الاتجاهات بينما نزل الرجل الطائر على رياح الصباح. رأى مُزارعاً، بكَّر في القدوم إلى حقوله، يراقب السماء، ولاحَظ أين وَقَف المُزارع.

حطَّ الرجل الطائر مع حفيف الورق وصرير قصبات الخيزران. اقترب بفخر من الإمبراطور، وقد بدا أخرق في آلته، وانحنى أخيراً أمام العجوز.

"ماذا فعلتَ؟"، سأل الإمبراطور.

"حلَّقتُ في السماء، سموّك"، ردَّ الرجل.

"ماذا فعلتَ؟"، قال الإمبراطور مرة أخرى.

"لقد أخبَرتُك للتو!"، صاح الرجل الطائر.

"لم تُخبرني أي شيء على الإطلاق". مدَّ الإمبراطور يداً نحيلة ليلمس الورق الجميل وعارضة الألة التي تشبه العصفور. كانت تعبق برائحة الرياح الباردة.

"أليست جميلة، سموّك؟".

"نعم، جميلة جداً".

"إنها الوحيدة في العالم!"، ابتسم الرجل. "وأنا مخترعها".

"الوحيدة في العالم؟".

"أُقسِم لك!".

"مَن غيرك يعرف عنها؟".

"لا أحد. ولا حتى زوجتي، التي ستظنّ أنني مجنون من الشمس. ظنَّت أنني أصنع طائرة ورقية. نهضتُ في الليل وسرتُ إلى الجروف الصخرية بعيداً. وعندما هبَّ نسيم الصباح وأشرقت الشمس، استجمَعتُ شجاعتي، سموّك، وقفزتُ عن الجرف الصخري. طرتُ! لكن زوجتي لا تعرف ذلك".

"هذا لصالحها إذاً"، قال الإمبراطور. "تعال معي".

ساروا عائدين إلى المنزل العظيم. كانت الشمس مكتملة في

السماء الآن، ورائحة العشب منعشة. توقف الإمبراطور والخادم والرجل الطائر في الحديقة الضخمة.

صفَّق الإمبراطور بيديه. "أيها الحرّاس!".

أتى الحرّاس يركضون.

"اقبضوا على هذا الرجل". قبض الحرّاس على الرجل الطائر. "ونادوا الجلاّد"، قال الإمبراطور.

"ما هذا!"، صاح الرجل الطائر، مرتبِكاً. "ماذا فعلتُ؟". بدأ يبكي، فراحت الآلة الورقية الجميلة تُصدر حفيفاً.

"إليكم رجلاً صنعَ آلةً معيَّنةً"، قال الإمبراطور، "ومع ذلك يسألنا ما الذي اخترعه. هو نفسه لا يعرف. من الضروري فقط أن يخترع، دون أن يعرف لماذا فعل ذلك، أو ماذا سيفعل هذا الشيء".

أتى الجلاّد يركض حاملاً فأساً فضيةً حادّةً. وَقَف جاهزاً بذراعيه العاريتين المفتولتَي العضلات ووجهه المُغطى بقناع أبيض ساكن.

"لحظة واحدة"، قال الإمبراطور. استدار إلى طاولة قريبة جلست عليها آلة اخترعها بنفسه. أخذ الإمبراطور مفتاحاً ذهبياً صغيراً جداً من عنقه، وأدخله في الآلة المُرهَفة الصغيرة جداً وبرمه. ثم شغَّل الآلة.

كانت الآلة حديقة معادن وجواهر. عندما بدأت تعمل، راحت طيور تزقزق على أشجار معدنية صغيرة، وذئاب تجتاز غابات منمنمة، وأشخاص صغار يتنقّلون بين الشمس والظل وهم يبرّدون أنفسهم بمراوح منمنمة، ويستمعون إلى طيور صغيرة من الزُمرُّد، ويقفون قرب نوافير صغيرة إلى حد لا يُصدَّق لكن رنّانة.

"أليست جميلةً؟"، قال الإمبراطور. "إذا سألتني ما الذي فعلتُه هنا، يمكنني أن أجيبك جيداً. لقد جَعَلتُ الطيور تغنّي، والغابات

تهمس، وأشخاصاً يسيرون في هذه الغابة، يستمتعون بالأوراق والظلال والأغاني. هذا ما فعلتُه".

"لكن يا سموّ الإمبراطور!"، قال الرجل الطائر متضرِّعاً على رُكبتَيه والدموع تنهمر على وجهه. "لقد فعلتُ شيئاً مشابهاً! لقد وجدتُ جمالاً. وطرتُ على رياح الصباح. ونظَرتُ إلى كل المنازل والحدائق النائمة من أعلى. وشَمَمتُ البحر وحتى رأيتُه، ما وراء التلال، من مكاني المرتفع. وحلَّقتُ مثل طير؛ آه، لا يمكنني أن أعبِّر لك كم هو جميل التواجد فوق في السماء، والرياح من حولي وتدفعني إلى هنا مثل ريشة، وإلى هناك مثل مروحة، وكيف هي رائحة السماء في الصباح! وكيف يشعر المرء أنه حرّ! هذا جميل أيها الإمبراطور، جميل أيضاً!".

"نعم"، قال الإمبراطور بحزن، "أعرف أنه لا بدّ أن يكون صحيحاً. لأنني شَعَرتُ أن قلبي يتحرّك معك في الجو وتساءلتُ: كيف هو الشعور بالطيران؟ كيف تبدو الأحواض البعيدة من هكذا ارتفاع؟ ومنازلي وخدمي؟ مثل النمل؟ وكيف تبدو البلدات البعيدة التي لم تستيقظ بعد؟".

"اعفِ عني إذاً!".

"لكن هناك أوقات"، قال الإمبراطور بحزن أكبر، "على المرء فيها أن يخسر بعض الجمال إذا أراد أن يحافظ على الجمال القليل الذي يملكه من قبل. أنا لا أخشى منك، بل من رجل آخر".

"أي رجل؟".

"رجل آخر قد يراك ويصنع شيئاً من أوراق ساطعة وخيزران مثل هذا الشيء. لكن الرجل الآخر سيملك وجهاً شريراً وقلباً شريراً، وسيزول الجمال. أنا أخشى ذلك الرجل".

"لماذا؟ لماذا؟".

"مَن يمكنه أن يجزم أن هكذا رجل، في هكذا آلة مصنوعة من ورق وقصب، قد لا يطير يوماً ما في السماء ويرمي أحجاراً ضخمةً على سور الصين العظيم؟"، قال الإمبراطور.

لم يتحرَّك أحد أو ينطق بكلمة.

"اقطعوا له رأسه"، قال الإمبراطور.

لوَّح الجلاَّد فأسه الفضية.

"احرقوا الطائرة الورقية وجثة المخترع وادفنوا رمادهما معاً"، قال الإمبراطور.

انسحَب الخدم لتنفيذ الأوامر.

استدار الإمبراطور إلى الخادم الذي كان قد رأى الرجل يطير. "اِلزم الصمت. كل ذلك كان حلماً، حلماً حزيناً وجميلاً. وذلك المُزارع في الحقل البعيد الذي رآه أيضاً، أخبِره أن مصلحته تقتضي أن يعتبر ما رآه مجرد سراب. وإذا انتشر الخبر، ستموت أنت والمُزارع بعد ساعة".

"أنت رحوم يا سموّ الإمبراطور".

"لا، لستُ رحوماً"، قال العجوز. رأى الحرّاس وراء جدار الحديقة يحرقون الآلة الجميلة المصنوعة من ورق وقصب ورائحتها تعبق برائحة رياح الصباح. ورأى ألسنة الدخان الداكن تصعد إلى السماء. "بل فقط مرتبِك جداً وخائف". رأى الحرّاس يحفرون حفرة صغيرة جداً ليطمروا الرماد فيها. "ما قيمة حياة رجلٍ واحدٍ مقابل حياة مليون شخص آخر؟ يجب أن أعزّي نفسي بهذه الفكرة".

أخذ المفتاح من السلسلة التي حول عنقه وشغَّل الحديقة المنمنمة الجميلة مرة أخرى. وَقَف يتأمل الأرض عند السور العظيم، البلدة

المسالمة، الحقول الخضراء، الأنهار والجداول. تنهَّد. حرَّكت الحديقة الصغيرة آلاتها الخفية المُرهَفة وبدأت تعمل؛ سار أشخاصٌ صغارٌ في الغابات، وتبخترت وجوهٌ صغيرةٌ في الفسحات المشمسة اللامعة الجميلة، وتطايرت بين الأشجار الصغيرة ألحانٌ مرتفعةٌ وألوانٌ زرقاء وصفراء ساطعةٌ، تطايرت، تطايرت، تطايرت في تلك السماء الصغيرة.

"آه"، قال الإمبراطور وهو يُغمض عينيه، "انظروا إلى الطيور، انظروا إلى الطيور!".

زومبي في الطائرة

بَڤ فنسنت

نشر مساعِد قبطانك، بَڤ فنسنت، ما يزيد عن ثمانين قصة قصيرة وبضعة كتب غير خيالية، لكن هذه هي قصته الوحيدة حتى الآن التي تتضمن طائرات. استوحى عنوانها من فيلمٍ بطولة ساموِيل ل. جاكسون، لكنك لن تجد أي كنية من ثلاثة عشر حرفاً في الحكاية التالية. يا للروعة!

الشاب الذي يرتدي قميصاً تائياً لفرقة فيش الموسيقية أخبَر مايلز أنه يمكنه أن يقود أي طائرة، وإذا كان يكذب فإنهم كلهم في عداد الموتى. الأمر بهذه البساطة. قال الشاب - باري، الذي يبدو سنّه أصغر من ثلاثين سنة - إنه تدرَّب أن يكون طيّاراً "هناك"، حيث بدأ كل شيء، لكنه بخيل بالتفاصيل ويبدو كمتبجِّح خامل، أي أن كلامه من الصنف الذي يستخدمه أحدهم في مقصفٍ في وقت متأخر من الليل لكي يثير إعجاب النساء. طبعاً إذا كانت النساء لا يزلن يتسكَّعن في المقاصف.

"قال الكثيرون إن الحرب فكرة سيئة. كنتُ أدعمها في البدء"، قال باري مع هزّ كتفيه. "لم أتصوَّر أبداً أن الأمور ستؤول إلى ما آلت إليه". وهذا تبسيط إذا كان مايلز قد سمِع واحداً في حياته.

التقى مايلز بهذه المجموعة الصغيرة من الناجين - تسعة عشر ناجياً بالإجمال، بما في ذلك هو نفسه - في قاعة مدرسة مدينة

داخلية، مكانٌ ذو أبواب وأقفال قوية توفِّر حماية مؤقتة. بعدما أعلَن باري أنه يستطيع قيادتهم في الجو، عرضَ مايلز خطته العامة. هكذا بكل بساطة، أصبح قائدهم.

"سنذهب إلى مكان بعيد"، أخبَر أولئك المتحلِّقين حوله، من الواضح أنهم منجذِبون إلى هالة الثقة التي بناها خلال ثلاثين سنة في قسم المبيعات والإدارة الوسطى. "مكان سنكون آمنين فيه إلى أن ينتهي كل هذا". لم يسأل أحدٌ ماذا سيفعلون إذا لم ينته "هذا" *أبداً*.

بدا أن التوجّه إلى المطار هو أفضل خيار لديهم. لقد تم اجتياح المدينة، ومعظمها يحترق، والناس يُقتَلون في الشوارع. والذين لا يستهلكهم مهاجموهم ينهضون مرة أخرى بعد بضع ثوانٍ لينضموا إلى الجيش الشَرِه لغير الموتى. تمنى مايلز لو أن خطته لا تتكل على المهارات غير المبرهَنة لشابٍ يبدو كما لو أنه لم يعمل أبداً ليوم واحد في حياته.

لكن إذا كان الآخرون يريدون معاملته كقائد لهم، فسيكون قائداً، تباً. وفق توجيهاته، أغاروا على الكافيتيريا بحثاً عن طعام وحظيرة العمل بحثاً عن أدوات وأسلحة. ادّعى باري أيضاً أنه يمكنه تشغيل الحافلة المركونة بالقرب من رصيف التحميل إذا لم يجدوا المفتاح. لم يسأله مايلز إن تعلَّم هذه الخدعة "هناك" أيضاً، لكن باري يبرهن أنه على قدر المسؤولية. ربما هناك أمل في النهاية.

تُظهِر أداة قياس كمية الوقود في حافلة المدرسة القديمة أن أقل من رُبع الخزّان مليء. آخر محطة وقود عاملة في المقاطعة جفَّت منذ ستة أيام، وناقلات النفط الموعودة لم تأتِ أبداً. على الأرجح لن تأتي أبداً. لديهم ما يكفي من وقود للوصول إلى المطار - بالكاد - لكن إذا لم يتمكّن باري من اكتشاف كيفية تشغيل إحدى الطائرات، فسيكون قد

قُضي عليهم. سبعة عشر شخصاً تبعوه وباري إلى الحافلة مثل الجرذان خلف الزمّار.

الحافلة في حالة سيئة جداً، لكنها تعمل، طالما أنهم لا يقسون عليها. كلما دفعها باري إلى سرعة أعلى من خمسين كيلومتراً بالساعة، يُضيء ضوء المحرّك، لذا يخفّف ضغطه على دوّاسة الوقود. لا يمكنهم المجازفة بجعلها تتعطّل. لم يروا الكثير من تلك الفواحش خارج هاليفاكس، لكن لا مكان آمن. بإمكان أولئك الشياطين أن ينبثقوا في أي مكان وفي أي وقت، ولا تملك مجموعة مايلز إلا سكاكين وفؤوس للدفاع عن نفسها. فالرصاصات، مثل البنزين، سلعة نفيسة ونادرة.

لكن خمسين كيلومتراً بالساعة سرعة كافية. إذا كانت هناك طائرة تحوي ما يكفي من وقود نفّاثات لإيصالهم إلى حيث يقرّرون الذهاب، يمكنها انتظارهم بينما يسيرون بتثاقل على الطريق العام. عندما كان في مجال المبيعات الميدانية، قبل أن يجبروه على العمل وراء مكتب، كان مايلز يكره المسافة الطويلة إلى مطار ستانفيلد الدولي، لكنه سعيد اليوم بوضع مسافة بينه وبين المدينة.

لا توجد حركة مرور أخرى بقدر ما تستطيع أن تراه العين في الاتجاهين. مرّوا بمركبات معطّلة على جانب الطريق، لكن عندما أبطأوا ليتحقّقوا إن كان فيها أشخاص بحاجة إلى مساعدة، راحت الحافلة تلهث وتتحَوزق وتهدِّد بالتوقف. خفَّف باري السرعة إلى خمسين، وهي السرعة الوحيدة التي يبدو أنها سعيدة بها. ظنَّ مايلز أنه رأى رأساً ينبثق خلف مِقوَد سيارةٍ بعدما تجاوزوها، لكنه لم يكن أكيداً، ومن المعقول تماماً أنه أحدهم وليس شخصاً حقيقياً.

طرد النظرة الخاطفة السريعة الزوال من ذهنه. ربما كانت خدعة

ضوئية، في النهاية، وحتى لو لم تكن كذلك، لا يمكنهم إنقاذ الجميع ليس متأكداً حتى من أنه يمكنهم إنقاذ أنفسهم. لكن لا استسلام أبداً، هذا هو شعاره في الحياة. كانت معظم مبيعاته المُجدية هي تلك التي كان فيها الشخص الآخر يريد الشراء من منافسٍ وقد فاز به مايلز بفضل إصراره وشغفه.

تساءل ماذا سيجري بعد أن يقتل الزومبيون الجميع تقريباً. هل سيهيمون في الكوكب في مسعى عقيم عن الطعام إلى أن ينهاروا وهم يتلوّون على الأرض مثل لعبة طفل فرغت فيها البطاريات؟ سبعة مليار زومبي يبحثون عن الناجين المتبقيين القليلين من الجنس البشري؟

ثم هناك حقيقة أنه حتى ولو فرّت مجموعته، لن يعيشوا إلى الأبد. سيموتون كلهم في نهاية المطاف، وعندما يحصل ذلك، سيعيد الفيروس - أو مهما يكن - كل واحد منهم إلى الحياة كواحدٍ من تلك المخلوقات. كل ما يمكنهم فعله هو استباق المحتوم والأمل أنه في مكان ما هناك أشخاص يعملون على إيجاد حل. *لقد صمَدت البشرية لآلاف السنوات، وهذه الكارثة لن تبيدنا*، فكَّر مايلز في سرّه. *شخصٌ ما سيجد علاجاً لهذا البلاء. هذا ما يحصل دائماً*. هذا الاعتقاد هو ما يحرّكه. وإلا من الأفضل له أن يُحرق نفسه وينتهي من المسألة.

عندما وصلوا إلى المطار، طلب مايلز من الجميع التمسّك جيداً وأمَرَ باري أن يصدم الحافلة بالسور الذي يفصل مرأب السيارات عن المدارج. تطوّحت الحافلة إلى إحدى الجهتين بينما لفَّ السور نفسه مثل درع من زرد حول مخفِّف الصدمات والزجاج الأمامي، لكنهم نجحوا في العبور ووصلوا إلى المدرَج.

هناك عدة طائرات إيرباص وبوينغ مركونة عند المحطات، لكن

سفر أم خطر

باري اختار طائرة ركاب صغيرة، فهي كبيرة كفاية لتتّسع لهم لكنها صغيرة كفاية ليكونوا قادرين على الهبوط بها أينما يريدون، حتى على مدرجٍ ناءٍ مصممٍ لطائرة خاصة. كانت طائرة إمبراير ERJ-145 ذات مدى تحليق من 4000 كيلومتر على الأقل، وفقاً لباري. ربما أكثر قليلاً من ذلك، بما أنهم يحلّقون بوزن خفيف. ما يكفي لإبعادهم مسافةً جيدةً عن هنا.

لكن هنا تكمن المشكلة - إلى أين يجب أن يذهبوا؟ فتح باري باب الطائرة فنزلت مجموعة من الدرجات. دخل الطائرة وخرج بعد بضع دقائق حاملاً مجموعة خرائط ملاحية. نشرها مايلز على مقعد في الحافلة بينما كان باري وسائق سيارة أجرة سابق يدعى جيلبرت يعبثون بأسلاك شاحنة وقود ليشغّلوها ويقرّبوها من جناح الإمبراير.

انحنى ألفِي، الذي كان في حياة أخرى محلِّلاً مالياً، على ظهر المقعد. "ما رأيك بألاسكا؟".

"لا يمكننا التحليق كل تلك المسافة. يمكننا بلوغ لابرادور أو أونتاريو الشمالية".

"باردة جداً"، قالت تيري، مدرِّسة اليوغا السابقة، وهي تعانق نفسها. لم يتفاجأ مايلز، فهي بقيت تشتكي من كل شيء منذ أن انضمت إلى مجموعتهم.

"الثلج يُبطئهم"، قال حلاّق يدعى فيل.

حتى ولو كان ذلك صحيحاً، عليهم أن يذهبوا إلى مكان يمكنهم النجاة فيه، وربما حتى زرع بعض المحاصيل. أيضاً مكان يمكنهم البقاء فيه على اتصال ببقية العالم، لكي يعرفوا عندما تتحسَّن الأوضاع. لكن مايلز لم يشارك أفكاره مع الآخرين. فهو لا يريدهم أن يدركوا أنه غير

أكيد مثلهم تماماً.

"انظروا"، صاحت إميلي. إنها الأصغر سناً في مجموعتهم، مراهقة بالكاد نطقت كلمةً منذ أن ترَكوا المدينة، بل كانت تركّز على محاولة الاتصال بشخصٍ - بأي شخصٍ - عبر هاتفها الآيفون، عبر ضغط المفاتيح بإبهامَيها.

نظرَ مايلز في اتجاه ذراعها الممدودة. ظهرَ عدة زومبيين من محطة المطار، يسيرون بتثاقل نحوهم على المدرَج، تدفعهم غريزة بدائية.

باري وجيلبرت يُعيدان توضيب الخرطوم في شاحنة الوقود، لذا لا بد أنهما أنهيا المهمة. لذا أمسك مايلز رزمة الخرائط واندفع يركض على المدرج. "علينا أن نذهب"، صاح. "الآن".

رفع الرجلان نظرهما ورأيا الزومبيين قادمين في اتجاههم. قفز جيلبرت إلى خلف مِقوَد الشاحنة وقادها بعيداً عن الجناح.

"اصعدوا، كلكم"، صاح مايلز، فاندفع الآخرون دون الحاجة إلى مزيد من الحثّ، وحقائب ظهر مليئة بالطعام والمؤن تتدلّى من أكتافهم، ويمسكون أسلحة في أيديهم. قد يكون الزومبيون بطيئين، لكنهم لا يكلّون، وقد قطعوا حتى الآن نصف المسافة تقريباً بين المحطة والحافلة. بضع دقائق أخرى وسيصلون إليهم، ويبدأون بالتمزيق والقضاء على آخر وأفضل أمل لدى الإنسانية بالنجاة.

كان مايلز آخر من صعد إلى الطائرة، وهو يلهث ويحاول تجاهل الألم في ذراعه اليسرى. أغلق رجلان - يعتقد مايلز أنهما يدعيان ماتّ وتشَتْ - الباب بينما توجَّه باري إلى قُمرة القيادة. تطوَّع جيلبرت أن يكون مساعِد القبطان، رغم أنه لم يقُد طائرةً من قبل. حانت اللحظة، لحظة الحقيقة. إذا لم يستطع باري تشغيل هذا الشيء والإقلاع عن

الأرض، سيكونون قد حوصروا مثل سمك سردين في صفيحة.

مالَ مايلز إلى الوراء على مقعده وحاول تمالك أعصابه. عندما يُغمض عينيه ويركِّز، يهمد الألم الذي في صدره. لم تعد معه إلا ثلاث حبّات في العبوة البلاستيكية الصغيرة التي في جيبه الأمامي، واحتمالات عثوره على عبوة جديدة شبه معدومة، لذا فهو غير مستعدّ أن يبذِّر حبّة الآن. *سيزول هذا. سيزول هذا*. إنه شعار آخر من شعاراته.

نظرَ خارج النافذة. لقد وصل الزومبيون إلى الحافلة وراحوا يشمّون الباب المفتوح. سيتطوَّحون نحو الطائرة مرة أخرى بعد لحظة. *إنهم يعرفون أننا هنا*، فكَّر مايلز في سرّه. تراجع عن الكوّة البيضوية الصغيرة، فلم يرغب أن يقع تحت تأثير نظراتهم المخترِقة.

الركاب الآخرون ملتصقون بالنوافذ يشاهدون التقدُّم البطيء لكن الثابت. باب المقصورة مُغلق، لذا فهم بأمان في الوقت الحاضر. لكن ماذا لو قضمت المخلوقات جزءاً من عجلاتهم قبل أن يبدأوا التوجّه إلى المدرَج؟ أو ماذا لو كانوا أذكياء كفاية ليجدوا طريقة لدخول الطائرة – عبر مقصورة الأمتعة، ربما؟

لم تكد الفكرة تخطر بباله حتى سمع دوّياً قادماً من الجانب السفلي للطائرة. ذكَّره ذلك بصوت الحمّالين يفتحون أبواب مقصورة البضائع أو يغلقونها.

"علينا أن نتحرّك"، صاح، على أمل أن يسمعه طيّارهم المفترَض. صلّى ألا يكون باري جالساً في قُمرة القيادة يحدِّق ببلاهة في كل تلك الأدوات والبدّالات متسائلاً أيها هو مفتاح الإشعال.

دوّي آخر، قوي كفاية هذه المرة لجعل هيكل الطائرة يتمايل.

"لم يعد يمكنني رؤيتهم"، قال ألفِي. "إنهم تحت الطائرة".

"كم عددهم؟" سألت تيري بصوتٍ بالكاد كان أكثر من همسٍ.

"ثمانية، ربما عشرة"، قال ألفِي. "المزيد في طريقهم إلينا".

نظرَ مايلز خارج كُوَّة النافذة مرة أخرى. هناك مجموعة ثانية من الزومبيين تجتاز المدرَج، تضم أربعين أو خمسين زومبياً قوياً على الأقل.

"ما الذي يؤخّره إلى هذا الحدّ؟"، تمتم مايلز. أخذ نَفَساً عميقاً، وقيَّم الضيق في صدره وقرَّر أن التحرّك لن يقتله. بالإضافة إلى ذلك، إذا لم يحلّقوا في الجو قريباً، فإن نوبةً قلبيةً ستكون أقل مخاوفهم.

اندفع عن مقعده وتوجَّه نحو قُمرة القيادة. رأى عبر الباب باري ينقف بدّالات بينما جيلبرت يقرأ تعليمات من ورقة على لوح مشبكي.

"هل يمكنك جعل هذا الشيء يحلّق أم لا؟"، سأل مايلز وهو يخشى الجواب.

"بالطبع"، قال باري. رفعَ جيلبرت نظره عن لائحة التدقيق وهزّ كتفيه.

مزيد من الدوّي تحت قدمَي مايلز. "الآن هو وقت مناسب للتحليق. التعزيزات قادمة – لكن ليس لنا".

أومأ باري برأسه، ولوَّح بيده لجيلبرت، ونقفَ بضعة بدّالات أخرى. "اللعنة على لائحة التدقيق"، قال. "يمكنني أن أفعل هذا بمفردي". ارتعشت الطائرة الصغيرة بينما زأر محرّكٌ مشتغلاً ثم المحرّك الآخر. استطاع مايلز الشعور بالطاقة تتراكم، الطاقة الكامنة التي سترفعهم عن الأرض وتأخذهم إلى... أين؟ بسبب الذعر والإرباك، لا يزال لم يختر وجهةً. يتوقع منه الآخرون أن يقرِّر عنهم.

"فقط أخرجنا من هنا"، قال لباري.

دفع باري رافعةً وبدأت الطائرة تسير إلى الأمام. "آمل ألا يُشفَط

أحد تلك الأشياء إلى داخل المحرّك"، تمتم.

أصبح الدويّ تحت الطائرة بلا توقف الآن. لا يمكنهم فعل أي شيء بشأنه، لذا رفضَ مايلز أن يقلق. إذا تمكّن أحدهم من دخول مقصورة الأمتعة، سيتعاملون مع ذلك بعدما يصبحون في الجو. لا تزال الفؤوس والسكاكين معهم. ومعظمهم استطاع الانضمام إلى هذه المجموعة لأنهم يعرفون كيف يصدّون تلك المخلوقات.

مع ازدياد سرعة الطائرة، خفت الدويّ، ثم توقف. حاول مايلز أن ينظر إلى خلف الطائرة، لكن الرؤية خارج النافذة الصغيرة محدودة. كل ما يمكنه أن يراه هو المجموعة الثانية من الزومبيين يقفون على المدرَج، يحدِّقون فيهم كأنهم مجموعة مودّعين يقولون "رحلة موفّقة".

أخذ نَفَساً عميقاً. "هل شدَّ الجميع حزام الأمان؟"، سأل. "نحن على وشك الإقلاع". أملَ أن يكون ذلك صحيحاً، وأنهم ليسوا على وشك الاندفاع خارج نهاية المدرَج نحو الأشجار التي بعده. إذا حصل ذلك، فإن أفضل سيناريو يمكن أن يحصل هو أن تندلع النيران في الطائرة وتقضي عليهم. هذا سيضع حدّاً لبؤسهم، على الأقل.

جلس الآخرون على مقاعدهم وشدّوا أحزمتهم. تساءل مايلز إن كان عليهم أن يقلقوا بشأن توزيع الوزن، لكن باري لم يذكر أي شيء عن ذلك، وقد بدا حتى الآن أنه يعرف ماذا يفعل. رفعَ المخططات الملاحية. عليه أن يقرِّر قريباً.

ارتعشت الطائرة إلى اليسار ووقفت. لقد وصلوا إلى بداية المدرَج. هدرَت المحرّكات واندفعت الطائرة إلى الأمام، وراحت تتسارع بسرعة. مرَّت الأشجار بسرعة كبيرة خارج النوافذ. مال مايلز إلى الوراء، بانتظار أن ترتفع مقدمة الطائرة عن الأرض، وقد فعلت ذلك بالضبط بعد

بضع ثوانٍ. ضغطته الجاذبية على مقعده بينما وثبَت الطائرة في الجو، بفعل الدفع غير المرئي للهواء الذي تحت جناحيها. سقطت كل مشاكل العالم تحتهم. إذا استطاعوا البقاء في الجو إلى الأبد، سيكون ذلك ممتازاً.

استوت الطائرة بعد بضع دقائق. بسبب العادة، ركَّزت عينا مايلز على إشارة حزام الأمان، لكن باري ليس قلقاً على الأرجح بشأن التفاصيل الدقيقة للسفر الجوي التجاري. فكَّ حزام أمانه وأعاد تركيز انتباهه على المخططات. ربما يجدر به أن يُغمض عينيه ويضع إصبعه على بقعة عشوائية. ليست لديه أي معلومات لتساعده في قراره. هل هناك أماكن لم يصلها الوباء بعد؟ جزيرة، ربما، مثل آيسلندا، التي هي ضمن مدى تحليقهم بشكل مريح؟ ربما يستطيع باري التقاط شيء على جهازهم اللاسلكي.

لديه فرصة واحدة فقط للنجاح في هذا. وقد أرعبته الحاجة الماسّة إلى اختيار وجهةٍ قبل أن يستهلكوا كمية كبيرة من الوقود. *لماذا يتوقعون مني اتخاذ كل القرارات؟ كل ما أريد فعله هو النوم*، فكَّر في سرّه. *أنا مُتعَب جداً.*

الوزن يضغط على صدره مرة أخرى، نفس الإحساس الذي شَعَر به خلال الإقلاع. لكنه لا يجب أن يشعر بضغط التسارع الآن – فقد أصبحوا عند ارتفاع التحليق المناسب، وهذا ارتفاع عالٍ كفاية لتخفيف احتكاك الهواء من حولهم وتكبير مدى تحليقهم إلى الحد الأقصى. حاول أن يأخذ نَفَساً عميقاً، لكن صدره انقبض. فجأة لم يعد بإمكانه أن يلتقط أنفاسه – الثقل كبير لدرجة أن رئتَيه ترفضان أن تتمدَّدا.

سفر أم خطر

الآخرون يحدِّقون خارج النوافذ، كأنهم زومبيون. لا يوجد شيء لرؤيته، فقط السُحُب والنظرة الخاطفة العَرَضيّة للأرض تحتهم. *إنهم يتساءلون على الأرجح ما الذي ينتظرهم*، فكَّر في سرّه. *ماذا سنجد عندما نهبط.*

لم يعد مايلز يهتمّ. فهو يعرف ما الذي ينتظرهم، ولا يوجد شيء يمكنه أن يفعله بشأن ذلك. الألم المبرح يشلّ حركته. لا يمكنه الوصول إلى العبوة البلاستيكية في جيب بنطلونه، أو إصدار أي صوت ليلفت انتباه أي شخص. بدأت أنفاسه تصبح شهقات قصيرة. والضغط في صدره يتزايد، مثل جدار ماء وراء سدّ على وشك أن ينفجر.

أملَ أن يكون الآخرون جاهزين عندما يبدأ بمطاردتهم. تساءل ما إذا كان الزومبيون يشعرون بالألم. *لا يمكن أن يكون الألم أسوأ من هذا. أليس كذلك؟*

لن يشيخوا

روالد دالْ

رغم أنه مشهور أكثر بكتبه للأطفال - تشارلي ومَصنع الشوكولا و جايمس والخوخة العملاقة، والعديد غيرها - كان دالْ أيضاً كاتب قصص قصيرة موهوباً. أشهَر حكايته قد تكون Lamb to the Slaughter [حملٌ إلى الذبح]، التي تطبخ فيها امرأةٌ الساق المتجمِّدة لحملٍ قَتَلت زوجها بها، ثم تُطعمها للشرطة. كان دالْ طيّاراً مقاتِلاً في الحرب العالمية الثانية، وقد نجا من حادثة تحطّمٍ كما أسقَط عدة طائرات للعدو، من بينها طائرتَي يونكرز 88 على الأقل. كان يقود طائرة هوكر هوريكاين تماماً مثل تلك التي يقودها فِن في هذه القصة، التي نُشرت أصلاً في مجلة لايديز هوم جورنال قُبيل نهاية الحرب.

جلس كلانا خارج الحظيرة على صناديق خشبية.

كان الوقت ظهراً، والشمس مرتفعة وحرارتها أشبه بحريق قريب، والجو خانقٌ أكثر من الجحيم هناك قرب الحظيرة. يمكننا الشعور بالهواء الساخن يلفح رئتينا داخل جسمَينا عندما نتنفَّس ووجَدنا أنه من الأفضل تقريباً لو نُغلق شفتَينا ونأخذ نَفَساً سريعاً؛ سيكون ذلك أكثر برودة لنا. كانت الشمس على كتفَينا وظهرَينا، وطوال الوقت العرق يتسرَّب من بشرتَينا، ويتقطَّر على عنقَينا، وفوق صدرَينا ونزولاً على مِعْدتَينا. تجمَّع تماماً حيث كانت حزامانا مشدودين حول أعلى سروالَينا وتصفَّى بسبب شدّة ربط حزامَينا حيث الرطوبة غير مريحة جداً مما سبَّب حرارة شائكة على البشرة.

كانت طائرتانا الهوريكاين تقفان على بُعد بضعة أمتار قليلة عن بعضهما، وقد اعتمدت كل واحدة منهما نظرة الصبر المعتدّة بنفسها تلك التي تعتمدها الطائرات المقاتِلة عندما لا يعمل محرّكها، وما وراءهما ينحدر الشريط الأسود الرفيع للمدرَج نحو الشواطئ ونحو البحر. راح السطح الأسود للمدرَج ذو الرمل العشبي الأبيض على جهتَيه يتلألأ في الشمس. وانتشر الضباب الناتج عن الحرارة مثل بخار فوق المهبَط.

نظَرَ الأيل إلى ساعته.

"يجب أن يكون قد عاد الآن"، قال.

كان كلانا جاهزين، نجلس هناك بانتظار صدور الأوامر. حرَّك الأيل قدمَيه على الأرض الساخنة.

"يجب أن يكون قد عاد الآن"، قال.

لقد مرَّت ساعتان ونصف منذ رحيل فِن وبالطبع يجب أن يكون قد عاد الآن. رفعتُ نظري إلى السماء ورحتُ أُنصِت. كانت هناك ضجة الطيّارين يتكلَّمون بجانب عربة الوقود، وكذلك الارتطام الخافت لأمواج البحر بالشواطئ؛ لكن لم يكن هناك أثر لأي طائرة. بقينا جالسَين لبعض الوقت دون أن ننطق بكلمة.

"يبدو أنه تلقّى إصابة"، قلتُ.

"أجل"، قال الأيل. "يبدو هذا".

نهض الأيل ووضع يديه في جيبَي شورته الكاكي. نهضتُ أيضاً. وَقَفنا ننظر شمالاً إلى السماء الصافية، ورحنا ننقِّل قدمَينا على الأرض بسبب نعومة القطران وبسبب الحرارة.

"ما كان إسم تلك الفتاة؟"، قال الأيل دون أن يُدير رأسه.

"نِكي"، أجبتُه.

سفر أم خطر

عاود الأيل الجلوس على صندوقه الخشبي وهو لا يزال يضع يديه في جيبَيه وأخفَض النظر إلى الأرض بين قدمَيه. كان الأيل أقدم طيّار في السِرب؛ فقد كان في السابعة والعشرين. شعره كثيف بلون الزنجبيل لا يسرّحه أبداً، ووجهه شاحب، حتى بعد كل ذلك الوقت في الشمس، ومُغطى بالنَمَش، وفمه عريض وكتوم جداً. لم يكن طويل القامة لكن كتفَيه تحت قميصه الكاكي عريضان وغليظان مثل كتفَي مُصارِع. كان شخصاً هادئاً.

"سيكون بخير على الأرجح"، قال وهو يرفع نظره. "وعلى أي حال، أودّ أن ألتقي بالفرنسي الفيشي الذي يمكنه إسقاط فِن".

كان في فلسطين يحارب الفرنسيين الفيشيين في سوريا. وكنا في حيفا، وثلاث ساعات قبل الأيل، تجهزّنا أنا وفِن. حلّق فِن بناءً على اتصال عاجل من البحرية قالت فيه إن مدمِّرتين فرنسيتين تُبحران من ميناء بيروت. الرجاء الذهاب حالاً ورؤية إلى أين تتّجهان، قالت البحرية. فقط حلِّق فوق الساحل وألقِ نظرة وعد بسرعة وأخبِرنا إلى أين تذهبان.

لذا حلَّق فِن في طائرته الهوريكاين. لكن الوقت مرّ ولم يعد. عرَفنا أنه لم يعد هناك أمل كبير بعودته. فإذا لم يتم إسقاطه، سيكون الوقود قد نفد لديه منذ بعض الوقت.

أخفَضتُ النظر ورأيتُ قبعة سلاح الجو المَلَكي الزرقاء الخاصة به ملقية على الأرض حيث رماها بينما رَكَض إلى طائرته، ورأيتُ بُقع الزيت فوق القبعة وأعلاها الملتوي الرثّ. من الصعب الآن التصديق أنه رحل. كان في مصر، في ليبيا، في اليونان. كان معنا على المهبَط وفي مطعم الجنود وطوال الوقت. كان مرِحاً وطويلاً ومليئاً بالضحك، ذاك

الفِن، وذا شعر أسود وأنف مستقيم طويل كان معتاداً أن يحكّه إلى الأعلى والأسفل برأس إصبعه. كانت لديه طريقة خاصة في الاستماع إليك بينما تُخبِر قصةً، فيميل إلى الوراء على كرسيه رافعاً وجهه إلى السقف لكن عينيه تنظران بازدراء إلى الأرض، وفقط ليلة أمس على العشاء حتى قال فجأة، "أتعرفون، أنا لا أمانِع أن أتزوّج نِكي. أعتقد أنها فتاة طيبة".

كان الأيل يجلس مقابله تلك اللحظة، يأكل فاصوليا مطهوة.

"تعني من وقت لآخر فقط"، قال.

كانت نِكي في ملهى في حيفا.

"لا"، قال فِن. "فتيات الملهى يشكّلن زوجات ممتازات. لا يكنَّ خائنات أبداً. فلا متعة لديهن في الخيانة؛ فذلك سيكون أشبه بالعودة إلى وظيفتهن القديمة".

رفع الأيل نظره عن طبق حبوبه. "لا تكن مغفَّلاً"، قال. "أنت لن تتزوَّج نِكي حقاً".

"نِكي"، قال فِن بجدّية كبيرة، "تأتي من عائلة ممتازة. إنها فتاة طيبة. لا تستخدم وسادةً أبداً عندما تنام. هل تعرف لماذا لا تستخدم وسادةً أبداً عندما تنام؟".

"لا".

راح الآخرون إلى الطاولة يُنصتون الآن. كان الجميع يُنصتون إلى فِن يتكلَّم عن نِكي.

"حسناً، عندما كانت يافعة جداً، كانت مخطوبة وتستعد للزواج من ضابط في البحرية الفرنسية. كانت تحبّه كثيراً. ثم ذات يوم عندما كانا يأخذان حمّام شمس معاً على الشاطئ، صدفَ أن ذكَر لها أنه لم

يستخدم وسادةً أبداً عندما ينام. كان فقط أحد تلك الأشياء الصغيرة التي يقولها الأشخاص لبعضهم البعض على سبيل الدردشة. لكن نِكي لم تنسَ ذلك أبداً. من تلك اللحظة وصاعداً، بدأت تتمرَّن على النوم من دون وسادة. وفي أحد الأيام دهست شاحنةٌ الضابط الفرنسي وقتلته؛ لكن رغم أن المسألة لم تكن مريحة جداً لها، إلا أنها لا تزال تنام من دون وسادة وفاءً لذكرى حبيبها".

ملأ فِن فمه بالحبوب وراح يمضغها ببطء. "إنها قصة حزينة"، قال. "وتُظهِر أنها فتاة طيبة. أعتقد أنني أودّ أن أتزوَّجها".

هذا ما قاله فِن ليلة أمس على العشاء. والآن رحل وأتساءل ما الشيء الصغير الذي ستفعله نِكي وفاءً لذكراه.

كانت الشمس حارّة على ظهري واستدرتُ غريزياً لكي أتلقى الحرارة على الجهة الأخرى من جسمي. بينما استدرتُ، رأيتُ الكرمل وبلدة حيفا. رأيتُ المنحدر الشاهق الأخضر الشاحب للجبل وهو ينحدر نحو البحر، ورأيتُ البلدة تحته والألوان الساطعة للمنازل تلمع في الشمس. كانت المنازل بجدرانها البيضاء تغطي جوانب الكرمل وكانت السقوف الحمراء للمنازل مثل طفح جلدي على وجه الجبل.

سائرون ببطء نحونا من الحظيرة ذات الحديد المموَّج الرمادي، أتى الرجال الثلاثة الذين كانوا الطاقم التالي الجاهز للتحليق. كانت سترات نجاتهم الصفراء متدلّية من أكتافهم وأتوا يسيرون ببطء نحونا، حاملين خوذاتهم في أيديهم.

عندما أصبحوا قريبين منا، قال الأيل، "فِن نال نصيبه"، وقالوا، "نعم، نعرف". جلَسوا على الصناديق الخشبية التي كنا نستخدمها، وفوراً كانت الشمس على أكتافهم وظهورهم وبدأوا يتصبّبون عرقاً.

ابتعَدتُ والأيل.

كان اليوم التالي يوم أحد، وحلّقنا في الصباح فوق وادي لبنان إلى مهبَط يدعى رياق. حلّقنا متجاوزين جبل حرمون الذي كانت قمته ترتدي قبعة من ثلج، وانخفَضنا خارجين من ضوء الشمس على رياق وعلى القاذفات الفرنسية على المهبَط وبدأنا هجومنا. أتذكَّر أننا عندما حلّقنا فوقهم، على ارتفاع منخفض فوق الأرض، بدأت أبواب القاذفات الفرنسية تُفتَح. أتذكَّر رؤية الكثير من النساء في فساتين بيضاء يركضن على المهبَط؛ أتذكَّر بالأخص فساتينهن البيضاء.

فقد كان يوم أحد وقد طلب الطيّارون الفرنسيون من سيداتهم من بيروت أن يعتنين بالقاذفات. فقد قال لهن طيّارو فيشي، تعالَين صباح الأحد وسنُريكنَّ طائراتنا. كان ذلك من الطباع النموذجية للفرنسيين المؤيّدين لحكومة فيشي.

لذا عندما كنا نُطلق النار، هرعن كلهنَّ وبدأن يركضن على المهبَط في فساتين الأحد البيضاء.

أتذكَّر سماع فرقة المانكي تغني على الراديو، "أعطهم فرصة، أعطهم فرصة"، واستدار السِرب بأكمله ودار حول المهبَط مرةً بينما النساء يركضن على العشب في كل اتجاه. تعثّرت إحداهن وسقطت مرتين وكانت واحدة منهن تعرج وهناك رجل يساعدها، لكننا أعطيناهما وقتاً. أتذكَّر رؤية الوميض الساطع لرشاشٍ على الأرض وكنتُ أقول لنفسي إن عليهم التوقف عن إطلاق النار على الأقل بينما كنا ننتظر أن تبتعد النساء ذات الفساتين البيضاء عن طريقنا.

حصل ذلك بعد يوم من رحيل فِن. وفي اليوم التالي، جلَستُ والأيل مرة أخرى جاهزين على الصناديق الخشبية خارج الحظيرة. كان

بادي، وهو فتى ضخم أشقر الشعر، قد أخذ مكان فِن ويجلس معنا.

كان الوقت ظهراً، والشمس مرتفعة وحرارتها أشبه بحريق قريب. راح العرق يسيل على أعناقنا، وإلى داخل قمصاننا، وفوق صدورنا ومِعْداتنا، وجلَسنا هناك ننتظر وقت إعفائنا. كان الأيل يخيط الحزام بخوذته بواسطة إبرة وقطن ويُخبرنا كيف أنه رأى نِكي ليلة البارحة في حيفا وكيف أنه أخبَرها عن فِن.

فجأة سمِعنا صوت طائرة. توقف الأيل عن الكلام ورفعنا نظرنا كلنا. كان الصوت آتياً من الشمال، وازداد صخبه أكثر فأكثر مع اقتراب الطائرة، ثم قال الأيل فجأة، "إنها هوريكاين".

في اللحظة التالية كانت تدور فوق المهبَط، وتُنزل عجلاتها لكي تهبط.

"مَن هذا؟"، قال بادي ذو الشعر الأشقر. "لم يخرج أحدٌ في مهمة هذا الصباح".

ثم عندما انزلَقت متجاوزةً إيانا إلى المدرَج، رأينا الرقم على ذيلها، H4427، وعرَفنا أنه فِن.

كنا ننهض الآن، نراقب الطائرة تسير على المدرج نحونا، وعندما اقتربت كفايةً واستدارت لكي تركن، رأينا فِن في قُمرة القيادة. لوَّح يده لنا، ثم ابتسم وخرَج. ركَضنا وصرخنا فيه، "أين كنتَ؟ أين كنتَ أيها اللعين؟ هل هبطتَ هبوطاً اضطرارياً وهربتَ مرة أخرى؟ هل وجدتَ امرأةً في بيروت؟ فِن، أين كنتَ أيها اللعين؟".

بدأ آخرون يقتربون الآن ويتحلّقون حوله، الفنّيون والمجهِّزون والرجال الذين يقودون سيارات الإطفاء، والكل ينتظر سماع ما سيقوله فِن. وَقَف هناك يخلع خوذته، ودفعَ شعره الأسود إلى الخلف بيده،

وكان مندهشاً من سلوكنا لدرجة أنه اكتفى بالنظر إلينا في البدء ولم يتكلَّم. ثم ضحِك وقال، "ماذا يجري؟ ما بالكم كلكم؟".

"أين كنتَ؟" صرَخنا. "أين كنتَ طوال يومين؟".

ارتسمت دهشةٌ هائلةٌ على وجه فِن. نظَرَ بسرعة إلى ساعته.

"الثانية عشرة وخمس دقائق"، قال. "لقد غادرتُ في الحادية عشرة، منذ ساعة وخمس دقائق. لا تكونوا مغفَّلين لعينين. عليَّ أن أذهب وأقدِّم تقريري بسرعة. ستريد البحرية معرفة أن تلك المدمِّرات لا تزال في الميناء في بيروت".

بدأ يبتعد؛ أمسكتُ ذراعه.

"فِن"، قلتُ بهدوء، "لقد غبتَ منذ ما قبل البارحة. ما خطبُك؟".

نظَرَ إليَّ وضحِك.

"لقد رأيتُك تنظِّم نكاتاً أفضل بكثير من هذه"، قال. "إنها غير مضحكة كثيراً. إنها غير مضحكة أبداً". وابتعَد.

وَقَفنا هناك، الأيل، پادي، أنا، الفنّيون، المجهِّزون، والرجال الذين يقودون سيارات الإطفاء، نراقب فِن يبتعد. نظَرَنا إلى بعضنا البعض، نجهل ماذا نقول، فلم نفهم شيئاً، لم نعرف شيئاً سوى أن فِن كان جدّياً عندما تكلَّم وأنه يصدِّق أن ما قاله هو الحقيقة. عرَفنا هذا لأننا كنا نعرف فِن، وعرَفناه لأنه عندما يكون المرء معاً مثلما كنا معاً، فلن يكون لديه أي شكّ أبداً في أي شيء يقوله أحدهم عندما يتكلَّم عن تحليقه؛ ولا يمكن أن يكون هناك شكّ لدى المرء إلا في ذاته. كان أولئك الرجال يشكّون في أنفسهم، يقفون هناك في الشمس يشكّون في أنفسهم، وكان الأيل يقف قرب جناح طائرة فِن ينزع بأصابعه رقائق صغيرة من الطلاء الذي جفَّ وتقشَّر في الشمس.

قال أحدهم، "آه، يا للروعة"، واستدار الرجال وبدأوا يسيرون بهدوء عائدين إلى أعمالهم. الطيّارون الثلاثة التاليون في صف الجهوزية أتوا يسيرون ببطء نحونا من الحظيرة ذات الحديد المموَّج الرمادي، يسيرون ببطء تحت حرّ الشمس ويلوِّحون خوذاتهم في أيديهم. الأيل ويادي وأنا ذهبنا إلى مطعم الطيّارين لتناول الغداء وبعض الشراب.

كان المطعم بناءً خشبياً أبيض صغيراً ذا شرفة، ويتضمن غرفتين، واحدة غرفة جلوس بأرائك ومجلات وفجوة في الجدار يمكنك أن تشتري شراباً من خلالها، والأخرى غرفة طعام تضم طاولة خشبية طويلة واحدة. في غرفة الجلوس وجَدنا فِن يكلِّم القرد، قائد وحدتنا. كان الطيّارون الآخرون جالسين يستمعون إليهما والجميع يشربون شراب الشعير. عرَفنا أن الحديث جدّي حقاً رغم شراب الشعير والأرائك؛ وأن القرد كان يفعل ما عليه أن يفعله وكان يفعله بالطريقة الوحيدة الممكنة. القرد رجل نادر، طويل القامة وذو وجه وسيم، وفي رِجله جرح رصاصة إيطالية، ويتميَّز بفعالية ودودة اعتيادية. لا يضحك بصوتٍ عالٍ أبداً، بل يختنِق وينخر عميقاً في حنجرته.

كان فِن يقول، "لا يجب أن تقسو عليَّ أيها القرد؛ يجب أن تساعدني على عدم اعتبار أنني فقدتُ عقلي".

كان فِن جدّياً وعقلانياً، لكنه كان قلقاً جداً.

"لقد أخبرتُك كل ما أعرفه"، قال. "أنني أقلعتُ عند الحادية عشرة، حلَّقتُ عند ارتفاع شاهق إلى بيروت، رأيتُ المدمِّرتين الفرنسيتين وعدتُ وهبطتُ عند الثانية عشرة وخمس دقائق. أُقسِم لك أن هذا كل ما أعرفه".

راح ينظر إلينا، إلى الأيل وإليَّ، إلى يادي وجوني والطيّارين الستة

الآخرين في الغرفة، وابتسمنا له وأومأنا برؤوسنا لنُظهر له أننا معه ولسنا ضده، وأننا نصدِّق ما قاله.

قال القرد، "ماذا سأقول للمركز الرئيسي في القدس؟ لقد بلَّغتُ أنك مفقود. وعليَّ الآن أن أبلِّغ عن عودتك. سيصرّون على معرفة أين كنتَ".

كانت المسألة بأكملها قد بدأت تُلقي ثقلها على فِن. كان يجلس مستقيماً، ينقر بأصابع يده اليسرى على الذراع الجلدي لكرسيه، ينقر نقرات حادّة سريعة، يميل إلى الأمام، يفكِّر، يفكِّر، يحاول جاهدا أن يفكِّر، ينقر على ذراع الكرسي، ثم بدأ ينقر الأرض بقدمه أيضاً. لم يعد الأيل قادراً على تحمّل ذلك.

"أيها القرد"، قال، "أيها القرد، دعنا ننسى الأمر قليلاً. دعنا ننساه وربما سيتذكَّر فِن شيئاً لاحقاً".

قال پادي، الذي كان يجلس على ذراع كرسي الأيل، "نعم، وفي غضون ذلك يمكننا إخبار المركز الرئيسي أن فِن هبط هبوطاً اضطرارياً في حقل في سوريا، واحتاج إلى يومين ليصلح طائرته، ثم حلَّق عائداً".

كان كل شخص يساعد فِن. كل الطيّارين يساعدونه. وفي ذهن كل واحد منا يقينٌ بأن هناك شيئاً يقلقنا كثيراً. كان فِن يعرف ذلك، رغم أن هذا هو كل ما يعرفه، والآخرون يعرفونه لأنه يمكن رؤيته على وجوههم. كان هناك توتّر شديد في الغرفة، لأنها المرة الأولى التي يكون فيها شيءٌ ليس رصاصات أو نيراناً أو سعال محرّكٍ أو عجلات مثقوبة أو دم في قُمرة القيادة أو البارحة أو اليوم، أو حتى الغد. شَعَر به القرد أيضاً، وقال، "نعم، دعونا نشرب جولة أخرى وننسى الأمر قليلاً. سأُخبِر المركز الرئيسي أنك هبطتَ هبوطاً اضطرارياً في سوريا وتمكّنتَ

من الإقلاع مرة أخرى لاحقاً".

شربنا بعض شراب الشعير الإضافي ودخَلنا لتناول الغداء. طلبَ القرد زجاجات من شراب عنب فلسطين الأبيض مع وجبة الطعام للاحتفال بعودة فِن.

بعد ذلك لم يذكر أحدٌ الشيء أبداً؛ حتى إننا لم نتكلَّم عنه عندما لم يكن فِن معنا. لكن كل واحد منا تابَع يفكِّر بالمسألة سراً، وهو على يقين أنه شيء مهم وأنه لم ينته بعد. انتشر التوتّر بسرعة في السِرب وأصاب كل الطيّارين.

في غضون ذلك، مرَّت الأيام وأشرقت الشمس على المهبَط وعلى الطائرة وأخذ فِن مكانه بيننا محلِّقاً بالطريقة الطبيعية.

ثم ذات يوم، أظن بعد مرور أسبوع، قمنا بهجوم أرضي آخر على مهبَط رياق. كنا ستة، القرد يقودنا وفِن يحلِّق على ميمنتنا. حلَّقنا على علو منخفض فوق رياق وتعرَّضنا لقصف مدفعي كثيف، وأُصيبت طائرة پادي في جولتنا الأولى. بينما استدرنا للجولة الثانية، رأينا طائرته الهوريكاين تهوي بشكل مستقيم نحو الأرض عند طرف المهبَط. عَلَت سحابة دخان أبيض كثيف عند ارتطامه، ثم مع انتشار اللهب تحوَّل الدخان من أبيض إلى أسود وكان پادي معه. عَلَت خشخشةٌ فوراً على اللاسلكي وسمِعتُ صوت فِن، متحمِّساً جداً، يصرخ في ميكروفونه، يصرخ، "لقد تذكَّرتُه. أنت معي أيها القرد، لقد تذكَّرتُه كله"، وأجابه صوت القرد الهادئ، "حسناً يا فِن، حسناً؛ لا تنسِه".

قمنا بجولتنا الثانية ثم قادنا القرد بعيداً بسرعة، متمايلاً بين الوديان، والتلال العارية الرمادية البنّية فوقنا على الجانبين، وطوال طريق العودة، طوال كل النصف ساعة تلك، لم يتوقف فِن أبداً عن الصراخ عبر

اللاسلكي. فاتصل بالقرد أولاً وقال، "أيها القرد، لقد تذكَّرتُه كله؛ كل تفصيل منه". ثم قال، "أيها الأيل، لقد تذكَّرتُه كله؛ لا يمكنني نسيانه الآن". اتصل بي واتصل بجوني واتصل بالمتمنّي؛ اتصل بكل واحد منا على انفراد مراراً وتكراراً، وكان متحمِّساً جداً لدرجة أنه كان يصرخ بصوتٍ عالٍ جداً أحياناً ولا يمكننا سماع ما كان يقوله.

عندما هبطنا، فرَّقنا طائرتنا عن بعضها ولأن فِن اضطر لسبب من الأسباب أن يركن في الجانب البعيد للمهبَط، وصلنا كلنا إلى غرفة العمليات قبله.

كانت غرفة العمليات بجانب الحظيرة. إنها مكان خالٍ في وسطه طاولة كبيرة عليها خريطة المنطقة. وكانت هناك طاولة أخرى أصغر عليها هاتفان وبضع كراسٍ ومقاعد خشبية، وفي أحد أطراف الغرفة تم تكديس سترات نجاة ومظلاّت وخوذات. كنا نقف هناك نخلع ثياب تحليقنا ونرميها على الأرض عندما وصل فِن. دخل مسرعاً ثم توقف. كان شعره الأسود واقفاً في الهواء وغير مرتّب بسبب الطريقة التي خلعَ بها خوذته، ووجهه يلمع من العرق وقميصه الكاكي داكناً ورطباً. كان فمه مفتوحاً ويتنفس بسرعة. بدا كما لو أنه كان يركض. بدا مثل ولدٍ أسرعَ في نزول السلالم إلى غرفة مليئة براشدين ليقول لهم إن القطة أنجبت قططاً صغيرةً في بيت الحضانة ولم يكن يعرف كيف يبدأ الكلام.

كلنا سمِعناه قادماً لأن هذا ما كنا ننتظره. توقف الجميع عن فعل ما كانوا يفعلونه، ورحنا ننظر إلى فِن.

قال القرد، "مرحبا يا فِن"، وقال فِن، "أيها القرد، عليك تصديق هذا لأنه ما حصل".

كان القرد يقف قرب الطاولة التي عليها الهاتفان، والأيل قربه

بشعره المربع القصير البني اللون ويحمل سترة نجاة في يده وينظر إلى فِن. كان الآخرون في الطرف البعيد للغرفة: عندما تكلَّم فِن، بدأوا يقتربون بهدوء إلى أن وَصَلوا إلى حافة طاولة الخريطة الكبيرة التي لمَسوها بأيديهم. وَقَفوا هناك، ينظرون إلى فِن وينتظرونه أن يبدأ الكلام.

بدأ حالاً، فتكلَّم بسرعة، ثم هدأ وراح يروي قصته بشكل أبطأ. أخبَرَنا كل شيء، وهو يقف هناك قرب باب غرفة العمليات، ولا يزال يرتدي سترة نجاته الصفراء ويُمسك خوذته وقناع الأكسجين في يده. بقي الآخرون حيث كانوا وأنصتوا إليه، مثلما أنصتُّ إليه ناسياً أن فِن هو الذي يتكلَّم وأننا في غرفة العمليات في حيفا؛ نسيتُ كل شيء وذهَبتُ معه في رحلته، ولم أعد إلى أن انتهى.

"كنتُ أحلِّق على ارتفاع ستة آلاف متر"، قال. "حلَّقتُ فوق صور وصيدا وفوق نهر الدامور ثم حلَّقتُ إلى الداخل فوق تلال لبنان، لأنني كنتُ أنوي الاقتراب من بيروت من الشرق. فجأة دخلتُ سحابةً بيضاء كثيفةً لدرجة أنني لم أعد قادراً على رؤية شيء ما عدا داخل قُمرة قيادتي. لم أتمكن من فهم ماذا جرى، لأنه قبل لحظة فقط كان كل شيء صافياً ولم تكن هناك سُحُب في أي مكان.

"بدأتُ أنزل لكي أخرج من السحابة، وبقيتُ أنزل وأنزل لكنني بقيتُ فيها. عرَفتُ أنه لا يجب أن أنخفض كثيراً بسبب التلال، لكن على ارتفاع ألفَي متر كانت السحابة لا تزال حولي. كانت كثيفة لدرجة أنني لم أكن قادراً على رؤية شيء، ولا حتى مقدمة طائرتي أو الجناحين، وتكثّفت السحابة على الزجاج الأمامي وسالت أنهار صغيرة من الماء على الزجاج ودفعتها الريح إلى التطاير عنه. لم أر أبداً سحابة مثلها من قبل. كانت كثيفة وبيضاء حتى أطراف قُمرة القيادة. شَعَرتُ كأنني

رجل على سجادة عجيبة، أجلس هناك وحيداً في قُمرة القيادة الصغيرة ذات السقف الزجاجي، من دون جناحين أو ذيل أو محرّك أو طائرة.

"عرَفتُ أنني يجب أن أخرج من السحابة، لذا استدرتُ وحلَّقتُ غرباً فوق البحر بعيداً عن الجبال؛ ثم انخفَضتُ إلى علو منخفض حسب مقياس ارتفاعي. انخفَضتُ إلى مئة وخمسين متراً، مئة وعشرين، مئة، ستين، ثلاثين، والسحابة لا تزال حولي. توقفتُ للحظة وأنا أعرف أنه من غير الآمن الانخفاض أكثر. ثم فجأة، مثل هَبَّة ريح، انتابني شعور بأنه لا يوجد شيء تحتي؛ لا البحر أو الأرض أو أي شيء آخر وببطء، بتأنٍ، فتَحتُ الخانق، دفَعَتُ العصا إلى الأمام بقوة وغطستُ.

"لم أراقب مقياس الارتفاع؛ نظرتُ مباشرة عبر الزجاج الأمامي إلى بياض السحابة وأكملتُ الغطس. جلَستُ هناك أضغط العصا إلى الأمام مواصلاً الغطس، ومراقباً البياض المتشبِّث الشاسع للسحابة ولم أتساءل ولو مرةً إلى أين أذهب. أكملتُ طريقي فحسب.

"لا أعرف لكم من الوقت بقيتُ أجلس هناك؛ ربما دقائق وربما ساعات؛ أعرف فقط أنني بينما كنتُ أجلس هناك أواصل الغطس، كنتُ متيقناً أن ما كان تحتي لم يكن الجبال أو الأنهار أو الأرض أو البحر ولم أكن خائفاً.

"ثم أصبحتُ أعمى. كان كما لو أنني نصف نائم على سرير وأحدهم أضاء الضوء.

"خرَجتُ من السحابة فجأة لدرجة أنني عُميتُ. لم يكن هناك زمن فاصل بين دخولها والخروج منها. ففي لحظةٍ كنتُ فيها والبياض حولي كثيف وفي نفس اللحظة كنتُ خارجها والضوء ساطع جداً لدرجة أنني عُميتُ. لقد أزعَجتُ عينيَّ وأبقيتُهما مغمضتين لعدة ثوانٍ.

"عندما فتَحتُهما كان كل شيء أزرق، أزرق أكثر من أي شيء رأيتُه في حياتي. لم يكن أزرق داكناً أو أزرق ساطعاً؛ كان أزرق أزرق، لوناً نقياً لامعاً لم أره أبداً من قبل ولا يمكنني وصفه. رحتُ أنظر من حولي. نظرتُ فوقي وخلفي. استويتُ جالساً وحدَّقتُ تحتي عبر زجاج قُمرة القيادة وكان كل شيء أزرق. كان ساطعاً ونقياً، مثل ضوء الشمس اللطيف، لكن لم تكن هناك شمس.

"ثم رأيتها.

"إلى الأمام وفوق رأيتُ خطاً رفيعاً طويلاً لطائرات تطير في السماء. كانت تحلِّق إلى الأمام في خط أسود واحد، كلها بنفس السرعة، كلها في نفس الاتجاه، كلها قريبة، تتبع بعضها البعض، والخط يملأ السماء بقدر ما تستطيع أن تراه العين. كانت طريقة تحليقها، الطريقة العاجلة التي اندفعت بها إلى الأمام مثل سُفن تُبحر في رياح عاتية، عرَفتُ كل شيء من ذلك. لا أعرف لماذا أو كيف عرَفتُه لكنني عرَفتُ عندما نظَرَتُ إليها أنهم الطيّارون والطواقم الجويون الذين قُتلوا في المعركة، الذين يقومون الآن برحلتهم الأخيرة في طائراتهم.

"عندما حلَّقتُ إلى مسافة أعلى وأقرب، أمكنني التعرّف على الطائرات نفسها. رأيتُ في ذلك الموكب الطويل كل نوع طائرة موجود تقريباً. رأيتُ لانكستر ودورنير، هاليفاكس وهوريكاين، ميسيرشميت، سبيتفاير، سترلنغ، سافويا 79، يونكرز 88، غلادييترز، هامبدن، ماتشي 200، بلنهايم، فوك-وولف، بوفايتر، سوردفيش، وهنكل. رأيتُ كل هذه والعديد غيرها، ووصل الخط المتحرّك في السماء الزرقاء إلى الجانبَين إلى أن تلاشى عن النظر.

"أصبحتُ قريباً منهم الآن وبدأتُ أشعر أنني أُجذَب نحوهم بغض

النظر عما تمنيَّتُ فعله. تملّكت رياحٌ من طائرتي، وراحت تقذفها إلى هنا وهناك كأنها ورقة وسُحبتُ في دوّامة عملاقة نحو الطائرات الأخرى. لم يكن بوسعي فعل شيء لأنني كنتُ في الدوّامة وتحت رحمة الرياح. حصل كل ذلك بسرعة كبيرة، لكنني أتذكَّره بوضوح. شَعَرتُ أن الشدّ على طائرتي يزداد قوة. وبدأتُ أُجذَب إلى الأمام بشكل أسرع وأسرع، ثم فجأة صرتُ أطير في الموكب نفسه، أتحرّك إلى الأمام مع الآخرين، بنفس السرعة وفي نفس المسار. أمامي على مسافة قريبة بما فيه الكفاية لكي أرى لون الطلاء على جناحيها، كانت طائرةٌ سوردفيش من فرقة ذراع الأسطول الجوي القديمة. كان يمكنني رؤية رأس المُراقِب والطيّار وخوذتيهما بينما جلَسا في قُمرة قيادتهما، الواحد خلف الآخر. وأمام السوردفيش كانت هناك طائرة دورنير، ولقبها القلم الطائر، وأمامها طائرات أخرى لم أتمكن من التعرّف عليها من مكاني.

"بقينا نحلِّق دون انقطاع. لم أكن قادراً على الاستدارة والتحليق بعيداً حتى ولو أردتُ ذلك. لا أعرف لماذا، رغم أن السبب ربما شيءٌ يتعلق بالدوّامة والرياح، لكنني عرَفتُ أنه هكذا. بالإضافة إلى ذلك، لم أكن أقود طائرتي حقاً؛ كانت تطير من تلقاء نفسها. لم تكن هناك مناورة لألجأ إليها، لا سرعة، لا ارتفاع، لا خانق، لا عصا، لا شيء. بعدما ألقيتُ نظرة سريعة على أجهزتي ورأيتُ أنها كلها ميتة، تماماً مثلما تكون عندما تجلس الطائرة على الأرض.

"لذا أكملنا التحليق. لم تكن لديَّ أي فكرة عن مدى سرعتنا. لم يكن هناك إحساس بالسرعة، وكل ما أعرفه أنها كانت مليون كيلومتر بالساعة. الآن وبعد التفكير في المسألة، أتذكَّر أنني لم أشعر أبداً خلال ذلك الوقت بالحرّ أو البرد أو الجوع أو العطش؛ لم أشعر بأي تلك

الأشياء. لم أشعر بالخوف، لأنني لم أعرف شيئاً لأخاف منه. لم أشعر بالقلق، لأنني لم أتمكن من تذكُّر شيء أو التفكير بشيء أقلق منه. لم أشعر برغبة أن أفعل شيئاً لم أكن أفعله أو بامتلاك شيء لم أكن أملكه، لأنه لم يكن هناك شيء تمنّيتُ فعله ولم يكن هناك شيء تمنّيتُ امتلاكه. شَعَرتُ فقط بالمتعة من تواجدي حيث كنتُ، من رؤية الضوء المدهش واللون الجميل حولي. بعدما لمحَتُ وجهي في مرآة قُمرة القيادة ورأيتُ أنني أبتسم، أبتسم بعينيَّ وفمي، وعندما أشحتُ بنظري عرَفتُ أني كنتُ لا أزال أبتسم، فقط لأن هذا ما كنتُ أشعر به. في لحظة من اللحظات، استدار المُراقِب في السوردفيش التي أمامي ولوَّح لي بيده. سحبتُ سقف قُمرة قيادتي إلى الخلف ولوَّحتُ له بيدي. أتذكَّر أنه حتى عندما فتَحتُ قُمرة القيادة، لم تكن هناك اندفاعة هواء ولا اندفاعة برد أو حرّ، كما لم أشعر بأي دفق هوائي على يدي. ثم لاحَظتُ أنهم كلهم كانوا يلوِّحون لبعضهم البعض، مثل أولاد في أفعوانية واستدرتُ ولوَّحتُ للرجل الجالس في الماتشي التي خلفي.

"لكن كان هناك شيء يجري على الخط. فعلى مسافة بعيدة عند الجهة الأمامية، أمكنني رؤية أن الطائرات غيَّرت مسارها، وكانت تنعطف إلى اليسار وتفقد الارتفاع. عندما وصل الموكب بأكمله إلى نقطة محدّدة، بدأ يميل جانبياً وينزلق نزولاً في دائرة عريضة. انحنيتُ غريزياً وألقيتُ نظرة سريعة إلى أسفل فوق قُمرة القيادة ورأيتُ سهلاً أخضر شاسعاً تحتي. كان أخضر وناعماً وجميلاً؛ ويصل إلى الحافات البعيدة للأفق حيث أزرق السماء ينخفض ويندمج بأخضر السهل.

"وكان هناك الضوء. بعيداً إلى اليسار، ضوءٌ أبيض ساطعٌ يلمع ومن دون أي لون. كان كما لو أنه الشمس، لكنه شيء أكبر بكثير

من الشمس، شيء لا شكل له، وضوؤه ساطعٌ لكن لا يسبِّب العمى، كان يقبع على الحافة البعيدة للسهل الأخضر. انتشر الضوء نحو الخارج من وسط تألّقٍ ووصل بعيداً إلى السماء وبعيداً إلى فوق السهل. عندما رأيتُه، لم أستطع أن أشيح بنظري عنه في البدء. لم أشعر برغبة بالذهاب نحوه، إلى داخله، وحالاً تقريباً أصبحت الرغبة والحنين قويين لدرجة أنني حاوَلتُ عدة مرات أن أسحب طائرتي خارج الخط وأن أطير نحوه مباشرة؛ لكن ذلك لم يكن ممكناً واضطررتُ أن أطير مع البقية.

"عندما مالوا جانبياً وفقدوا ارتفاعهم ذهَبتُ معهم، وبدأنا ننزلق نحو السهل الأخضر الذي تحتنا. الآن وقد أصبحتُ أقرب، أمكنني رؤية الكتلة الضخمة للطائرات التي على السهل نفسه. كانت في كل مكان، مبعثرة فوق الأرض مثل كشمش أحمر على سجادة خضراء. المئات والمئات منها، وكل دقيقة، كل ثانية تقريباً، ازدادت أعدادها مع هبوط الطائرات التي أمامي وتوقفها تماماً.

"فقدنا الارتفاع بسرعة. وسرعان ما رأيت أن الطائرات التي أمامي مباشرة تُخفِض عجلاتها وتتحضَّر للهبوط. الدورنير التي أمام الطائرة التي أمامي استوت وهبطت. ثم جاء دور السوردفيش القديمة. استدار الطيّار قليلاً إلى اليسار بعيداً عن الدورنير وحطَّ بجانبها. استدرتُ إلى يسار السوردفيش واستويتُ. نظرتُ خارج قُمرة القيادة إلى الأرض، وقدّرتُ ارتفاعي، ورأيتُ أخضر الأرض يتغشّى مع تسارعها تحتي.

"انتظَرتُ أن تغطس طائرتي وتلمس الأرض. بدا أن ذلك استغرق وقتاً طويلاً. 'بالله عليك'، قلتُ. 'بالله عليك، هيا'. كنتُ على ارتفاع مترين فقط، لكنها لا تغطس. 'انزلي'، صرَختُ، '*انزلي* رجاءً'. بدأتُ أخاف. أصبحتُ مذعوراً. لاحَظتُ فجأة أن سرعتي تزداد. أطفأتُ كل

الأزرار، لكن ذلك لم يُحدِث أي فارق. كانت سرعة الطائرة تزداد، أكثر فأكثر، ونظرتُ حولي ورأيتُ خلفي الموكب الطويل للطائرات تسقط من السماء وتهبط على الأرض. رأيتُ التجمهر الضخم للآلات على الأرض، مبعثرة على السهل، وفي إحدى الجهات رأيتُ الضوء، ذلك الضوء الأبيض اللامع الذي سطعَ بقوة كبيرة فوق السهل الكبير والذي كنتُ أتوق لأذهب إليه. أعرف أنني لو كنتُ قادراً على الهبوط، لكنتُ بدأت أركض نحو ذلك الضوء لحظة خروجي من طائرتي.

"والآن كنت أطير بعيداً عنه. ازداد خوفي. عندما حلَّقتُ أسرع وأبعد، تملّكني الخوف إلى أن بدأتُ أحارب بجنون، أشدّ العصا، أصارع الطائرة، أحاول إعادة الاستدارة بها نحو الضوء. عندما رأيتُ أن هذا مستحيل، حاوَلتُ قتل نفسي. أردتُ حقاً قتل نفسي. حاوَلتُ أن أهوي بالطائرة إلى الأرض، لكنها طارت بشكل مستقيم. حاوَلتُ أن أقفز من قُمرة القيادة، لكن كانت هناك يد تضغط على كتفي. حاوَلتُ أن أطرق رأسي بجهات قُمرة القيادة، لكن ذلك لم يُحدث أي فرق وجلَستُ هناك أحارب آلتي وكل شيء إلى أن لاحَظتُ فجأة أنني في سحابة. كنتُ في نفس السحابة البيضاء السميكة السابقة؛ وبدا لي أنني أصعد. نظرتُ خلفي، لكن السحابة كانت قد أطبَقت عليَّ من كل الجهات. لم يعد هناك شيء سوى ذلك البياض الشاسع غير القابل للاختراق. بدأتُ أشعر بالغثيان والدُوار. لم أعد أهتم بما يحصل لي، وبقيتُ جالساً هناك بخمول، أترك الآلة تطير من تلقاء نفسها.

"بدا لي أن وقتاً طويلاً مرَّ وأنا أكيد أنني جلَستُ هناك لعدة ساعات. لا شك أنني نمتُ. وحلَمتُ. لم أحلم بالأشياء التي رأيتُها للتو، بل بحياتي العادية، بالسِرب، بالجميلة نِكي والمهبَط هنا في حيفا.

حلَمتُ أنني أجلس متأهباً خارج الحظيرة مع شخصين آخرَين، أن البحرية أرسلت تطلب شخصاً يقوم بجولة استطلاعية سريعة فوق بيروت؛ ولأنني كنتُ أول الواقفين، قفَزتُ إلى طائرتي الهوريكاين وأقلعتُ. حلَمتُ أنني مرَّرتُ فوق صور وصيدا ونهر الدامور، وأنني صعدتُ إلى ارتفاع ستة آلاف. ثم استدرتُ نحو الداخل فوق تلال لبنان، واقتربتُ من بيروت من الشرق. كنتُ فوق البلدة، أحدِّق فوق جهة قُمرة القيادة، أبحث عن الميناء وأحاول إيجاد المدمِّرتين الفرنسيتين. سرعان ما رأيتُهما، وبوضوح، راسيتين إلى جانب بعضهما البعض عند رصيف الميناء، وأنعطفتُ بالطائرة وعدتُ بأسرع ما يمكنني.

"البحرية على خطأ، فكَّرتُ في سرّي بينما حلَّقتُ عائداً. المدمِّرتان لا تزالان في الميناء. نظَرَتُ إلى ساعتي. ساعة ونصف. 'لقد كنتُ سريعاً'، قلتُ. 'هذا سيسرّهم'. حاوَلتُ الاتصال عبر اللاسلكي لإعطائهم المعلومات، لكنني لم أتمكن من إجراء الاتصال.

"ثم عدتُ إلى هنا. عندما هبطتُ، تحلّقتم كلكم حولي ورحتم تسألونني أين كنتُ ليومين، لكنني لم أتذكَّر شيئاً. لم أتذكَّر أي شيء ما عدا الرحلة إلى بيروت حتى هذه اللحظة، عندما رأيتُ پادي يسقط بطائرته. عندما ارتطمت آلته بالأرض، وجَدتُ نفسي أقول، 'أيها الوغد المحظوظ. أنت وغد محظوظ'، وبينما قلتُ ذلك، عرَفتُ لماذا كنتُ أقوله وتذكَّرتُ كل شيء. عندها صرَختُ لك عبر اللاسلكي. تلك كانت اللحظة التي تذكَّرتُ فيها".

أنهى فِن كلامه. لم يتحرّك أحد أو يقل شيئاً طوال الوقت الذي كان يتكلَّم فيه. الآن فقط القرد الذي تكلَّم. جرَّ قدمَيه على الأرض، واستدار ونظر خارج النافذة وقال بهدوء، بهمسٍ تقريباً، "حسناً، اللعنة

عليّ"، وعاد بقيتنا ببطء إلى خلع ثياب طيراننا وتكديسها على الأرض في زاوية الغرفة؛ كلنا ما عدا الأيل، الأيل المربع القصير، الذي وَقَف هناك يراقب فِن يسير ببطء في الغرفة ليضع ثيابه أرضاً.

بعد قصة فِن، عاد السِرب إلى وتيرته العادية. التوتّر الذي كان معنا لأكثر من أسبوع، اختفى. كان المهبَط مكاناً أكثر سعادة. لكن لا أحد ذكرَ رحلة فِن. لم نتكلّم عنها أبداً مع بعضنا، ولا حتى عندما كنا نثمل في المساء في مقاصف حيفا.

كانت الحملة السورية على وشك الانتهاء. كان بمقدور الجميع رؤية أنها يجب أن تنتهي قريباً، رغم أن جماعة فيشي كانوا لا يزالون يحاربون بشراسة جنوبي بيروت. كنا لا نزال نحلّق. كنا نحلّق كثيراً فوق الأسطول الذي كان يقصف الساحل، لأن مهمتنا كانت بحمايته من طائرات اليونكرز 88 التي تأتي من رودوس. كان في آخر تلك الرحلات فوق الأسطول أن قُتِل فِن.

كنا نحلّق على ارتفاع عالٍ فوق السُفن عندما انقضّت علينا طائرات اليونكرز 88 بقوة واندلعت معركةٌ. لم يكن لدينا سوى ست طائرات هوريكاين في الجو، وعدد اليونكرز كبيرٌ، وكان عراكاً جيداً. لا أتذكّر الكثير عما جرى في ذلك الوقت. المرء لا يتذكّر أبداً. لكنني أتذكّر أنه كان عراكاً صاخباً، واليونكرز تغطس نحو السُفن، وتلك الأخيرة تنبح عليها، وتتقيأ كل شيء في الجو بحيث أن السماء امتلأت بزهور بيضاء تفتّحت بسرعة وانفجرت مع الرياح. أتذكّر الألماني الذي انفجَر في الجو، بسرعة، مُحدِثاً وميضاً أبيض، ولم يبق من قاذفته شيء سوى قِطع صغيرة جداً تهاوت ببطء. أتذكّر الطائرة التي نُسفَ برجها الخلفي، وتابعت تحليقها والمدفعي الخلفي متدلٍ منها بأربطته، يكافِح

ليعود إلى الداخل. أتذكَّر طائرةً شجاعةً بقيت فوق لتحاربنا بينما نزل الآخرون ليقصفوا السُفُن. أتذكَّر أننا أصبناه وأتذكَّر رؤيته يستدير ببطء على ظهره، وبطنه الأخضر الشاحب يصعد مثل سمكة ميتة، قبل أن يهوي أخيراً.

وأتذكَّر فِن.

كنتُ قريباً منه عندما اشتعَلت طائرته. استطعتُ رؤية ألسنة اللهب تخرج من أنف آلته وترقص فوق غطاء المحرّك. كان هناك دخان أسود يخرج من عادم طائرته الهوريكاين.

حلَّقتُ قُربه وناديتُه عبر اللاسلكي. "فِن"، قلتُ، "من الأفضل لك أن تقفز".

عاد صوته، هادئ وبطيء. "الأمر ليس بهذه السهولة".

"اقفز"، صرَختُ، "اقفز بسرعة".

أمكنني رؤيته جالساً هناك تحت زجاج سقف قُمرة القيادة. نظرَ نحوي وهزَّ رأسه.

"الأمر ليس بهذه السهولة"، أجابني. "أنا مُصاب قليلاً. لقد أُصيبت ذراعيَّ ولا يمكنني فكّ الأربطة".

"اخرج"، صرَختُ. "بالله عليك، اخرج"، لكنه لم يُجبني. بقيت طائرته تحلّق للحظة، بشكل مستقيم، ثم بلطف، مثل نسر يُحتضَر، غطس جناحٌ وهوَت نحو البحر. راقبتُه ينزل؛ راقَبتُ خيط الدخان الأسود النحيل الذيه رسمه في السماء، وبينما كنتُ أراقبه، أتى صوت فِن مرة أخرى عبر اللاسلكي، واضحاً وبطيئاً. "أنا وغد محظوظ"، كان يقول. "وغد محظوظ".

جريمة قتل في الجو

بيتر تريماين

لن يكتمل أي كتاب قصص عن الطائرات من دون سر غرفة مُقفلة واحدة على الأقل (الطائرات هي أقصى أنواع الغُرف المُقفلة)، لكنك ستجد غرفتين مُقفلتين في هذه الحالة. أهلاً بك على متن الطائرة النقّاثة للخطوط الجوية العالمية، حيث ستُكتشَف جثة مسافر منحوس. لحسن حظ طاقم الرحلة 162 أن أحد الركاب هو الباحث في عِلم الجريمة جيري فاين، وهو يعمل على القضية بكل جدّية. بيتر تريماين هو الإسم المستعار لبيتر إليس، الذي - بالإضافة إلى كونه مؤلف حوالي مئة رواية وأكثر من مئة قصة قصيرة - يحمل شهادة ماجستير في الدراسات السلتية. وُلد في كوفنتري، وعمِل مراسِلاً صحفياً، وأصبح كاتباً بدوام كامل في منتصف السبعينات. هذه القصة جوهرة حقيقية.

لاحَظ كبير المضيفين جف رايدر إمارات القلق على وجه المضيفة سالي بِيتش لحظة دخولها مطبخ الدرجة الأولى للخطوط الجوية العالمية 747، الرحلة GA 162. تفاجأ للحظة، كونه لم ير أبداً المضيفة الخبيرة تبدو قلقة إلى هذا الحدّ من قبل.

"ما الأمر يا سال؟"، حيّاها في محاولة ليعيد لها ابتسامتها الشقية الاعتيادية. "هل هناك ذئب بين ركاب الدرجة الأولى يُحزنك؟".

هزّت رأسها دون أي تغيير في تعبيرها المستغرق في الأفكار. "أعتقد أن أحد الركاب مسجون في المرحاض"، بدأت تقول.

كبُرت ابتسامة جف رايدر، وكان على وشك أن يقول تعليقاً

سفيهاً.

"لا"، قاطعته كما لو أنها فهمت نيّته. "أنا جدّية. أعتقد أن شيئاً حصل. لا يزال هناك منذ بعض الوقت، والشخص المسافر معه طلب مني أن أتفقّده. قرَعتُ على الباب، لكن لم يأت أي رد".

قمَع رايدر تنهيدةً. أن يعلق راكبٌ في المرحاض أمر غير شائع لكنه مألوف. وقد اضطر ذات مرة إلى إنقاذ راكب من تكساس وزنه مئة وخمسة عشر كيلوغراماً من مرحاض الطائرة. لم يكن هذا أمراً أراد أن يتذكّره.

"مَن هو هذا الراكب المشؤوم؟".

"مذكور على اللائحة بإسم هنري كينلوك غراي".

تأوّه رايدر تأوهاً مسموعاً. "إذا كان باب المرحاض سيعلق في هذه الطائرة، فلماذا يعلق مع كينلوك غراي! هل تعرفين مَن هو؟ إنه رئيس الشركة الإعلامية المتعددة الجنسيات كينلوك غراي وبرودي. لديه سُمعة أنه يأكل مدراء الشركة أحياء، لكن بالنسبة للأشخاص مثلك ومثلي، الأسماك الصغيرة المسكينة في بحر الحياة الكبير...". قَلَب عينيه بصمت بليغ. "يا للهول! من الأفضل أن أهتمّ بالمسألة فوراً".

شقَّ رايدر طريقه إلى مراحيض الدرجة الأولى وسالي في أعقابه. لم يكن هناك أحد، ورأى فوراً أي باب معلّم كـ "مشغول". اقترب منه ونادى بلطف: "سيد كينلوك غراي؟ هل كل شيء على ما يرام يا سيدي؟". انتظَر ثم قرَع على الباب باحترام.

بقي لا يلقى رداً.

ألقى رايدر نظرة سريعة على سالي. "هل نعرف منذ كم تقريباً هو في الداخل؟".

"قال رفيقه إنه ذهَب إلى المرحاض منذ حوالي نصف ساعة".

رفعَ رايدر حاجب عينه وعاد إلى الباب. ارتفع صوته قليلاً. "سيدي. سيد كينلوك غراي، إننا نفترض أنك في مأزق ما في الداخل. سأكسر القفل. إذا كنت تستطيع، ابتعد عن الباب رجاءً".

مال إلى الوراء، ورفع قدمه، وركلَ الباب عند القفل. خرجَ قفل الحُجيرة المهلهَل من مزلاجه ولوّح الباب إلى الداخل قليلاً.

"سيدي؟...". ضغَط رايدر على الباب. وجدَ صعوبة في دفعه؛ هناك شيء يعيقه. تمكَّن ببعض القوة من فتحه كفاية ليُدخل رأسه في الحُجيرة ثم للحظة فقط. سحَبه بسرعة بملامح شاحبة. راح يحدِّق في سالي، ولم ينطق كلمةً للحظة أو لحظتين. صاغَ أخيراً بعض الكلمات. "أعتقد أنه أُطلق النار عليه"، همَس.

حُجبَت المراحيض، واستُدعي قبطان الطائرة، موسّ إيفانز، أحد كبار طيّاري الخطوط الجوية العالمية، بعد إطلاعه سريعاً على طبيعة المشكلة. أخفى الطيّار ذو الشعر الفضي والبنية الصلبة قلقه بينما شقَّ طريقه من قُمرة القيادة مروراً بقسم الدرجة الأولى، وهو يبتسم ويومئ بدماثة للركاب. الشعور الرئيسي الذي تملّكه هو الغضب، لأنه منذ لحظات قليلة فقط تجاوزت الطائرة منتصف مسافة رحلتها، "نقطة اللاعودة". لا تزال أمامهم أربع ساعات أخرى، ولم يعجبه احتمال التحويل إلى مطار آخر الآن وتأخير الرحلة لمدة لا أحد يعلم كم ستطول. هناك موعد مهم بانتظاره.

كان رايدر قد أنهى للتو إبلاغ ركاب الدرجة الأولى العذر

الضعيف بوجود خلل ميكانيكي في المراحيض الأمامية للدرجة الأولى، وموجِّهاً الركاب إلى مراحيض القسم الوسطي حفاظاً على أمنهم وراحتهم. كل ذلك الهراء النموذجي بشركات الطيران. كان الآن ينتظر القبطان مع سالي بِيتش. إيفانز يعرف رايدر جيداً، لأن جف حلَّق معه لسنتين. من الواضح أن روح الدعابة الاعتيادية لدى رايدر غائبة. الفتاة أيضاً بدت شاحبةً جداً ومتزعزعةً.

ألقى إيفانز نظرة ودّ سريعة عليها؛ ثم استدار إلى القفل المحطَّم لباب الحُجيرة. "هل هذا المرحاض؟".

"نعم".

اضطر إيفانز أن يلقي وزنه على الباب وتمكَّن من إدخال رأسه في الحُجيرة الصغيرة جداً.

كانت الجثة ممدَّدة على مقعد المرحاض، بكامل ملابسها، والذراعان متدلّيتين على الجانبين، والرِجلان متباعدتين بحيث تمنعان فتح الباب بالكامل. كان توازن الجثة الخاملة خطيراً. وهناك فوضى دموية من الفم إلى الصدر. وقِطع لحم ممزَّق تتدلّى من الخدَّين. كما أن الدم لطَّخ جدران الحُجيرة. شعَر إيفانز بالغثيان يتصاعد فيه لكنه قمعه.

مثلما حذَّره رايدر، بدا كما لو أن الرجل تلقّى طلقة في فمه. تلقائياً، حدَّق إيفانز إلى أسفل، دون أن يعرف عما كان يبحث إلى أن أدرَك أنه يجب أن يبحث عن مسدس. تفاجأ عندما لم ير واحداً. فراح يحدِّق حوله مرة أخرى. اليدان المتدلّيتان على جانبَي الجثة لا تُمسكان شيئاً. وأرضية الحُجيرة التي يجب أن يسقط عليها المسدس لا تُظهِر أي أثر له. عبس إيفانز وانسحَب. شيءٌ في الجهة الخلفية لذهنه أخبَره أن هناك خطباً ما في ما رآه، لكنه لم يتمكن من اكتشافه.

"هذه حادثة جديدة لكتيّب الشركة عن طوارئ الجو"، تمتم رايدر وهو يحاول إضفاء بعض الفكاهة على الموقف.

"أرى أنكم نقلتهم الركاب من هذا القسم"، علّق إيفانز.

"نعم. لقد نقلتُ كل ركاب الدرجة الأولى من هذا القسم، ونجهّز ستارةً. أفترض أن المهمة التالية هي إخراج الجثة من هناك؟".

"هل أُبلِغَ زميله؟ الشخص الذي يسافر معه؟".

"أُبلِغَ أن حادثاً وقع. لا تفاصيل".

"جيد جداً. أظن أن رجلنا رئيس شركة كبيرة ما؟".

"كينلوك غراي. كان هنري كينلوك غراي".

زمّ إيفانز شفتيه في صفرة صامتة. "لذا نحن نتكلّم عن تأثير مدعوم بأموال طائلة، أليس كذلك؟".

"لا يأتون أثرى من ذلك".

"هل فحَصت لائحة الركاب بحثاً عن طبيب؟ يبدو أن رجلنا اختار وقتاً ومكاناً لعينين للانتحار. لكنني أعتقد أننا سنحتاج إلى شخص يفحصه قبل أن نحرّك أي شيء. سأتقيّد بإرشادات الشركة بشأن حالة طارئة طبية. سنُبلغ المكتب الرئيسي".

أومأ رايدر برأسه إيجاباً. "طلبتُ من سالي مسبقاً أن تتحقّق إن كان هناك أي أطباء على متن الطائرة. لحسن الحظ أن لدينا طبيبين في الدرجة الأولى. يجلسان معاً. C1 وC2".

"صحيح. اجعل سالي تُحضر أحدهما إلى هنا. آه، وأين زميل السيد غراي؟".

"يجلس على B3. يدعى فرانك تيلي، وفهمتُ أنه السكرتير الشخصي للسيد غراي".

"أخشى أن عليه أن يتجهَّز ليقوم بعملية تعرّف رسمية. علينا أن نفعل هذا حصراً وفق كتاب قواعد الشركة"، أضاف مرة أخرى كما لو أنه يسعى إلى طمأنة نفسه.

اقتربت سالي بِيتش من الرجلين الجالسين على المقعدين C1 وC2. كانا بنفس العمر، في منتصف الأربعينات؛ أحدهما يرتدي ملابس غير رسمية وله شعر أحمر ناري، ولا يبدو مشابهاً أبداً للصورة الذهنية المقولبة عن الطبيب. وبدا الآخر أنيقاً ومزيَّناً بذكاء أكثر. وقَفت وانحنت.

"الطبيب فاين؟". كان أول إسم تذكّرته بين الإسمين.

رفع الرجل الذي يرتدي بذكاء نظره مع ابتسامة استفسار.

"أنا جيري فاين. كيف يمكنني أن أخدمك يا آنسة؟".

"أيها الطبيب، أخشى أن لدينا حالة طبية طارئة مع أحد الركاب. يرسل لك القبطان تحيّاته ويتمنى لو كنتَ تستطيع القدوم وإلقاء نظرة".

بدا كلامها نمطياً مكرَّراً جيداً. في الواقع، بدا غير مألوف عن كتيّب الشركة. لم تعرف سالي أي طريقة أخرى لإيصال الرسالة ما عدا الطريقة الجامدة الوجه التي تم تدريبها عليها.

ابتسم الرجل بامتعاض. "أخشى أن شهادتي الدكتوراه هي في عِلم الجريمة يا آنسة. لن أكون مفيداً جداً لك. أعتقد أنك ستحتاجين إلى رفيقي، هيكتور روسّ. إنه دكتور في الطب".

ألقت الفتاة نظرة اعتذار إلى الرجل الأحمر الشعر الجالس على المقعد المجاور وسرّها أن تراه ينهض من قبل لكي لا تضطر إلى تكرار نفس الكلام النمطي.

"لا تقلقي أيتها الشابة. سألقي نظرة، لكنني لا أحمل حقيبتي الطبية. أنا في الواقع أخصائي في عِلم الأمراض عائد من مؤتمر، أنتِ

تفهمين، أليس كذلك؟ لستُ طبيباً عاماً".

"لدينا بعض معدّات الطوارئ على متن الطائرة أيها الطبيب، لكنني لا أعتقد أنك ستحتاج إليها".

نظرَ روسّ إليها محتاراً، لكنها كانت قد استدارت وبدأت تقوده عبر الرِواق.

تراجَع هيكتور روسّ عن حُجيرة المرحاض وواجَه القبطان إيفانز وجف رايدر. ألقى نظرة سريعة على ساعته. "إنني أُعلن الوفاة عند الواحدة والرُبع أيها القبطان".

تململ إيفانز منزعجاً. "والسبب؟".

عضَّ روسّ شفته. "أفضّل إخراج الجثة حيث يمكنني إجراء فحص كامل عليها". تردَّد مرة أخرى. "قبل أن أفعل ذلك، أودّ أن يلقي زميلي، الطبيب فاين، نظرة عليها. الطبيب فاين عالِم نفس جنائي، وأحترم رأيه كثيراً".

راح إيفانز يحدِّق في الطبيب، محاولاً قراءة معنىً أعمق خلف كلماته. "كيف سيتمكن عالِم نفس جنائي من المساعدة في هذه المسألة إلا إذا – ؟"

"سأقدِّر رأيه رغم ذلك أيها القبطان. فقط لو يستطيع إلقاء نظرة؟"، ارتفعت نبرة روسّ بشكل مُقنِع.

بعد لحظات، كان جيري فاين يتراجع عن نفس باب المرحاض وينظر إلى رفيق سفره نظرة جدّية.

"غريب"، علَّق. نطَق الكلمة ببطء وتأنٍ.

"إذاً؟"، طالَب القبطان إيفانز بفارغ الصبر. "ماذا يُفترَض أن يعني هذا؟".

هزَّ فاين كتفيه ببلاغة في المساحة الضيقة. "يعني أن الوضع ليس جيداً أبداً أيها القبطان"، قال بمسحة سخرية. "أعتقد أن علينا تحرير الجثة لكي يتمكن زميلي هنا من التحقّق من سبب الوفاة، ثم يمكننا تحديد كيف مات هذا الرجل بهذه الطريقة".

شخَر إيفانز، محاولاً إخفاء إزعاجه. "رئيس شركتي ينتظر على اللاسلكي أيها الطبيب. أودّ أن أكون قادراً على إخباره شيئاً إيجابياً أكثر. أعتقد أنك ستفهم عندما أُخبِرك أنه يعرف السيد غراي. نفس نادي الغولف أو شيء من هذا القبيل".

كان فاين ساخراً. "عَرِف، أخشى أن عليك قول هذا في صيغة الماضي. حسناً، يمكنك إخبار رئيسك أنه يبدو كما لو زميله في الغولف قُتل".

بدت الصدمة واضحة على إيفانز. "هذا مستحيل. لا شك أنه انتحر".

تنحنح هيكتور روسّ ونظر إلى صديقه بانزعاج. "هل يجب أن تذهب إلى هذا الحدّ، يا عزيزي؟"، تمتم. "في النهاية –"

حافظ فاين على رباطة جأشه وقاطعه بنبرة هادئة حاسمة. "مهما تكن الطريقة الدقيقة للتسبّب بالجرح المميت، أظن أنك ستوافقني الرأي أن الوفاة بدت فوريةً. الأجزاء الأمامية للرأس، تحت العينين والأنف، نُسفَت تقريباً. أمر بغيض. يبدو جرح طلقة نارية على الفم".

استرجَع إيفانز القدرة على الكلام. الآن، وبعد أن فكَّر بالمسألة، أدرَك النقطة التي كانت تحيّره. أصبح دوره لأن يكون ساخراً.

"لو أُطلق النار من مسدس في الداخل، حتى ولو أحد العيارات الخفيفة مع جسم لتخفيف تأثير الرصاصة، ستكون قوتها كافية لتثقب الطائرة، مما يسبّب زوال الضغط. هل تعرف ماذا تستطيع رصاصةٌ أن تفعل إذا ثقبت هيكل الطائرة على ارتفاع أحد عشر ألف متر؟".

" لم أؤكِّد أنه كان مسدساً". حافَظ فاين على ابتسامته اللطيفة. "قلتُ إنها بدت مثل طلقة نارية".

"حتى ولو قُتل بطلقة نارية، لماذا لا يمكن أن يكون انتحاراً؟"، قال كبير المضيفين مقاطعاً. "بالله عليك، كان في مرحاض مُقفل! كان مُقفلاً من الداخل".

حدَّق فيه فاين بتساهل. "أبديتُ رأياً عن الطبيعة الفورية للجرح. لم أصادف أبداً جثةً قادرةً على النهوض وإخفاء سلاح بعد محاولة انتحار ناجحة. الرجل ممدَّد ميتاً في الداخل، مع جرح مميت بغيض سبَّب الوفاة فوراً... ولا أثر لأي سلاح. أمر غريب، أليس كذلك؟".

حدَّق فيه إيفانز غير مصدِّق. "هذا سخيف...". لم يكن هناك اقتناع في صوته. "لا يمكنك أن تكون جاداً؟ لا شك أن السلاح مخفي خلف الباب أو في مكان ما".

لم يتكبَّد فاين عناء الردّ.

"لكن"، أضاف إيفانز بيأس وهو يعلم أن فاين وضَّح بالضبط الشيء الذي كان يُقلِقه: السلاح المفقود. "هل تقول إن غراي قُتل ثم وُضع في المرحاض؟".

هزَّ فاين رأسه بحزم. "أخشى أن الأمر معقَّد أكثر من ذلك. بناءً على الدم الذي تطاير من الجرح ولطَّخ جدران الحُجيرة، كان في المرحاض مسبقاً عندما قُتل والباب مُقفَل من الداخل، وفقاً لكبير

مضيفيك هنا".

تململ جف رايدر بانزعاج كبير. "كان الباب مُقفلاً من الداخل"، أكّد بنبرة دفاعية.

"إذاً كيف - ؟"، بدأ إيفانز يقول.

"هذا شيء يجب أن نكتشفه. أيها القبطان، ليست لدي رغبة في التعدّي على أي سلطة، لكن هل يمكنني تقديم اقتراح؟..."

لم يردّ إيفانز. كان لا يزال يمعن التفكير باستحالة ما اقترَحه فاين.

"أيها القبطان؟..."

"نعم؟ آسف، ماذا قلتَ؟".

"هل يمكنني تقديم اقتراح؟ بينما يُجري هيكتور فحصاً أولياً ليرى إن كان يمكننا اكتشاف سبب الوفاة، هلاّ سمحتَ لي طرح بعض الأسئلة على زميل غراي، قد نكتشف عندها لماذا وكيف؟".

زمَّ إيفانز شفتيه بتبصّر. "لا أشعر أن لديَّ السلطة. عليَّ أن أتكلَّم مع رئيس الشركة".

"في أسرع وقت ممكن أيها القبطان. سننتظر هنا"، رَدَّ فاين بهدوء. "وبينما ننتظر، سأُخرِج والطبيب روسّ الجثة من المرحاض".

بالكاد مرّ أي وقت قبل أن عاد موسّ إيفانز. كان روسّ وفاين قد تمكّنا وقتها من إخراج جثة كينلوك غراي من المرحاض ومدَّداها في المنطقة بين القاطع والصف الأمامي لمقاعد الدرجة الأولى.

تنحنح إيفانز بشكل مُربِك. "أيها الطبيب فاين. يعطيك رئيسي الإذن الكامل بأن تتصرّف مثلما تراه مناسباً في هذه المسألة... إلى أن

تحطّ الطائرة. عندها، بالطبع، يجب أن تسلّم زمام الأمور إلى الشرطة المحلية". هزَّ كتفيه وأضاف، كما لو أن هناك حاجة إلى بعض الشرح: "يبدو أن رئيسي سمِع عن سُمعتك كـ ... باحث في عِلم الجريمة؟ يسرّه أن يترك المسألة بين يدَي الطبيب روسّ ويديك".

أمال فاين رأسه برصانة. "هل ستحوّل مسار الطائرة؟"، سأل.

"أمَرَنا رئيسي أن نتابع إلى وجهتنا أيها الطبيب. بما أن الرجل ميت، لا فائدة من تحويل المسار بحثاً عن أي مساعدة طبية".

"جيد. لدينا إذاً أكثر من ثلاث ساعات لحل هذه المسألة. هل بإمكان مضيفتك تدبير مكان هادئ يمكنني التكلّم فيه مع زميل غراي؟ لقد أخبرتني أنه سكرتيره الشخصي. أريد التحدّث معه دون أن أُثير ذعر بقية الركاب".

"اهتمّ بالأمر يا جف"، أمَرَ القبطان إيفانز كبير المضيفين. ثم نظرَ إلى فاين. "ألا يقولون إن جريمة القتل يرتكبها عادة شخصٌ تعرفه الضحية؟ ألا يجعل هذا من السكرتير أول مشتبه به؟ أم هل علينا التحقّق من كل راكب لنرى إن كانت له أي علاقة بغراي؟".

ابتسم فاين ابتسامة عريضة. "غالباً ما أجد أنه لا يمكنك تطبيق قواعد عامة في هكذا مسائل".

هزَّ إيفانز كتفيه. "إذا كان هذا سيساعد، يمكنني أن أذيع طالباً من كل الركاب العودة إلى مقاعدهم وشدّ أحزمة أمانهم. يمكنني القول إننا نتوقع بعض المطبّات الجوية. هذا سينقذ أي أرواح فضولية من محاولة دخول هذه المنطقة".

"هذا سيكون مفيداً جداً أيها القبطان"، طمأنه هيكتور روسّ، وقد رفع نظره من موضعه قرب الجثة.

تردَّد إيفانز لحظة أخرى. "سأعود إلى قُمرة القيادة. أبقني على اطلاع بأي تطوّرات".

بعد بضع دقائق من مغادرة إيفانز، علت بعض الأصوات. رفع فاين نظره ليرى المضيفة سالي بِيتش تبذل قُصارى جهدها لتمنع شاباً من التقدّم إلى الأمام نحوهم.

كان الشاب مصمِّماً جداً. "أُخبِرتُك أنني أعمل لديه". ارتفع صوته احتجاجاً. "لديَّ الحق أن أكون هنا".

"أنت في الدرجة السياحية يا سيدي. ليس لديك أي حقّ في التواجد في الدرجة الأولى".

"إذا حصل شيء للسيد غراي، أطالب إذاً..."

انتقَل فاين إلى الأمام بسرعة. كان الشاب طويلاً، فصيحاً، ولاحَظ فاين أن ملامحه الوسيمة ساعدتها سُمرة أتت من مصباحٍ وليس من الشمس. كان يرتدي بشكل مثالي، ويضع خاتماً ذهبياً عليه ختم في إصبعه النحيل. من عادة فاين أن يلاحظ اليدين، فهو يشعر أنه يمكن اكتشاف أمور كثيرة عن الشخص من يديه وكيفية اعتنائه بأظافره. من الواضح أن هذا الشاب يخصّص قسماً كبيراً من وقته لكي يُبقي أظافره مشذَّبة جيداً.

"هل هذا سكرتير السيد غراي؟"، سألَ سالي.

هزَّت المضيفة رأسها. "لا أيها الطبيب. هذا راكب من الدرجة السياحية يدّعي أنه يعمل لدى السيد غراي".

"وما إسمكَ؟"، استفسر فاين بسرعة، وعيناه الثاقبتان مركّزتان على ملامح الشاب الوسيمة.

"أوسكار ألجي. كنتُ خادم السيد غراي". تكلَّم الشاب بصوت

ملطَّف من الواضح أنه خانَ خلفية مدرسته الإعدادية. "راجع فرانك تيلي في الدرجة الأولى. إنه السكرتير الشخصي للسيد غراي. سيُخبِرك مَن أنا".

ابتسم فاين تشجيعاً لسالي بِيتش. "هلاّ فعلتِ ذلك لي، آنسة بِيتش، وأخبِري السيد تيلي أيضاً أنني أريد رؤيته هنا عندما يستطيع؟". عندما أسرعَت مبتعدةً، عاد فاين إلى الواصل الجديد. "الآن يا سيد ألجي، كيف سمعتَ أنه وقعَ... حادثٌ؟".

"سمِعتُ إحدى المضيفات تخُبره لمضيفة أخرى في الدرجة السياحية"، قال ألجي. "إذا تعرَّض السيد غراي لأذى –"

"السيد غراي مات".

حدَّق فيه أوسكار ألجي للحظة. "نوبة قلبية؟".

"ليس تماماً. بما أنك هنا، قد تتعرَّف رسمياً على صاحب عملك الراحل. نحتاج إلى هوية لسجلات الطبيب روسّ".

وَقَف جانباً وسمحَ للشاب بأن يتقدَّم إلى حيث كانت الجثة ممدَّدة جاهزة ليفحصها روسّ. ابتعد روسّ لكي يتمكن الشاب من فحص الوجه. وقَف ألجي فوق الجثة وحدَّق فيها للحظة.

"رحمة الله عليه"، تمتم. ثم اعترى الكَرْب وجهه. "كيف يمكن أن يحصل هذا؟ لماذا يوجد دم على وجهه؟ أي نوع من الحوادث حصل هنا؟".

"هذا بالضبط ما نحاول معرفته"، أخبَره روسّ. "هل أقول إنك تعرَّفت رسمياً على هذا الرجل بأنه هنري كينلوك غراي؟".

أومأ الشاب برأسه مرتين، وانصرف. أوقَفه فاين ما وراء المنطقة المحجوبة.

"لكم من الوقت عملتَ لديه يا سيد ألجي؟".

"سنتان".

"ما كان عملك معه بالضبط؟".

"كنتُ خادمه. كل شيء. سائق، كبير الخدم، طبّاخ، ماهر في الأعمال اليدوية. *خادم عام*".

"ويأخذك معه في رحلاته إلى الخارج؟".

"بالطبع".

"لكنني أرى أنه كان شديد الالتزام بالنظام الاجتماعي، أليس كذلك؟"، ابتسم فاين.

تورَّد الشاب خجلاً. "لم أفهم".

"أنت تسافر في الدرجة السياحية".

"لن يكون لائقاً أن يسافر الخادم في الدرجة الأولى".

"تماماً. لكن بناءً على ردّات فعلك على موته، كنتَ تشعر بعاطفة كبيرة تجاه صاحب عملك؟".

ارتفع ذقن الشاب بتحدٍّ، وعاد اللون إلى خدّيه. "كان السيد غراي صاحب عمل يُضرب به المثل. صحيح أنه رجل أعمال صارم، لكنه رجل عادل. لم نتشاجر أبداً. كان رجلاً طيباً للعمل لديه. رجلاً عظيماً".

"فهمت. وكنتَ تعتني به؟ تهتَم باحتياجاته المنزلية. إذا كنتُ أتذكّر قصص الصحف جيداً، كان هاري غراي يُوصَف دائماً بأعزب مؤهل".

رأى فاين تغييراً طفيفاً على وجه الشاب. "لو كان متزوجاً، لما كان احتاج إلى خدماتي، أليس كذلك؟ كنتُ أفعل كل شيء له. حتى إصلاح نظام الستيريو أو البراد لديه. لا، لم يكن متزوجاً".

"بالضبط". ابتسم فاين وألقى نظرة سريعة أخرى على يدَي ألجي. "إصلاح الستيريو يتطلب لمسة مُرهَفة. وليس مألوفاً أن يكون شخص ماهر في الأعمال اليدوية قادراً على فعل هذا النوع من الأعمال".

"هوايتي هي صنع النماذج. نماذج تعمل". كانت هناك نبرة تبجّح في صوته.

"آه. أخبِرني، بما أنك أفضل مَن يمكنه أن يعرف، هل كان لصاحب عملك أي أعداء؟".

جفَل الشاب في الواقع. "رجل أعمال مثل هاري غراي يكون مُحاطاً بالأعداء". رفع نظره ورأى سالي بِيتش تقود رجلاً يرتدي نظّارات إلى الحُجَيرة. "بعض الأعداء يعملون معه ويدَّعون أنهم أصدقاء حميمون"، أضاف بحدّة. ثم صمتَ وعبَس عندما خطرت الفكرة بباله. "هل تقول إن موته... مشبوهٌ؟".

لاحَظ فاين بامتنان أن سالي أومأت لضيفها الجديد بأن يجلس ولم تقترب لتقاطعه. استدار إلى الشاب.

"علينا التحقّق من ذلك. الآن، سيد ألجي، هلاّ عدتَ إلى مقعدك؟ سنُبقيك على اطلاع على مستجدات القضية".

استدار الشاب وخرَج، وبالكاد اكترث بالواصل الجديد، الذي بدا بدوره أنه أخفض نظره ليتجنَّب تواصل العينين مع الشاب الحلو المعشر. من الواضح عدم وجود محبة بين الخادم والسكرتير.

تاركاً هيكتور روسّ ليتابع فحصه بمساعدة طقم الطوارئ الطبي للطائرة، ذهب فاين إلى حيث كان الواصل الجديد يجلس.

ابتسمت له سالي بِيتش، التي كانت تنتظر مع الضيف، ابتسامة متوترة. "هذا السيد فرنسيس تيلي. كان يسافر مع السيد غراي".

كان فرانك تيلي رجلاً نحيلاً وغير جذّاب أبداً في منتصف الثلاثينات من عمره. بشرته شاحبة، وفكّه يبيِّن ظلاً شاحباً دائماً لا يستطيع أي مقدار من الحلاقة محوه. كان يرتدي نظّارات سميكة ذات إطار عظمي بدت غير ملائمة أبداً لملامح وجهه. وشعره خفيف وينحسِر، وهناك ارتعاش عصبي في طرف فمه.

أومأ فاين للمضيفة أن تقف قرب الباب لتمنع أي شخص آخر من دخول حُجَيرة الدرجة الأولى، واستدار إلى تيلي.

"لقد مات، أليس كذلك؟". كان صوت تيلي عالي الطبقة بصورة مُصطنعة تقريباً. قهقه بعصبية. "حسناً، أظن أن هذا كان سيحصل في وقت من الأوقات، حتى لما يسمّى العظيم والجيد".

عبس فاين من نبرة صوت الرجل. "هل تقول إن السيد غراي كان مريضاً؟"، سأل.

رفعَ تيلي يداً وتركها تسقط كما لو أنه كان يريد قول شيء ثم غيَّر رأيه. لاحَظ فاين فوراً اليد المتزعزعة، والأصابع المرتعشة البدينة، الملطَّخة بالنيكوتين، والأظافر المقلَّمة بشكل غير مُتقَن.

"كان عُرضةً للربو، فقط لا غير. مجرد حالة إجهاد".

"لماذا إذاً؟..."

بدا تيلي مُحرَجاً قليلاً. "أفترض أنني كنتُ أرعن".

"لا تبدو منزعجاً من موت زميلك؟".

شخرَ تيلي باستخفاف. "زميلي؟ كان مديري. لم يدع أبداً أي شخص يعمل لديه ينسى أنه المدير، أنه المتحكّم بقدرهم في الشركة. سواء كان الرجل بوّاباً أو نائبه الأول، كان هاري كينلوك غراي رئيساً 'يتدخّل في كل شيء'، وكلمته هي القانون. إذا فعلتَ شيئاً لم يُعجبه،

تُطرَد فوراً، مهما تكن المدة التي عملت خلالها في الشركة. كان فيكتورياً نموذجياً، رجل أعمال عصامياً. استبدادياً، لئيماً، وحَقوداً. لم يكن يجب أن يكون له مكان في عالم الأعمال العصري".

استرخى فاين واستمَع إلى المرارة في صوت الرجل. "إذاً كان من صنف الرجال الذي لديه أعداء كُثر؟".

ابتسم تيلي في الواقع من الفكاهة. "كان من صنف الرجال الذي ليس لديه أي صديق".

"لكم من الوقت عمِلت لديه؟".

"أمضيتُ عشر سنوات في الشركة. كنتُ سكرتيره الشخصي خلال آخر خمس سنوات منها".

"أليست مدة طويلة لتقضيها مع شخص لا يروق لك؟ لا شك أنك كنتَ تفعل شيئاً جيداً له لكي لا يكرهك ويطردك، إذا كانت هذه، حسب قولك، طريقته الاعتيادية في التعامل مع الموظفين".

تململ تيلي بانزعاج من سخرية فاين. "ما علاقة هذا بموت السيد غراي؟"، ردّ بحدّة فجأة.

"أحاول فقط تكوين بعض الصورة عنه".

"ماذا حصل؟"، أكملَ تيلي. "أفترض أنه تعرَّض لنوبة قلبية ما؟".

"هل كان يعاني من مشاكل في قلبه إذاً؟".

"ليس على حد علمي. كان بديناً جداً ويأكل كالدب. ومع كل الإجهاد الذي يتكبّده، لن أتفاجأ إن كان هذا سبب وفاته".

"هل كانت هذه الرحلة بالذات عصيبةً؟".

"رحلة عادية مثل غيرها. كنا في طريقنا إلى اجتماع مع المدراء التنفيذيين للشركات الأميركية التابعة لنا".

"وهل لاحَظت أن السيد غراي كان يتصرّف بأسلوبه الاعتيادي؟".

قهقه تيلي في الواقع. بدا صوتاً بغيضاً. "كان متنمّراً ومتغطرساً كالعادة. أراد طرد ستة أشخاص وتقصَّد فعل ذلك علناً ليسبّب لهم أقصى إحراج ممكن. هذا يُفرحه في الصميم. ثم..."، تردَّد تيلي وعلت وجهه نظرة تفكير عميق. "كان يراجع بعض المستندات من حقيبته. بدا أن أحدها فَتَنه، وبعد لحظة أو لحظتين بدأ يُصاب بإحدى نوباته –"

"نوباته؟ اعتقَدتُ أنك قلتَ إنه لم يعانِ من مشاكل صحية؟".

"ما قلتُه في الواقع كان أنه كان عُرضةً للربو. يُصاب بإحدى نوبات الربو تلك الناتجة عن الإجهاد".

"صحيح. إذاً بدأ يُصاب بنوبة ربو؟ هل أخذ أي شيء لها؟".

"كان يحمل معه أحد تلك المِنشاقات. ظنَّ أن أحداً منا لم يعرف ذلك. الرئيس العظيم لا يحبّذ أن يعترف بنقطة ضَعف جسدية. لذا عندما يُصاب بنوبةٍ، يختفي ليعالج نفسه بالمِنشاق. كان ذلك واضحاً جداً. المُضحك هو أنه كان لديه قول مفضَّل هو 'باطل الأباطيل، الكل باطل'!".

"إذاً هل تقول إنه ذهَب إلى المرحاض ليستخدم المِنشاق؟".

"هذا ما أقوله. وبعد مرور مدة لا بأس بها، بدأتُ أقلق فعلاً".

"تقلق؟"، ابتسم فاين ابتسامة خفيفة. "مما تُخبِرني إياه، القلق بشأن صحة مديرك لم تكن أولويةً لديك".

زمَّ تيلي شفتيه في إمارة سخرية. "لا علاقة للمشاعر الشخصية. لم أكن مثل ألجي، الذي يضع كل مشاعره في عمله. كنتُ أتقاضى راتباً لأؤدّي عملاً، وكنتُ أؤدّيه بنزاهة واحترافية. لم أكن مضطراً أن أُعجَب بهاري غراي. ولم يكن همّي ماذا يفعل هاري غراي أو لا يفعل

خارج العمل الذي دفَع لي من أجل تأديته. كما لم يكن همّي مَن هم أحباؤه أو أعداؤه اللدودون".

"جيد. إذاً ذهَب إلى المرحاض ولم يعد؟".

"كما قلتُ، ناديتُ المضيفة بعد حين وذهَبت لتتفقَّده. كان ذلك أقل همومي كسكرتير له".

"مهلاً لحظة، سيد تيلي".

انتقَل فاين إلى حيث كانت سالي بِيتش تقف وهي لا تزال شاحبة ومتوترة قليلاً، وقال بهدوء: "هل تعتقدين أنه يمكنك الذهاب إلى مقعد السيد غراي وإيجاد حقيبته الصغيرة؟ أودّ أن تحضريها إلى هنا".

عادت بعد وقت قصير ومعها حقيبة جلدية بنية صغيرة.

أخذها فاين ليُريها لفرانك تيلي. "هل تتعرَّف على هذه بأنها حقيبة غراي؟".

أومأ الرجل برأسه على مضض. "لا أعتقد أنك يجب أن تفعل هذا"، قال محتجّاً بينما فتح فاين القفل.

"لما لا؟".

"ممتلكات سرية للشركة".

"أعتقد أن تحقيقاً في جريمة قتل محتملة يلغي هذا الاعتراض".

تفاجأ فرانك تيلي. "قتل؟ لم يقل أحدٌ شيئاً عن جريمة قتل".

كان فاين مشغولاً جداً في البحث بين الأوراق لكي يجيبه. أخرَج ورقةً وعرضها على تيلي. "هل هذه التي كان ينظر إليها قبل أن تبدأ صعوبة التنفّس لديه؟".

"لا أدري. ربما. كانت ورقة تشبهها – هذا كل ما يمكنني قوله".

كانت ورقة ممزَّقة من مطبوعة كمبيوتر. عليها جملتان قصيرتان:

ستموت قبل أن تحطّ هذه الطائرة. *Memento "homo", quia pulvis es et in pulverem revertis*.*

استرخى فاين بابتسامة اعتيادية وعرضَ الورقة على السكرتير. "أنت تتقن اللغة اللاتينية يا سيد تيلي. كيف تترجم هذه الجملة؟".

عبس تيلي. "ما الذي يجعلك تقول إنني أتقن اللاتينية؟".

"منذ لحظات نطقتَ جملة لاتينية. وافترَضتُ أنك تعرف معناها".

"معرفتي باللاتينية غير موجودة تقريباً. كان السيد غراي مولَعاً بالاقتباسات والجمل اللاتينية، لذا حاوَلتُ التماشي مع الوضع باستظهار بعض تلك التي استخدَمها كثيراً".

"آه. إذاً أنت لا تعرف معنى هذه؟".

نظَرَ تيلي إلى الملاحظة المطبوعة وهزَّ رأسه. "memento تعني 'تذكَّر'، أليس كذلك؟".

"هل سمعتَ الجملة memento mori من قبل؟ إنها ستكون إصداراً شعبياً أكثر مما كُتب هنا".

هزَّ تيلي رأسه. "تذكَّر شيئاً، أفترض؟".

"لماذا تعتقد أن الكلمة اللاتينية لـ 'الرجل' مكتوبة بين علامات اقتباس؟".

"لا أعرف معناها. لا أعرف اللاتينية".

"ما تقوله هذه الجملة تقريباً هو، 'تذكَّر أيها الرجل أنك من التراب وإلى التراب تعود'. من الواضح أنها كُتبَت على كمبيوتر، باستخدام معالج نصوص. هل تتعرَّف على الخط؟".

---

* معناها: تذكَّر أيها "الرجل" أنك من التراب وإلى التراب تعود.

هزَّ تيلي رأسه. "يمكنه أن يكون أحد مئات الخطوط القياسية للشركة. آمل أنك لا تلمّح إلى أنني كتَبتُ تهديداً بالموت للسيد غراي؟".

"كيف وصلت هذه إلى حقيبته الصغيرة؟"، قال فاين، متجاهلاً التعليق.

"أفترض أن أحدهم وضعها فيها".

"ومَن لديه هكذا وصول إليها؟".

"أفترض أنك لا تزال تتّهمني؟ كنتُ أكرهه. لكن ليس إلى درجة أن أذبح عنقي. كان وغداً، لكنه كان الدجاجة التي تبيض ذهباً. لا جدوى من التخلّص منه".

"بالضبط"، تمتم فاين بتبصّر. لمحَت عينه مفكرة في الحقيبة، وراح يتصفّح صفحاتها بينما جلَس فرانك تيلي ينظر بانزعاج. وجَد فاين لائحة أحرف أولى عنوانها، "طرد مباشر" وتاريخ ذلك اليوم.

"لائحة بستة أشخاص كان على وشك طردهم؟"، علَّق فاين.

"أخبَرتُك أنه كان سيستمتع بحفلة تطهير عامة لمدرائه التنفيذيين وذكرَ لي بعض الأسماء".

"تحتوي اللائحة على الأحرف الأولى فقط وتبدأ بـ أو. ت. إ". ألقى نظرة سريعة على تيلي رافعاً حاجب عينه. "أوسكار ألجي؟".

"بالكاد"، رَدَّ تيلي بابتسامة تشجيعية. "أوتيس ت. إليوت، المدير العام لشركة قاعدة بياناتنا الأميركية".

"آه. دعنا نرى إن كنا قادرين على تحديد الآخرين".

استعرض الأحرف الأولى الأخرى التي راح تيلي يضيف أسماءً إليها. كانت الأسماء الأربعة التالية مدراء تنفيذيين أيضاً لشركات غراي. أما الأحرف الأولى الأخيرة فكُتبَت كـ Ft [فت].

"ف. ت. مسطَّرة ثلاث مرات وبجانبها الكلمات 'لا مكافأة!'. مَن هو ف. ت.؟".

"أنت تعرف أن ف. ت. هي أحرفي الأولى"، علَّق تيلي بهدوء. ابيضَّت ملامحه وأصبحت كالحة جداً فجأة. "أُقسِم أنه لم يقل لي أي شيء أبداً عن طردي عندما ناقَشنا الأسماء التي وضعها في لائحته. لم يذكر هذا أبداً".

"حسناً، هل هناك أي شخص آخر في الشركة ينطبق عليه الحرفان الأوليان ف. ت.؟".

عبس تيلي محاولاً أن يتذكَّر، لكنه هزَّ كتفيه أخيراً مستسلماً. "كلا. لا يمكن إلا أن يكون أنا. الوغد! لم يُخبرني أبداً بما كان يخطِّط. بعض الإذلال العلني اللطيف، أفترض".

خرَج هيكتور روسّ من القسم المحجوب وأومأ لفاين بأن ينضمَّ إليه. "أعتقد أنه يمكنني إخبارك كيف تم هذا"، أعلَن بنبرة رضى.

ابتسم فاين لصديقه. "وأنا أيضاً. أخبرني إن كنتُ مخطئاً. دخَل غراي المرحاض ليستخدم المِنشاق ليرتاح من نوبة ربو. وَضَع المِنشاق في فمه، ضغطه كالمعتاد، و...". أنهى كلامه بهزّ كتفيه.

بدا روسّ مصدوماً. "كيف عرفتَ -؟". ألقى نظرة سريعة فوق كتف فاين إلى حيث كان فرانك تيلي لا يزال جالساً، يرتعش بعصبية. "هل اعترف أنه الفاعل؟".

هزَّ فاين رأسه. "لا. لكن هل أنا محقّ؟".

"إنها فرضية جيدة لكنها تحتاج إلى مختبر لتأكيدها. وجَدتُ جُسَيمات صغيرة جداً من الألومنيوم في فمه، وبعض البلاستيك. لا شكّ أن شيئاً ما انفجَر بقوة مطلِقاً مقذوفة فولاذية صغيرة جداً إلى

سقف فمه بقوة كافية لدخول الدماغ والتسبّب بموت فوري، مثلما خمَّنت في البدء. مهما يكن الشيء الذي سبَّب انطلاق المقذوفة تفتَّت بفعل القوة. وبالتالي كانت هناك أجزاء صغيرة فقط في فمه وخدّيه. كما كان هناك بعضٌ منه عندما بَحَثتُ بعناية، في أرجاء الحُجيرة. عمل شرير حقاً".

"هذا من فعل شخص يعرف أن لغراي نقطة ضَعف واستغلّها. لم يكن غراي يحبّ استخدام المِنشاق في العلن وسيجد مكاناً هادئاً. نجحت الخطة جيداً وكادت تعطينا جريمة مستحيلة، جريمة غير قابلة للحل تقريباً، حيث يبدو في البدء أن الضحية تلّقت طلقةً ناريةً في الفم في مرحاض مُقفل".

ابتسم هيكتور روسّ بتساهل لزميله. "تلمِّح إلى أن لديك الحل من قبل؟".

"آه نعم. هل تتذكَّر الأغنية التي كنا نغنّيها في المدرسة؟

الحياة حقيقية! الحياة جدّية!
والقبر ليس هدفها؛
من التراب وإلى التراب تعود،
لم تُلفَظ للروح".

أومأ هيكتور روسّ برأسه. "لقد مرَّ وقت طويل منذ أن غنّيتُها يا عزيزي. من أشعار لونغفيلو، أليس كذلك؟".

ابتسم فاين. "بالفعل. نادِ القبطان إيفانز لكي يأتي، رجاءً". وجَّه الطلب إلى كبير المضيفين، جف رايدر، الذي كان على أهبّة الاستعداد. عندما ابتعد، استدار فاين إلى صديقه. "هناك شيء يجب قوله للمعرفة اللاتينية".

"لا أفهمك يا عزيزي".

"مجرمنا مولَع جداً بالنكات اللاتينية التي تَشارَكها مع مديره".

"تعني سكرتيره؟". ألقى نظرة سريعة على فرانك تيلي.

"يدّعي تيلي أنه لا يستطيع حتى ترجمة memento mori".

"تذكُّر الموت؟".

نظرَ فاين إلى صديقه نافياً. "تعني في الواقع 'تذكَّر أن تموت' وهي جملة تُوضع عادة على جمجمة الإنسان أو كائن آخر لتذكِّرنا بعدم خلودنا".

وَصَل القبطان إيفانز وراح ينقّل نظره بين فاين وروسّ متوقِّعاً. "حسناً، ما الأخبار؟".

"لتفادي أي مشهد بغيض على متن الطائرة أيها القبطان، أقترح أن تتصل باللاسلكي مسبقاً وتطلب أن تنتظر الشرطة هبوطنا لاعتقال أحد ركابك بتهمة القتل. لا داعي للقيام بأي حركة إلى أن نحطّ. لا يستطيع الرجل الذهاب بعيداً".

"أي رجل؟"، طالَب إيفانز بوجهٍ متجهّمٍ.

"مذكور تحت إسم أوسكار ألجي في الدرجة السياحية".

"كيف يمكنه –"

"ببساطة. لم يكن ألجي مجرد خادم غراي بل أعتقد أنك ستجد، من التلميحات العريضة التي أعطاني إياها السيد تيلي، أنه كان حبيبه أيضاً. يبدو أن ألجي يؤكِّده برسالة موت تتضمن جملة لاتينية شدَّد فيها على كلمة هومو، ومعناها 'رجل'، لكننا نعرف أيضاً أنها تُستخدَم كمصطلح عاميّ في أغلب الأحيان لقصد 'مثليّ الجنس'".

"كيف تعرف أن ألجي قادر على فهم التلاعب اللفظي في

اللاتينية؟"، سأل روسّ.

"اللحظة التي رأى فيها جثة غراي، تمتم اليافع ألجي الكلمات نفسها. terra es, terram ibis – من التراب وإلى التراب تعود".

"شجار بين حبيبين؟"، سأل روسّ. "تحوُّل الحبّ إلى بغض – وكل ما يرافقه، مثلما يعبّر عنه بيلي شكسبير بإيجاز؟".

أومأ فاين برأسه. "كان غراي يدفع ألجي بعيداً عنه، كحبيب وكموظف، لذا قرّر ألجي إنهاء مهنة حبيبه خلال الرحلة، إذا جاز التعبير. هناك رسالة في حقيبته الصغيرة بأن ألجي سيُطرَد فوراً من دون تعويض".

تيلي، الذي كان يجلس بهدوء، هزّ رأسه بحدّة.

"لا، إنه غير موجود"، قال مقاطِعاً. "لقد استعرضنا اللائحة. وأخبَرتُك أن الأحرف الأولى أو. ت. إ. تشير إلى أوتيس إليوت. لقد أرسلتُ ذلك الطرد بالفاكس قبل أن نركب الطائرة".

ابتسم فاين بلطف. "لقد نسيتَ ف. ت.".

"لكن هذه أحرفي –"

"لم تشارك مديرك شغفه بالاقتباسات اللاتينية، أليس كذلك؟ الحرفان ف. ت. هما اللذان أربكاني. كان يجب أن أثق أن شخصاً بسُمعة غراي لن يكتب F ثم الحرف الصغير t إذا كان يقصد الحرفين الأوليين ف. ت. . لم يكن هذان الحرفان الأوليان لإسمك يا سيد تيلي، بل مختصراً للكلمة fac أو facere ومعناها 'يفعل'، والكلمة tatum ومعناها 'كل الأشياء'. *خادم عام*. ومَن كان خادم غراي العام؟".

ساد صمتٌ.

"أعتقد أننا سنجد أن جريمة القتل هذه خُطِّط لها طوال أسبوع أو أسبوعين على الأقل. بعدما بدأتُ أدرك ما هي الآلية التي قتلت غراي، كل ما كان عليَّ فعله هو البحث عن الشخص القادر على اختراع تلك الآلية ولديه الدافع والفرصة أيضاً. مدّ يدَيك يا سيد تيلي".

مدّهما السكرتير على مضض.

"لا يمكنك بالتأكيد توقّع أن تصنع هاتان اليدان آليةً مُرهَفةً مثلها، أليس كذلك؟"، قال فاين. "ألجي، صانع النماذج والماهر في الأعمال اليدوية، عبثَ بإحدى مِنشاقات غراي لكي تنفجر عندما تُضغَط في الفم، مطلقةً إبرةً في الدماغ. آلية بسيطة لكن فعّالة. كان يعرف أن غراي لا يحبّ استخدام المِنشاق في العلن. أما الباقي فتُرك للظروف، وقد حانت فرصة جيدة. كادت تكون الجريمة المستحيلة المُطلقة. ربما كانت لتنجح لو لم تكن ضحيتنا وقاتله مولَعَين بالنكات اللاتينية".

خبير المطبّات الجوية

ستيفن كينغ

ستيفن كينغ - هذا أنا - ألّف قصتين على الأقل عن رعب السفر في الطائرة. إحداهما تدعى The Langoliers، وتحوّلت إلى مسلسل تلفزيوني قصير. والأخرى، The Night Flier [طيّار الليل]، تتكلّم عن مصّاص دماء يقود طائرة خاصة بدلاً من أن يتحوّل إلى وطواط، وقد تحوّلت إلى فيلم سينمائي. هذه القصة جديدة كلياً.

1

كان كريغ ديكسون يجلس في غرفة جلوس جناح صغير في فندق الفور سيسنز يتناول طعاماً مُكلِفاً أحضره له عامل خدمة الغُرف ويشاهد فيلماً على قناة الدفع لكل مشاهدة، عندما رنَّ الهاتف. فقدَت نبضات قلبه هدوءها وراحت تتسارع. كان ديكسون مستقلاً، التعريف المثالي للرحّالة، وشخص واحد فقط يعرف أنه هنا في هذا الفندق الفاخر المطلّ على حديقة بوسطن العامة. فكّر بعدم الردّ، لكن الرجل الذي تخيَّل أنه المُسهِّل سيعاود الاتصال باستمرار إلى أن يردّ عليه. وإذا رفَض الردّ، ستكون هناك عواقب.

هذا ليس الجحيم، فكّر في سرّه، الإقامة لطيفة جداً، لكنها تطهِّر النفس. والتقاعد غير متوقَّع لوقت طويل.

كتَم صوت التلفزيون ورفعَ سمّاعة الهاتف. لم يُلقِ التحية. ما قاله

كان، "هذا ليس عدلاً. لقد وصلتُ من سياتل منذ يومين فقط. لا أزال في فترة النقاهة".

"مفهوم وآسف جداً، لكن هذا ظهر وأنت الوحيد المتوفر". خرجت *آسف* *كآثف*.

للمُسهِّل صوت منسّق موسيقى إذاعي يهدئ الأعصاب إلى درجة دفعك إلى النوم، ولا تشوبه إلا لثغة خفيفة عَرَضيّة. لم يره ديكسون أبداً، لكنه يتخيَّله طويل القامة نحيلاً، ذا عينين زرقاوين ووجه دائم الشباب غير مجعَّد. في الواقع كان بديناً على الأرجح، أصلع، وداكن البشرة، لكن ديكسون واثقٌ أن صورته الذهنية لن تتغيَّر أبداً، لأنه لا يتوقع أبداً رؤية المُسهِّل. لقد تعرَّف على عدة خبراء مطبّات جوية خلال سنوات عمله مع الشركة - إذا *كانت* شركةً - ولا أحد منهم رأى الرجل في حياته. بالطبع كل الخبراء الذين عمِلوا لديه كانوا مجعَّدي الوجه؛ حتى الذين في العشرينات والثلاثينات من أعمارهم بدوا في منتصف العمر. لم تكن الوظيفة هي السبب، حيث هناك ساعات عمل متأخرة أحياناً لكن لا أحمال ثقيلة. هذا ما كان يجعلهم قادرين على *إنجاز* العمل.

"أخبِرني"، قال ديكسون.

"شركة طيران الحلفاء الرحلة 19. بلا توقف من بوسطن إلى ساراسوتا. تغادر عند 8:10 هذه الليلة. بالكاد لديك الوقت الكافي للاستعداد".

"ألا يوجد *أحد* آخر؟". أدرَك ديكسون أنه كان يثغي تقريباً. "أنا مُتعَب يا رجل. *مُتعَب*. تلك الرحلة من سياتل كانت مرهقة".

"مقعدك الاعتيادي"، قال المُسهِّل، ثم أغلق السمّاعة.

نظَرَ ديكسون إلى السمكة التي لم يعد يريدها. نظَرَ إلى فيلم كايت وينسلت الذي لن يُنهيه أبداً، على الأقل ليس في بوسطن. فكَّر - وليس للمرة الأولى! - بمجرد توضيب حقيبته واستئجار سيارة والقيادة شمالاً، إلى نيو هامبشاير أولاً، ثم إلى ماين، ثم يجتاز الحدود إلى كندا. لكنهم سيقبضون عليه. كان يعرف ذلك. والإشاعات حول ما حصل للخبراء الذين هربوا تضمَّنت الصعق بالكهرباء، نزع الأحشاء، وحتى الغليان حياً. لم يصدِّق ديكسون تلك الإشاعات... ما عدا أنه صدَّقها إلى حدّ ما.

بدأ يوضّب حقيبته. لم يكن هناك الكثير لكي يوضّبه. فخبراء المطبّات الجوية يسافرون خفيفي الوزن.

2

كانت تذكرته تنتظره عند شباك التذاكر. وكالعادة، وضعته مهمته في الدرجة السياحية، على المقعد الوسطي عند جناح الميمنة. كيف يمكن لذلك المقعد أن يكون شاغراً له دائماً هو سر آخر، مثل سر هوية المُسهِّل الحقيقية، أو المكان الذي يتصل منه، أو نوع المنظمة التي يعمل لها. مثل التذكرة، كان المقعد بانتظاره دائماً.

وَضَع ديكسون حقيبته في المخزن العلوي ونظَرَ إلى بقية المسافرين هذه الليلة: رجل أعمال ذو عينين حمراوين وأنفاس تعبق برائحة الشراب عند الرِواق، وسيدة في منتصف العمر تبدو كأمينة مكتبة بجانب النافذة. نَخَر رجل الأعمال شيئاً غير مفهوم عندما تجاوزه ديكسون جانبياً معتذراً بهمس. كان الرجل يقرأ كتاباً ورقيّ الغلاف ذا عنوان جذّاب هو *لا تدع المدير يثير أعصابك*. كانت أمينة المكتبة المسنّة

تنظر خارج النافذة إلى مختلف المعدّات التي تتدحرج ذهاباً وإياباً، كما لو أنها أروع الأشياء التي رأتها في حياتها. وكانت هناك حياكة على حُضنها. بدت كأنها كنزة لديكسون.

استدارت صوبه، ثم ابتسمت ومدَّت يدها. "مرحبا، أنا ماري وورث. تماماً مثل الفتاة في الرسوم الهزلية".

لم يعرف ديكسون أي فتاة تدعى ماري وورث في الرسوم الهزلية، لكنه صافَحها. "كريغ ديكسون. تشرّفتُ بمعرفتك".

نَخَر رجل الأعمال وقَلَب صفحةً في كتابه.

"أنا أتطلّع بشوق لهذا"، قالت ماري وورث. "لم آخذ عطلة حقيقية منذ اثنتَي عشرة سنة. أشترك في إيجار مكان صغير في سييستا كيه مع صديقتين".

"صديقتان"، نَخَر رجل الأعمال. بدت النخرة افتراضية لديه.

"نعم!"، قالت ماري وورث بتلألؤ. "استأجرناه لثلاثة أسابيع. لم نلتق أبداً في الواقع، لكنهن صديقات حقيقيات. كلنا أرامل. تعرَّفنا على بعضنا في غرفة دردشة على الانترنت. مدهشة جداً هذه الانترنت. لم يكن هناك شيء مثلها عندما كنتُ يافعةً".

"عاشقو الأطفال يعتبرونها مدهشة أيضاً"، قال رجل الأعمال، وقَلَب صفحة أخرى.

تلعثَمت ابتسامة الآنسة وورث، ثم أكملَت بحدّة. "تشرّفتُ بمعرفتك أيضاً يا سيد ديكسون. هل أنت مسافر للعمل أم للمتعة؟".

"للعمل"، قال.

صدرَ طنين خفيف من مكبّرات الصوت. "مساء الخير سيداتي سادتي، معكم القبطان ستيوارت. سترون أننا نبتعد عن البوابة وسنبدأ

التوجّه إلى المدرَج 3، حيث نحن الثالثون في طابور الإقلاع. نقدِّر أن الرحلة ستستغرق ساعتين وأربعين دقيقة إلى مطار برادنتون الدولي في ساراسوتا، والتي يجب أن تضعكم في أرض النخيل والشواطئ الرملية قُبيل الساعة الحادية عشرة. السماء صافية، ونتوقَّع رحلة هادئة طوال الطريق. أريدكم الآن أن تشدّوا أحزمة أمانك، وتُغلقوا أي طاولات مفتوحة أمامكم –"

"كما لو أن معنا أي شيء لنضعه عليها"، نَخَر رجل الأعمال.

"– وثبّتوا أي ممتلكات شخصية كنتم تستخدمونها. شكراً لطيرانكم مع شركتنا هذه الليلة. نعرف أن لديكم خيارات عديدة".

"تباً لك"، نَخَر رجل الأعمال.

"اقرأ كتابك"، قال ديكسون. فرَمَقه رجل الأعمال بنظرة جافلة.

كان قلب ديكسون يخفق بقوة من قبل، ثم انقبضت معدته، وجفَّ حلقه من الترقّب. يمكنه أن يقول لنفسه إن الأمور ستكون بخير، كانت بخير *دائماً*، لكن ذلك لم يساعده. كان يخشى الأعماق التي ستُفتَح تحته قريباً.

أقلعت الرحلة 19 عند الساعة 8:13 مساءً، متأخرة عن موعدها بثلاث دقائق فقط.

3

في مكان ما فوق ميريلاند، بدأت مضيفةٌ تدفع عربة مشروبات ووجبات خفيفة في الرِواق. وضع رجل الأعمال كتابه جانباً، وراح ينتظر وصولها إليه بفارغ الصبر. عندما وصلت، أخذ عبوة مشروب غازيّ، وزجاجتين صغيرين من شراب التوت، وكيس رقائق ذرة فريتوس.

لم تعمل بطاقته الماستركارد عندما مرّرتها في الجهاز فلوّح لها ببطاقة أميركان اكسبرس كما لو أن فشل بطاقته الأولى كان ذنبها. تساءل ديكسون إن كان رصيد الماستركارد قد نفد، والسيد رجل الأعمال يخبئ الأميركان اكسبرس للحالات الطارئة. هذا ممكن، فقد كانت قصّة شعره سيئة وبدا مُنهَكاً حول الأطراف. ديكسون لا يهتمّ سواء كان هذا أو ذاك، لكنه شيء ليفكِّر فيه بالإضافة إلى الرعب الخفيف المتواصل. التوقّع. كانوا يحلّقون على ارتفاع 10,000 متر، والمسافة إلى أسفل طويلة.

طلبَت ماري وورث بعض شراب العنب، وصبَّته بأناقة في كوبها البلاستيكي الصغير.

"ألن تتناول أي شيء يا سيد ديكسون؟".

"لا. أنا لا آكل أو أشرب في الطائرات".

نخَر السيد رجل الأعمال. كان قد أنهى من قبل أول كوب شراب توت ومشروب غازيّ، ويبدأ بالثاني.

"أنت مسافر متوتر، أليس كذلك؟"، سألت ماري وورث بودّ.

"نعم". لم يكن هناك سبب لعدم الإقرار بذلك. "أخشى ذلك".

"لا داعي"، قال السيد رجل الأعمال. منتعِشاً بشرابه، بدأ ينطق كلمات فعلية بدلاً من نخْرها. "أأمن طريقة للسفر في التاريخ. لم تسقط أي طائرة تجارية منذ زمن طويل. على الأقل ليس في هذه الدولة".

"أنا لا أمانِع"، قالت ماري وورث. كانت قد أنهت نصف زجاجتها الصغيرة، وتورَّد خدّاها الآن وتلألأت عيناها. "لم أركب طائرةً منذ أن مات زوجي منذ خمس سنوات، لكننا كنا معتادَين على السفر معاً ثلاث أو أربع مرات في السنة. أشعر براحة نفسية هنا".

كما لو أنه جرى وفق اتفاق مُسبق، بدأ طفلٌ يبكي.

"إذا كانت السماوات مزدحمة وكثيرة الضجة بهذا الشكل"، علّق السيد رجل الأعمال وهو يتفحّص مقصورة ركاب الـ 737، "لا أريد أن أذهب".

"يقولون إنه أأمن بخمسين مرة من السفر في السيارة"، قالت ماري وورث. "وربما حتى أكثر. ربما حوالي مئة مرة".

"أظنه أأمن بخمسمئة مرة". انحنى السيد رجل الأعمال متجاوزاً ديكسون ومدَّ يده إلى ماري وورث. لقد فعلَ شراب التوت أعجوبته المؤقتة محوِّلاً إياه من فظ إلى دمِث. "فرانك فريمان".

صافحته مبتسمةً. جلَس كريغ ديكسون بينهما، مستقيماً وبائساً، لكن عندما قدَّم له فريمان يده، صافحه.

"مدهش"، قال فريمان وضحِك فعلاً. "أنت خائف *حقاً*. لكنك تعرف ماذا يقولون، يد باردة، قلب دافئ". أنهى بقية شرابه على عجل.

بطاقات إئتمان ديكسون تعمل دائماً. كان يقيم في فنادق درجة أولى ويأكل وجبات طعام درجة أولى. ويُمضي الليل أحياناً مع امرأة جميلة، ويدفع مبلغاً إضافياً لينغمس في نزوات لم تكن نزوات حقاً إذا ما قيست وفق بعض مواقع الانترنت التي لم تزرها ماري وورث على الأرجح. لديه أصدقاء بين خبراء المطبّات الجوية الآخرين. كانوا طاقماً متماسكاً مع بعضه ليس بسبب وظيفتهم فحسب بل مخاوفهم أيضاً. كان الراتب أفضل بكثير من جيد، وهناك كل تلك الامتيازات الإضافية... لكن في أوقات كهذه، كل تلك الأمور لا تبدو مهمة. في أوقات كهذه هناك فقط الخوف.

ستكون الأمور على ما يرام. الأمور على ما يرام *دائماً*.

لكن في أوقات كهذه، بانتظار وقوع الكارثة، لا تملك هكذا فكرة أي تأثير. وهذا، بالطبع، ما يجعله بارعاً في عمله.

10,000 متر. مسافة طويلة إلى الأسفل.

4

CAT، اختصار اضطراب الجو الصافي.

يعرف ديكسون هذا جيداً، لكنه لا يتحضّر له أبداً. كانت الرحلة 19 في مكان ما فوق كارولاينا الجنوبية عندما أصابهم هذه المرة. كانت امرأةٌ تشقّ طريقها إلى المرحاض في الجهة الخلفية للطائرة، وشاب يرتدي سروال جينز وذو لحية أنيقة ينحني ليتكلم مع امرأة جالسة على مقعد رِواقٍ جهة الميسرة، والاثنان يضحكان عن شيء، وماري وورث تكبو ورأسها يستريح على النافذة، وفرانك فريمان في منتصف كوب شرابه الثالث وكيسه الثاني من رقائق الذرة فريتوس.

مالت الطائرة إلى اليسار فجأة ووثبت وثبةً هائلةً وهي تُصدر صريراً. المرأة التي كانت في طريقها إلى المرحاض قُذفَت إلى صف المقاعد الأخير جهة الميسرة. والشاب ذو اللحية الأنيقة طار وارتطم بالحاجز العلوي، وقد تمكّن من رفع يده في الوقت المناسب ليخفّف أثر الارتطام. وعدة أشخاص من الذين كانوا قد فكّوا أحزمة أمانهم ارتفعوا فوق مقاعدهم كما لو أنهم يطوفون في الجو. وعلا الصراخ.

سقطت الطائرة مثل حجر في بئر، ارتطمت، ثم نهضت مرة أخرى، ومالت إلى الجهة الأخرى الآن. شُوهد فريمان يرفع كوب شرابه، وأصبح يرتديه الآن.

"اللعنة!"، صاح.

أغمض ديكسون عينيه وانتظَر أن يموت. عرَف أنه لن يموت إذا أدّى عمله، وهذا سبب وجوده هناك في الأصل، لكن الأمر على هذا المنوال دائماً. هو ينتظر الموت دائماً.

صدرَت نغمة المذياع. "معكم القبطان". كان صوت ستيوارت – مثلما روَّج أحد معلّقي البرامج الرياضية الجملة – بارداً مثل الجهة الأخرى للوسادة. "يبدو أننا ارتطمنا بمطبّ جوي غير متوقع. أنا –"

ارتفعت الطائرة بشكل مروِّع آخر، بكل أطنانها الستين، مثل قطعة ورق متفحِّمة في مدخنة، ثم انخفضت مُصدرةً مرة أخرى أحد أصوات الصرير تلك. علا مزيد من الصراخ. السيدة المتوجّهة إلى المرحاض، التي أنهضت نفسها، راحت تترنَّح إلى الوراء وهي تخبط ذراعيها خبط عشواء، وسقطت على المقاعد جهة الميمنة. ربضَ أبو لحية أنيقة في الرِواق متمسِّكاً بمساند الأذرع على الجهتين. وانفتحت اثنتان أو ثلاث من الحُجَيرات العليا بعنف وتقيأت أمتعتها.

"اللعنة!"، قال فريمان مرة أخرى.

"لذا أضأتُ إشارة حزام الأمان"، استأنَف الطيّار. "آسف بشأن هذا، وسنعود إلى التحليق السلس –"

بدأت الطائرة ترتفع وتنخفض في سلسلة تأتأة مرتعشة، مثل حجر يقفز على سطح بركة.

"– بعد لحظات، لذا اصبروا قليلاً".

انخفضت الطائرة ثم نهضت مرة أخرى. ارتفعت حقائب اليد في الرِواق وسقطت منقلِبة. أغمض ديكسون عينيه بقوة. كان قلبه ينبض بسرعة كبيرة الآن لدرجة أنه شعر أن نبضاته اندمجت بحيث لم تعد هناك نبضات فردية. وذاق طعم حموضة في فمه من الأدرينالين. شَعَر

بيد تتسلَّل عليه ففتح عينيه. كانت ماري وورث تحدِّق فيه بوجه شاحب وعينين ضخمتين.

"هل سنموت يا سيد ديكسون؟".

نعم، فكَّر في سرّه. هذه المرة سنموت.

"لا"، قال. "نحن بخ -"

بدت الطائرة وكأنها اصطدمت بجدار صخري مما رماهم إلى الأمام وشدَّ أحزمة أمانهم عليهم، ثم جنحت إلى الميسرة: ثلاثين درجة، أربعين، خمسين. وعندما تيقَّن ديكسون أنها ستنقلب رأساً على عقب، استقامت وأصلحت وضعيتها بنفسها. سمِع ديكسون صياح الركاب، وعويل طفلٍ، ورجل يصرخ، "لا بأس يا جولي، هذا طبيعي، لا بأس!".

أغمض ديكسون عينيه مرة أخرى وترك الرعب يتملّكه بالكامل. هذا رهيب؛ لكنه الطريقة الوحيدة.

رأى أنفسهم يتشقلبون، دون توقف هذه المرة بل إلى الحد الأقصى. رأى الطائرة الكبيرة تفقد مكانها في الغموض الديناميكي الحراري الذي يُبقيها في الجو. رأى مقدمتها ترتفع بسرعة، ثم تبطأ، ثم تنزل مثل عربة أفعوانية في هبوطها الأول. رأى الطائرة تبدأ غطسها المُطلق، والركاب الذي كانوا قد فكّوا أحزمة أمانهم التصقوا الآن بالسقف، وأقنعة الأكسجين الصفراء تؤدّي رقصتها المضطربة الأخيرة في الهواء. رأى الطفل يطير إلى الأمام ويختفي في درجة رجال الأعمال، وعويله لا ينقطع. رأى الطائرة تصطدم، وتتحوَّل مقدمتها ومقصورة الدرجة الأولى إلى مجرد باقة من الفولاذ المتجعِّد تشقّ طريقها إلى الدرجة السياحية، وتُزهِر أسلاكاً وبلاستيكاً وأطرافاً مقطوعةً حتى مع اندلا ع حريقٍ، وأخذ ديكسون نَفَساً أخيراً أشعَلَ رئتَيه مثل أكياس ورقية.

كل هذا في مجرد ثوانٍ – ربما ثلاثين، ليس أكثر من أربعين – وبدا حقيقياً لدرجة أنه ربما يحصل في الواقع. ثم بعد قيامها بوثبةٍ غريبةٍ أخرى، استقرّت الطائرة وفتَح ديكسون عينيه. رأى ماري وورث تحدِّق فيه بعينين دامعتين.

"اعتقَدتُ أننا سنموت"، قالت. "*عَرَفتُ* أننا سنموت. لقد *رأيتُ* ذلك".

وأنا أيضاً، فكَّر ديكسون في سرّه.

"هُراء!". رغم عذوبة صوته، إلا أن فريمان بدا مُمتقِع اللون. "هذه الطائرات، بطريقة تصنيعها، يمكنها التحليق في إعصار. إنها –"

أوقَف تجشؤٌ سائلٌ خطابه. انتزع فريمان كيس دوار من الجيب في الجهة الخلفية للمقعد الذي أمامه ثم فتحه ووضعه على فمه. تبع ذلك صوتٌ ذكَّر ديكسون بمطحنة قهوة صغيرة لكن فعّالة. توقَف، ثم بدأ من جديد.

صدرَت نغمة المذياع. "آسف لهذا"، قال القبطان ستيوارت بنبرة لا تزال باردة مثل الجهة الأخرى للوسادة. "هذا يحصل من وقت لآخر، ظاهرة طقس صغيرة نسمّيها مطبّاً جوياً. الخبر الجيد هو أنني بلَّغتُ عن بقعة المتاعب هذه، وستتفاداها الطائرات الأخرى. والخبر الأفضل هو أننا سنهبط بعد أربعين دقيقة، وأضمَن لكم بقية رحلة هادئة".

ضحِكت ماري وورث بتزعزع. "هذا ما قاله سابقاً".

كان فرانك فريمان يطوي أعلى كيس دواره بطريقة رجل لديه خبرة في ذلك. "لم يكن هذا بسبب الخوف، أبعدي تلك الفكرة، إنه مجرد دوار قديم عادي من الحركة. لا أستطيع حتى الجلوس على المقعد الخلفي للسيارة دون أن أُصاب بالغثيان".

"سأستقلّ القطار في طريقة العودة إلى بوسطن"، قالت ماري وورث. "لقد اكتفيتُ من *هذا*، شكراً جزيلاً".

راقَب ديكسون المضيفات يتأكدن أولاً من سلامة الركاب الذين كانوا قد فكّوا أحزمة أمانهم، ثم رحن يُفرغن الرِواق من الأمتعة المسكوبة. امتلأت المقصورة بثرثرات وضحكات متوتّرة. راح ديكسون يراقب ويُنصت، وقد عادت نبضات قلبه إلى وتيرتها الطبيعية. كان مُتعَباً. يكون مُتعَباً دائماً بعد إنقاذه طائرة مليئة بالركاب.

كانت بقية الرحلة روتينية، تماماً مثلما وعد القبطان.

5

أسرعَت ماري وورث خلف أمتعتها التي ستصل على الحزام الناقل 2 في الطابق السفلي. أما ديكسون الذي لم تكن معه غير الحقيبة الصغيرة فتوقف ليتناول كوب شراب في نادي ديوار. دعا السيد رجل الأعمال لينضم إليه، لكن فريمان هزَّ رأسه. "تقيأتُ صُداعي ما بعد الثمالة في مكان ما فوق خط كارولاينا الجنوبية-جورجيا، وأعتقد أنني سأتوقف عن تناول الشراب حالياً. حظاً سعيداً في عملك في ساراسوتا يا سيد ديكسون".

ديكسون، الذي أتمّ عمله في الواقع فوق نفس خط كارولاينا الجنوبية-جورجيا ذاك، أومأ برأسه وشَكَره. وصلت رسالةٌ نصيةٌ بينما كان يُنهي شرابه الاسكتلندي ومياهه الغازية. إنها من المُسهِّل، وتتألف من كلمتين فقط: *عمل جيد*.

نزل على السُلَّم الكهربائي. وجد رجلاً يرتدي بذلة داكنة وقبعة سائق ينتظره في الأسفل حاملاً لافتة عليها إسمه. "هذا أنا"، قال

ديكسون. "أين حُجزَ لي؟".

"الريتز كارلتون"، قال السائق. "لطيف جداً".

بالطبع كان لطيفاً، وسيكون هناك جناح أنيق بانتظاره، يطلّ على الخليج على الأرجح. كما ستكون هناك سيارة مستأجرة بانتظاره في مرأب الفندق، في حال أراد زيارة شاطئ قريب أو أحد المعالم السياحية المحلية. سيجد مغلفاً في الغرفة يحتوي على لائحة بمختلف الخدمات النسائية، والتي لا يشعر بأي رغبة باستغلالها هذه الليلة. كل ما يريده هذه الليلة هو النوم.

عندما خرَج والسائق إلى حافة الرصيف، رأى ماري وورث تقف بمفردها، وتبدو بائسة قليلاً. كانت هناك حقيبتا سفر واحدة على يمينها وأخرى على يسارها (متطابقتان، بالطبع، ومن قماش الطرطان)، وهاتفها في يدها.

"آنسة وورث"، قال ديكسون.

رفعت نظرها وابتسمت. "مرحبا يا سيد ديكسون. لقد نجونا، أليس كذلك؟".

"أجل. هل تنتظرين شخصاً؟ أحد أصدقائك؟".

"السيدة بياغر - كلوديت - كان يُفترَض بها المجيء لكن سيارتها تعطّلت. كنتُ على وشك طلب سيارة أجرة".

تذكّر ما قالته خلال المطبّ الجوي - أربعون ثانية بدت كأنها أربع ساعات - هدأت أخيراً: *عَرفتُ* أننا سنموت. لقد *رأيتُ* ذلك.

"لا داعي لأن تفعلي ذلك. يمكننا إيصالك إلى سييستا كيه". أشار إلى الليموزين المنتظرة عند حافة الرصيف، ثم استدار إلى السائق. "أليس كذلك؟".

"بالطبع، سيدي".
نظَرَت إليه بارتياب. "هل أنت متأكد؟ الوقت متأخر جداً".
"هذا من دواعي سروري"، قال. "هيا نفعل هذا الشيء".

6

"آه، هذا لطيف"، قالت ماري وورث وهي تستقرّ على المقعد الجلدي وتمطِّط رِجليها. "مهما تكن طبيعة عملك المهني، فلا شك أنك ناجح جداً فيه يا سيد ديكسون".

"نادني كريغ. أنتِ ماري وأنا كريغ. يجب أن نخاطب بعضنا بأسامينا الأولى لأنني أريد التكلم معك". ضغَط زراً فارتفع زجاج الخصوصية.

راحت ماري وورث تراقب هذا بعصبية، ثم استدارت إلى ديكسون. "أنت لن تتحرَّش بي، أليس كذلك؟".

ابتسم. "لا، أنتِ بأمان معي. لقد قلتِ إنك ستستقلّين القطار في طريق العودة. هل كنتِ جدّية في كلامك؟".

"بالتأكيد. هل تتذكَّرني أقول إن الطيران يجعلني أكثر خشوعاً؟".

"نعم".

" لم أشعر بالخشوع بينما كنا نُقذَف مثل سلطة على ارتفاع عشرة أو أحد عشر كيلومتراً في الجو. على الإطلاق. شَعَرتُ فقط أننا قريبون من الموت".

"هل ستسافرين جواً *مرة أخرى*؟".

فكَّرت بالسؤال جيداً وهي تراقب أشجار النخيل ووكالات السيارات ومطاعم الوجبات السريعة تمرّ بهم بسرعة أثناء توجّههم جنوباً

على طريق تاميامي. "أظن أنني سأفعل ذلك. إذا كان أحدهم على فراش موته، مثلما يقولون، وعليَّ الوصول إليه بسرعة. فقط لا أعرف مَن سيكون ذلك الشخص، لأنه ليست لديَّ عائلة كبيرة. زوجي وأنا لم نُنجب أولاداً، ووالدايَ ميتان، وهذا يترك فقط بضعة أنسباء نادرا ما أراسلهم بالبريد الإلكتروني، ناهيك عن رؤيتهم".

هذا أفضل بكثير، فكَّر ديكسون في سرّه.

"لكن هل ستكونون خائفة".

"نعم"، ونظرت إليه بعينين متّسعتين. "اعتقَدتُ حقاً أننا كنا سنموت. في السماء لو تفكّكت الطائرة، وعلى الأرض لو لم تتفكّك. لن يبقى شيء منا سوى قِطع صغيرة متفحِّمة".

"دعيني أطرح عليك فرضية"، قال ديكسون. "لا تسخري منها، بل فكِّري فيها جدياً".

"موافقة..."

"لنفترض أن هناك منظمة وظيفتها إبقاء الطائرات آمنة".

"إنها موجودة"، قالت ماري وورث مبتسمةً. "أظن أنها تسمّى إدارة الطيران الفدرالية".

"لنفترض أنها منظمة يمكنها أن تتوقّع ما هي الطائرات التي ستتعرَّض لمطبّات جوية خطيرة وغير متوقعة في أي رحلة معيّنة".

أطبقَت ماري وورث يديها في تصفيق ناعم، وابتسمت ابتسامة عريضة. "لا شك أنها تعجّ بموظفين يعلمون الغيب! إنهم أشخاص –"

"يرون المستقبل"، قال ديكسون. أليس هذا ممكناً؟ ومحتملاً حتى؟ وإلا كيف بإمكان المُسهِّل الحصول على معلوماته؟ "لكن لنقل إن قدرتهم على رؤية المستقبل تقتصر على هذا الشيء الوحيد فقط".

"لماذا لن يكونوا قادرين على توقّع نتائج الانتخابات... نتائج مباريات كرة القدم... سباقات السيارات..."

"لا أعرف"، قال ديكسون وهو يفكّر في سرّه أنهم ربما يمكنهم ذلك. ربما يمكنهم توقّع كافة أصناف الأشياء، أولئك الفرضيون الذين يعلمون الغيب في غرفةٍ فرضيةٍ. لا يهّم. "لنذهب أبعد قليلاً الآن في افتراضنا. لنفترض أن السيد فريمان كان مخطئاً، والمطبّ الجوي الذي واجَهناه هذه الليلة أخطر بكثير من اعتقاد أي شخص – بما في ذلك شركات الطيران – أو استعداد أي شخص أن يقرّ. لنفترض أنه يمكن النجاة من ذلك النوع من المطبّات الجوية فقط إذا كان هناك على الأقل راكب واحد موهوب مرتعب على متن كل طائرة تتعرَّض له". ثم صمتَ لبرهة. "ولنفترض أن ذلك الراكب الموهوب والمرتعب في رحلة هذه الليلة كان أنا".

راحت تقهقه بقوة ولم تتوقف إلا عندما رأت أنه لم يشاركها الضحك.

"ماذا بشأن الطائرات التي تطير في الأعاصير يا كريغ؟ أظن أن السيد فريمان ذكرَ هكذا شيء عن الطائرات قبل أن يحتاج إلى استخدام كيس الدوار. *تلك* الطائرات تصمد في وجه مطبّات جوية أقوى على الأرجح مما واجهناه هذه الليلة".

"لكن الأشخاص الذين يقودونها يعرفون ما الذي ينتظرهم"، قال ديكسون. "إنهم محضَّرون ذهنياً. الشيء نفسه ينطبق على عدة رحلات تجارية. سيذيع الطيّار حتى قبل الإقلاع، 'سيداتي سادتي، آسف لكننا سنواجه وقتاً عصيباً هذه الليلة، لذا ابقوا أحزمة الأمان مشدودة'".

"فهمتُ"، قالت. "بإمكان الركاب المحضَّرين ذهنياً استخدام...

أظن أنك ستسمّيها قوة تخاطرية موحّدة لإبقاء الطائرة في الجو. فقط المطبّات الجوية غير المتوقعة تستلزم حضور شخص محضَّر من قبل. مرتعبٌ... ممم... لا أعرف ماذا ستسمّي هكذا شخص".

"خبير مطبّات جوية"، قال ديكسون بهدوء. "هذا ما ستسمّيهم. ماذا ستسمّينني".

"لستَ جدّياً".

"بلى. وأنا أكيد أنك تفكّرين الآن أنك تركبين سيارة مع رجل يعاني من وهم خطير، ولا يسعك انتظار الخروج من هذه السيارة. لكن هذه *وظيفتي* في الواقع. أقبض راتباً جيداً –"

"ممَن؟".

"لا أدري. يتصل بي رجلٌ. أنا وخبراء المطبّات الجوية الآخرون – هناك بضع عشرات منا – نسمّيه المُسهِّل. تمرّ أسابيع أحياناً بين كل اتصال وآخر. مرَّ شهران في إحدى المرات. هذه المرة مرَّ يومان فقط. أتيتُ إلى بوسطن من سياتل، وفوق جبال الروكي...". مسَح فمه بيده فلم يرغب أن يتذكّر لكنه تذكَّر، على أي حال. "لنقل فقط إن الوضع كان سيئاً. كُسرَت بعض الأذرع".

انعطفا. نظرَ ديكسون خارج النافذة ورأى لافتة تقول سييستا كيه، 3 كيلومترات.

"إذا كان هذا صحيحاً"، قالت، "لماذا تؤدّي هذه الوظيفة؟".

"الراتب جيد. وسائل الراحة جيدة. أحبّ السفر... أو كنتُ أحبّه، على أي حال؛ بعد خمس أو عشر سنوات، تبدأ كل الأماكن تبدو متشابهة. لكن في الأغلب...". مال إلى الأمام وأمسك إحدى يديها في يديه. اعتقَد أنها ستُبعد يدها، لكنها لم تفعل ذلك. كانت

تنظر إليه مفتونةً. "تتمحور حول إنقاذ حياة الآخرين. كان هناك أكثر من مئة وخمسين شخصاً على متن طائرة الليلة. إلا أن شركات الطيران لا تسمّيهم أشخاصاً بل *أرواحاً*، وهذا هو التعبير الصحيح. لقد أنقذتُ مئة وخمسين روحاً هذه الليلة. ومنذ أن بدأتُ تأدية هذه الوظيفة أنقذتُ آلاف الأرواح". هزَّ رأسه. "لا، عشرات الآلاف".

"لكنك ترتعب كل مرة. لقد رأيتُك هذه الليلة يا كريغ. كنتَ مصاباً برعب مميت. وأنا أيضاً. خلافاً للسيد فريمان الذي تقيأ فقط لأنه أُصيب بدوار الجو".

"لا يستطيع السيد فريمان تأدية هذه الوظيفة أبداً"، قال ديكسون. "لا يمكنك تأدية الوظيفة إلا إذا كنتِ مُقتنِعة كلما بدأ المطبّ الجوي أنك ستموتين. تكونين مُقتنِعة بذلك رغم أنك تعرفين أنك الشخص الذي سيحرص على عدم حصوله".

تكلَّم السائق بهدوء عبر نظام الاتصال الداخلي. "خمس دقائق يا سيد ديكسون".

"يجب أن أقول إن حديثنا كان مشوّقاً"، قالت ماري وورث. "هل لي أن أسأل كيف حصلتَ على هذه الوظيفة الفريدة من الأصل؟".

"تم تجنيدي"، قال ديكسون. "مثلما أجنِّدك الآن".

ابتسمت، لكنها لم تضحك هذه المرة. "حسناً، سأجاريك في الكلام. لنفترض أنك جنَّدتني؟ أي مكسب ستستفيد؟".

"نعم"، قال ديكسون. يُعفى من سنتين من خدمته المستقبلية، هذا هو المكسب. يقترب سنتين من تقاعده. لقد أخبَرها الحقيقة بأن دوافعه هي محبّة الآخرين – إنقاذ الحياة، إنقاذ *الأرواح* – لكنه أخبَرها الحقيقة أيضاً كيف أن السفر يصبح مملاً في نهاية المطاف. الشيء نفسه

حقيقي بشأن إنقاذ الأرواح، عندما يكون ثمن فعل ذلك هو لحظات لا تنتهي من الرعب على ارتفاع شاهق فوق سطح الأرض.

هل يجب أن يُخبِرها أنه لحظة الانخراط في هذه الوظيفة، لا يمكن الخروج منها؟ إنه اتفاقك الأساسي مع الشيطان؟ عليه أن يُخبِرها. لكنه لن يُخبِرها.

انحرفا إلى الطريق الدائري لشقة تطلّ على شاطئ البحر. كانت سيدتان - صديقتا ماري وورث بلا شك - تنتظران هناك.

"هل تقبلين إعطائي رقم هاتفك؟"، سأل ديكسون.

"ماذا؟ لكي تتمكن من الاتصال بي؟ أو لكي تتمكن من تمريره إلى مديرك؟ مُسهِّلك؟".

"ذاك"، قال ديكسون. "رغم لطافة المسألة يا ماري، إلا أننا لن نرى بعضنا مرة أخرى أبداً على الأرجح".

صمتت لبرهة وراحت تفكِّر. كانت الصديقتان المنتظرتان ترقصان تقريباً من الإثارة. ثم فتَحت ماري جزدانها وأخرجت بطاقة سلَّمتها إلى ديكسون. "هذا رقم هاتفي الجوّال. يمكنك الاتصال بي أيضاً في مكتبة بوسطن العامة".

ضحِك ديكسون. "عرَفتُ أنك أمينة مكتبة".

"الجميع يعرفون هذا"، قالت. "وظيفة مملة قليلاً، لكنها تسدّد الإيجار، مثلما يقولون". فتَحت الباب. زعَقت الصديقتان مثل معجبي المطربين عندما رأتاها.

"هناك وظائف مشوِّقة أكثر"، قال ديكسون.

نظَرت إليه برصانة. "هناك فرق كبير بين الإثارة المؤقتة والخوف المميت يا كريغ. مثلما أعتقد أن كلينا يعرف".

لا يمكنه مجادلتها بشأن ذلك، لكنه خرَج وساعد السائق على حمل حقائبها بينما عانَقت ماري وورث أرملتين من الأرامل اللواتي تعرّفت عليهن عبر غرفة دردشة على الانترنت.

7

عادت ماري إلى بوسطن، ونسيت أمر كريغ ديكسون تقريباً، عندما رنَّ هاتفها ذات ليلة. كان المتصل رجلاً ذا لثغة خفيفة جداً. تكلَّما لمدة لا بأس بها.

في اليوم التالي، كانت ماري وورث على جسر الرحلة 694 من بوسطن إلى دالاس، تجلس في الدرجة السياحية، عند جناح الميمنة. المقعد الوسطي. رفَضت أن تأكل أو تشرب أي شيء.

ضربهم المطبّ الجوي فوق أوكلاهوما.

سقوط

جايمس ديكي

قبل أن تتأوه وتقول "أنا لا أقرأ الشِعر"، يجب أن تتذكَّر أن جايمس ديكي لم يكن مجرد شاعر؛ فقد ألَّف أيضاً رواية كلاسيكية عن الصمود عنوانها Deliverance [الخلاص]، والأقل قراءة To the White Sea [إلى البحر الأبيض] التي تتحدَّث عن مدفعي قاذفة B-29 يضطر إلى الهبوط بالمظلّة في منطقة العدو. كان ديكي يكتب من خبرته؛ فقد كان طيّاراً في الحرب العالمية الثانية وحرب كوريا. لـ "سقوط" نفس الدافع الروائي واللغة الفاتنة كـ Deliverance [الخلاص]. من المستحيل أن تنساها بعدما تقرأها. ملحوظة مثيرة للاهتمام: أقرّ ديكي في مقابلة ذاتية أن الفكرة المركزية للقصيدة غير محتملة (قال إن امرأة تسقط من هكذا ارتفاع ستتجمَّد)، لكن ذلك حصل فعلاً: عام 1972، سقطت المضيفة ڤيسنا ڤولوڤتش عن ارتفاع 10,000 متر من طائرة DC-9 انفجرت على الأرجح بسبب قنبلة على متنها... ونجت. النص المقتبس في بداية القصيدة يأتي من مقال في صحيفة نيويورك تايمز بتاريخ 29 أكتوبر 1962 عن حادث تعرَّضت له طائرة كونفير 440 ذات محرّكين تابعة لشركة الطيران أليغيني أثناء اقترابها من برادلي فيلد في وندسور لوكس، كونّكتيكت. قُتلَت مضيفتان أخريان في حوادث مشابهة قبل ذلك بشهر.

سقطت مضيفة سنّها 29 سنة... إلى موتها
هذه الليلة عندما قُذفَت عبر باب طوارئ
فُتح فجأة... عُثر... على الجثة... بعد
ثلاث ساعات من الحادث.

– نيويورك تايمز

الحالات عندما تُصاب بعتمة كلّية وتبدأ بالتدحرج عندما تتحوَّل
إلى شيء عابر للقارات تتحرّك تسحب ضوء القمر من العظيم
حجر أحادي الجوانب معلَّق بطرف جناح الميمنة نائمٌ بجانب
محرّك يئنّ طلباً للقهوة ويأتي القليل منها بوطأة ثقيلة
في مكان ما الوحش الشاسع-صفير الفضاء. في المطبخ مع رفوف
صوانيها تفتّش عن بطانية وتتنقّل في زيّها النحيل المكيَّف لجسمها
لتعلّقه فوق الصراخ في أعلى الباب. كما لو أنها فجَّرت

الباب بنفخة صامتة من رئتَيها مجمَّدة فقدَت الوعي واجدة نفسها
الطائرة ليست في أي مكان وجسمها سُحب بالحنجرة
الصراخ الأبدي للخلاء السقوط العيش بدء أن تكون شيئاً
لم يختبره أحدٌ ونجا منه تصرخ من دون هواء كافٍ لا تزال أنيقة
بأحمر شفاه بجوارب مطوّقة بالقواعد لا تزال ترتدي قبعتها
ذراعاها ورِجلاها في لا عالم ومع ذلك متباعدة بشكل غريب أيضاً
مع صمت مُطلق في الهواء الرقيق تأخذ وقتها تحتجزه
في أماكن عديدة والآن، لا تزال بعيدة آلاف الأمتار عن موتها
يبدو أنها تُبطئ تطوّر اهتماماً تستدير في جسمها المناوِر

لتراقبها. إنها متدلّية عالياً في الوسط الساحق للأشياء في ذاتها
في جسم منخفض-يصفر ملفوفاً بقوة في كل وزن رقصها الداكن
تنزل من وثبة مدهشة بالسهولة المتأخرة الصاعقة
لحلم بأنها تُسحَب مثل ضوء القمر اللانهائي إلى تربة الحصاد
لولاية مركزية في دولة المرء مع قدوم دفء تدريجي رائع فوقها

عائم تجد المزيد والمزيد من الأنفاس في ما كانت تستخدمه للأنفاس
وقد أصبحت المستويات بشرية أكثر ترى السُحُب تُوضع بأمانة
تحتها يساراً ويميناً تركب ببطء نحوها تشابكها كلها
إليها ويمكنها أن تدلّي يديها وقدمَيها فيها بطرق غريبة و
عيناها مفتوحتان بقوة بفعل الرياح، تستطيع فتح فمها عريضاً وتمتصّ
كل الحرارة من حقول الذرة تستطيع النزول على ظهرها وهي تشعر
بوسادات مذهلة مكدّسة تحتها ويمكنها أن تستدير
كما لو أنها تستدير إلى شخص في السرير
تبتسم، مفهومة في الظلمة يمكنها الابتعاد تنحدر تنزلق ببهلوانية
إلى شعار طائر جناحاه نصف منبسطين أو تدور بجنون حول نفسها
في حركات جمبازية لانهائية في الدفء المتزايد
لحقول القمح الصاعد نحو قمر الحصاد. هناك وقت للعيش
بصحة خارقة رؤية أضواء مميتة لا يمكن بلوغها بعيداً في الأسفل
رؤية طريق عام مُطلق تتفحّصه سيارة متأخرة لا تُقدّر بثمن تصل
إلى بلدة مربعة وعند ميمنتها يعكس بريق الماء القمر بجانبه المتزعزع
المكسو بالصلصال، الفضي الهائم يا إلهي هذا جيد وشرير
التمدُّد في موضع تلو الآخر بين كل مواضع الحبّ ممارسة نوم
رقص والآن خصلات السُحُب عليها بلا معطف واقٍ من المطر
مهما يكن كل البلدات الصغيرة الكئيبة أكثر إشراقاً من الداخل
السحابة تسير فوقها كالمطر تنفجر لمشاهدة
حافلة تُطلق ضوءاً من جهاتها إنها الإشارة للسير بشكل مستقيم
نزولاً مثل غطّاس عظيم ثم القدمَين أولاً تنورتها منزوعة بشكل جميل
إلى أعلى وجهها في ملابس تعبق برائحة الخوف

رِجليها عاريتين بانفعال شديد ثم تبسط ذراعيها تتشقلب ببطء
تثبّت نفسها تنتظر شيئاً عظيماً يسيطر على ارتعاشاتها كالريشة
تنزل الحركات السريعة لأعناق الطيور تبرم رأسها عيون ذهبية
بصر البوم الملتهِب في أقفاص الدجاج مذاق الدجاج يغمرها
البصر البعيد المدى للصقور يكبّر كل الأضواء البشرية من السيارات
قطارات الشحن الجسور يكبِّر القمر يتسابق ببطء
على كل منحنيات نهر كل ظلام منتصف الغرب الملتهِب
من فوق. أرنب في أجمة يصبح أبيض الدجاجات المختنقة بالدخان
تحتشد لأن فوقها لا يزال هناك وقت ليعيش شيء
مع شبه الفكرة المتدفّقة لمحدودب طويل لاندفاعة سقوط مدروس
يهبط بسرعة بإرادته يحوِّل الجاذبية إلى حالة جديدة
يُظهِر جهته الأخرى مثل قمر يلمع طاقات جديدة
لا يزال هناك وقت للعيش على أنفاس مصنوعة من لا شيء
لكن الليل بأكمله وقت لتتذكّر أن ترتِّب تنورتها مثل مخطط وطواط
يرشدها بشكل محكم لديها هذه البشرة الطائرة المصنوعة من أزياء
وهناك أيضاً أولئك المظلّيون على التلفزيون يُبحرون في ضوء الشمس
يبتسمون تحت نظّاراتهم الواقية يقايضون العُصي ذهاباً وإياباً
وذاك الذي قفز من دون مظلّة وأُعطي واحدة من مظلّي زميل.
تبحث عن رفيقها المبتسم بأسنان بيضاء ليس في أي مكان
إنها تصرخ تُنشد تنشر أجنحتها البشرية الرفيعة
من كتفَيها الأنيقين الهواء الوحش يداعبها يغرّد
ولم تعد تستطيع الحفاظ على النموذج الجزئي الضخم للعالم الآن
إنها تراقب دولتها تخسر شكلها الرئيسي المستحضَر تراقبها تخسر

سفر أم خطر

وتربح تستعيد منازلها وشعوبها تراقبها ترفع أضواءها المحلية
منازل وحيدة مصابيح على سقوف الحظائر إذا وَقَعت
في الماء قد تعيش مثل غطّاس يشقّ هبوطاً مثالياً

إلى عنصر منقذ آخر فضي ثقيل غير قابل للتنفّس
يتباطأ: هناك ماء هناك وقت لتجهيز كل نقاط الغطس الدقيقة
القدمَين معاً أصابع القدمين موجَّهة اليدين مقولَبتين بشكل صحيح
لإدخالها في الماء مثل إبرة لإخراجها منه تقطر بشكل صحي
وأن تُعطى عبوة كوكا كولا ها هي هناك مياه الحياة
القمر موضَّب وملفوف في خزّان لذا دعني أبدأ
للتحليق في هواء ليل كنساس أفتح عينيّ بشكل خارق عن البشر
ساطع إلى القمر الملعون أفتح الأجنحة الطبيعية لسترتي
ماركة دون لوبر أتحرّك مثل بومة صيد نحو بريق الماء
لا يستطيع المرء أن يسقط فحسب أن يتشقلب صارخاً كل الوقت
عليه أن يستخدمه انتهت الآن من كل السُحُب الشعر الرطب
قوَّمت نفسها بقايا الضباب تمزِّق وجهها مثل صوف يكشف
ظلاماً جديداً تتالٍ جديداً لأضواء على الطرقات الترابية من الفوضى

والليل تسخين تدريجي عالم محتوم جديد من دولة المرء
حجر عظيم من الضوء في مياهه المنتظرة يتحمّل يصبر
للماء: مَن يدري متى يجب أن تتناول الشابة الصحيحة جسمها
وتطير وتتوجَّه نحو العين الداخلية لماء الغرب الأوسط المخبول بالقمر
المسجون المخزَّن لها منذ سنوات ذراعا سترتها تنزلقان

الهواء في كُمَّيها يغمرها كلها؟ ما هي الأشياء الأخيرة التي يمكن قولها
عن الذي يبدأ بشكل مُطلق في جسمها في المنتصف العالي لهواء
الليل يتعقّب الماء مثل أرنب حيث يقبع مثل الحياة نفسها
ينطلق إلى اليمين في كنساس؟ تذهب نحو البحيرة العارية المتوهّجة
تنانيرها الأنيقة يداها ووجهها اللذين أدفأهما الهواء أكثر وأكثر
الصاعد من مراعي الحبوب وتحتها تحت بطانياتها من الشنيل
تشعر فتيات المزارع بالسمو فيهن يكافح ويرتفع مكتئباً
على أعمدة السرير الساطعة يحلم بعلامات أنثوية بالقمر
بدم ذكور كالحديد بما قاله حقاً أنين الطائرات المارّة فوقهن
في منتصف ليل الغرب الأوسط المارّة فوق حرائق الأغصان
تحترق بصمت على التلال الصغيرة وسيستيقظن
لرؤية المرأة التي عليهن أن يكنَّ مثلها تكافح على السقف لتصبح
نجوماً: الأرض بالنسبة لها أقرب الماء أقرب تمرّ بهما ثم تستدير
تنحرف أكمامها ترفرف بشكل مختلف بينما تتدحرج
خارجاً لتواجه الشرق، حيث ستظهر الشمس من حقول القمح
عليها أن تفعل شيئاً بالماء تطير إليه تقع فيه تشربه ترتفع منه
لكن لم يبق منه على الأرض فقد أعادت السُحُب شربه
النباتات امتَصّته هناك يقف نحوها فقط حقول الموت المشتركة
تعود من الطيران إلى السقوط تعود إلى صراخ قوي
الصراخ الصامت الذي انفجَرت منه نزولاً باب الطائرة يكاد
يكاد يفقد إحكامه مما فعلته تتذكَّر تتذكَّر الشكل عند قلب
السُحُب يدور بأناقة تتذكَّر أنه لا يزال لديها الوقت لتموت
أبعد من الشرح. دعها الآن تنزَع قبعتها في هواء الصيف

سفر أم خطر

كفاف حقول الذرة ويكون لديها الوقت الكافي لتركل حذاءها
المتبقي بأصابع القدم الأخرى لتفكّ جواربها بأصابع هادئة،
مع ملاحظة كم أن التعرّي في الجو سهل بشكل مميت قُبيل الموت
عندما يفترض الجسم أي وضعية دون جهد ما عدا الوضعية النهائية
تمكّنه من الارتقاء من العيش من عدم الموت
تحوم تسع مزارع على مقربة تتوسّع ثماني منها تنفصل، تاركةً
واحدة في الوسط ثم حقول تلك المزرعة تفعل الشيء نفسه لا توجد
طريقة للتراجع عن أرضها المُختارة لكنها تنزع السترة
بأجنحتها الفضية العاجزة الحزينة تنزع ذيل الوطواط المسيّر لتنورتها
التشبُّث المشحون بالبرق لبلوزتها الأجزاء الحميمية
لسروالها الداخلي الطائر الذي تركب عليه مثل طيف شبح مثل بتول
تنزع جواربها الطويلة حمّالة صدرها المنافية للعقل
ثم تشعر بالحزام الذي تفرضه القوانين يتشنّج لم يعد بزر واحد
تشعر بالحزام يرفرف يهتزّ في يدها ويعوم صعوداً
ترتفع ملابسها عن صعودها إلى السحابة وتحارب بعيداً عن رأسها
آخر فردة حذاء خطيرة حادة مثل طائر مغفّل وستسقط الآن
قريباً ستسقط الآن

مثل هذا أكبر شيء أتى إلى كنساس نزولاً من كل الارتفاعات
كل مستويات الأنفاس الأميركية المتجمّعة في الرئتين من قشعريرة
الفضاء الضعيفة إلى الطين حيث ينام الانقراض بين شُرّابات الذرة
ويتنفس مثل مُزارعين أغنياء يعدّون: سيأتي عندهم بعد
آخر عمل خارق لها آخر مرور يقظ بطيء ليديها

على كل أنحاء جسمها غير المتضرِّر الذي يرغبه كل نائم في أحلامه:
يكتشف الفتيان لأول مرة عانتهم مليئة بدم القلب
المُزارعون الأرامل الذين تعوم أيديهم تحت أغطية خفيفة ليجدوا
أنفسهم استيقظوا عند الشروق الموضع الرائع للدم المسحوب بغرابة
نحو السُحُب الكل يشعر بشيء يمرّ فوقهم بينما تمرِّر
راحتَي يديها فوق رِجليها الطويلتين صدرها الصغير وعميقاً بين
فخذَيها ينفلت شعرها من كل الدبابيس يتطاير في الرياح
بعيداً عن جسمها يدعها تتحرَّر تحاول في الثانية الأخيرة أن تهبط
على ظهرها حانت اللحظة حانت

كل الذين يجدونها مطبوعة
في الطين الناعم نزلت مدفوعةً عميقاً في صورة جسمها
أثلام الأميال التي انسابت عليها حيث تقبع عميقاً جداً
في دائرتها المميتة في التربة كما في السُحُب لا يمكنها أن تروي شيئاً
لكن وجودها هناك غير مشكوك فيه متعذِّر تفسيره وتتذكَّر
أن شيئاً تحطَّم فيهم أيضاً وبدأ يعيش ويموت أكثر
عندما ساروا بدون أي سبب في حقولهم إلى حيث الأرض بأكملها
قبضت عليها أعاقت رحلتها الأولى أخبَرَتها كيف تتمدَّد لا يمكنها
أن تستدير أن تنصرف أن تتحرَّك أن تنزلق بعيداً وتفترض وضعية
أخرى لا يستطيع أي مظلّي مبتسم أن ينقذها يحملها على ذراعيه
يهبط بسرعة معها يفتح فوقها حرير عرسه لم تعد قادرة على
تعليم المطر مع النساء الملتفّات اللواتي يأخذن مكان زوجة ميتة
أو المعشوقة في فتيات المزارع النرويجية أو كل بائعات هوى ويتشيتا
القاصِمات للظهر. كل الهواء المعروف فوقها لا يتخلّى عن نَفَس

سفر أم خطر

واحد   زال كله   ومع ذلك ليست ميتة   ليست في أي مكان آخر
هادئ   ممدَّدة بلا حراك على ظهرها في الحقل   تشعر بروائح
النمو المتواصل تحاول رفعها   منظر صغير متروك في طرف
عين واحدة   يتضاءل   يرى شيئاً يتموّج   يتمدَّد مقتنعاً
أنه كان يمكنها النجاة   في أفضل جزء من سموّها الوجيز   إلى الماء
دخلته برأسها   وخرجت منه مبتسمة   غير محصّنة
فتاة في إعلان عن أثواب السباحة   لكنها ممدَّدة مثل متشمِّس في
أواخر ضوء القمر   نصف مدفونة في أثرها على التربة   ليس بعيداً
عن السكة الحديدية   خزّان ماء   يمكنها رؤية إن كانت قادرة على
رفع رأسها من فجوتها المتواضعة   مع بدء ملابسها الهبوط
في كل أرجاء كنساس   في الأجمّات   على الأخضر السادس النَدِيّ
لملعب غولف   فردة حذاء واحدة   حزامها يهبط بشكل لا يُصدَّق
على حبل غسيل، حيث ينتمي   بلوزتها على مانعة صواعق:

ممدَّدة في الحقول   في *هذا* الحقل   على ظهرها المكسور كما لو أنها
على سحابة لا يمكنها اختراقها   بينما يسير المُزارعون أثناء نومهم دون
نسائهم من المنازل   في نزهة تشبه السقوط نحو المياه البعيدة   للحياة
في ضوء القمر   نحو المعنى الأبدي الذين حلموا به لمزارعهم
نحو تفتّح الحصاد بين أيديهم   تلك الكلفة المأساوية   تشعر بنفسها
تذهب نحو الخارج   تتنفس بالكامل أخيراً   لا   وتحاول   أقل   مرةً
تحاول   تحاول   آه، يا إلهي –

كلمةٌ ختامية: رسالة مهمة من قُمرة القيادة

بَڤ فنسنت

رغم أن الطيران يمكن أن يكون مهنةً مخيفةً، إلا أنني سافرتُ إلى كل أرجاء الكوكب ولا يمكنني أن أتذكَّر مروري بأي تجارب مخيفة. أثناء العمل على هذه المختارات الأدبية، أمضيتُ أكثر من 24 ساعة في الجو، وكانت كلها تحليقاً سلساً (ما عدا أنني لم أتمكن من التوقف عن التفكير بكل الأشياء التي يمكن أن تسوء، بفضل القصص المجمَّعة هنا). أقصى ما تعرَّضتُ له في كل أسفاري الجوية كان هبوطاً اضطرارياً في طقس ضبابي.

لكن أول مرة ركبتُ فيها طائرةً كانت في مارس 1978، في رحلة إلى اليونان خلال إجازة الربيع المدرسية. حطَّت رحلتنا أليتاليا 747 في مطار ليوناردو دا فينشي في روما بعد يوم واحد من خطف منظمة الألوية الحمراء رئيس الوزراء السابق ألدو مورو. كان المطار في حالة تأهب قصوى، ويعجّ بجنود يحملون رشاشات، ومنسوب التوتّر عالياً. عندما عَبَر أحد زملائي كاشف المعادن تاركاً الكاميرا معلَّقة حول عنقه، كاد يسبِّب حادثاً دولياً.

في مرة أخرى، وأثناء العودة إلى أميركا من رحلة عمل في اليابان، علمتُ وزملائي أنه تمت تبرئة ضباط الشرطة المتَّهمين بضرب رودني

كينغ، مما أثار موجة أعمال شغب في لوس أنجلوس. كان يُفترَض بنا تغيير الطائرة هناك، لكننا قرَّرنا تغيير الوجهة والمرور عبر سان فرانسيسكو بعد سماعنا تقارير غير مؤكَّدة بأن الناس يطلقون النار على الطائرات التي تهبط في مطار لوس أنجلوس.

في يوليو 2017، وقبل العرض الأول لفيلم The Dark Tower [برج الظلام] في بانغور، كنتُ وريتشارد شيزمار في مطعم (في الجانب المقابل لشارع مطار بانغور الدولي)، عندما اقترب منا ستيفن كينغ. "لديَّ فكرة فحسب"، قال. "مختارات أدبية عن كل الأشياء السيئة التي يمكن أن تحصل لك عندما تسافر جواً. سأكتب مقدمة الكتاب". وقال لريتشارد، "وأنت ستنشره". اقترَح بضعة عناوين للكتاب، ثم قال، "أحتاج إلى شخص يساعدني في إيجاد المزيد من القصص". ثم استدار نحوي. "هذه ستكون مهمتك".

وهكذا نشأت هذه المختارات الأدبية. تذكَّرتُ فوراً "كابوس على ارتفاع 6,000 متر"، وشرعتُ أبحث عن أمثلة أخرى عن قصص مخيفة تتعلق بالطائرات والطيران.

هناك الكثير من الروايات والأفلام التي تتضمن مشاهد مروِّعة عن الطائرات. قاعدة الذهب هي على الأرجح رواية آرثر هايلي Airport [المطار] للعام 1968. بدأ هايلي مسيرته في التأليف بسيناريو عنوانه Flight into Danger [رحلة إلى الخطر]، والذي بدا عنواناً جيداً لهذه المختارات الأدبية. قرأتُ رواية Runway Zero-Eight [المدرَج صفر-ثمانية] في مراهقتي، وأنا متأكد أنني شاهدتُ أيضاً الفيلم التلفزيوني المقتبس منه: Terror in the Sky [رعب في السماء]. تحوَّلت Airport [المطار] بالطبع إلى فيلم سينمائي فرَّخ عدة أجزاء لاحقة

سفر أم خطر

خلال السبعينات، لكن النسخة الساخرة !Airplane [طائرة!] هي الأشهر على الأرجح هذه الأيام. ومَن يمكنه أن ينسى Air Force One [سلاح الجو واحد] أو Red Eye [العين الحمراء] أو Snakes on a Plane [أفاعٍ في الطائرة]؟ لا حدود لأنواع الكوارث التي يمكن أن تحصل عندما تكون عالقاً داخل أنبوب معدني على ارتفاع خمسة أو ستة أو أحد عشر كيلومتراً.

تبيَّن لي أن النوع الفرعي للقصص القصيرة المخيفة عن الطائرات أقل بكثير، وتطلَّب إيجاد روايات جيدة بعض الجهد. كما أن نتائج البحث في غُوغل هَيمنت عليها روايات مخيفة من واقع الحياة عن تجارب طيران سيئة - تشبه إلى حد بعيد التجربة التي يذكرها ستيف في مقدمته. كما لجأتُ إلى اقتراحات من "القفير الذهني"، حيث نشرتُ استعلاماً على فايسبوك، وكوفئتُ بتوصيات عن قصص ربما لم أكن سأعثر عليها بطريقة أخرى. لذا، شكراً جزيلاً للقفير الذهني!

أثناء البحث عن روايات للمختارات الأدبية، كنت أعمل على مقال لمؤسسة الشِعر وذُكِّرتُ أن إحدى قصائد ستيف المفضَّلة - قصيدة ذكرها عدة مرات في مقابلاته - مستوحاة من قصة حقيقية في العام 1962 عن مضيفة قُذفَت من الطائرة عندما انفتح باب الطوارئ بعنف خلال الرحلة. سألتُ ستيف إن كان يعتقد أن علينا شملها في المختارات الأدبية. وتبيَّن لي أنه كان يفكِّر في الشيء نفسه. لذا ختمنا الكتاب بمأساة شعرية ومَجازية من واقع الحياة.

كنتُ أيضاً أقرأ مجموعة روايات جو هيل القصيرة Strange Weather [طقس غريب] أثناء عملي على هذا الكتاب. تبدأ Aloft [عالياً] بشاب قلِق يحاول أن يثير إعجاب امرأةٍ بقفزه بالمظلّة. تتوتّر

أعصابه ويحاول التراجع في اللحظة الأخيرة، لكنه يضطر إلى القفز من الطائرة في نهاية المطاف عندما يتعطّل المحرّك. شعرنا بالسرور عندما أخبَرنا جو أن لديه فكرة أخرى - مزعجة جداً - لقصة مثالية لهذا الكتاب. وقد لفتَ أوين كينغ انتباهنا إلى قصة توم بيسيل.

هل تغطي هذه المختارات الأدبية كل شيء يمكنه أن يسوء خلال رحلة جوية؟ على الإطلاق. بينما كنتُ أكتب هذه الملاحظات، صدرَ إنذار عن راكب اجتاز مطار شيكاغو أوهير مصاباً بداء الحصبة. لذا حتى ولو وصلت رحلتك بأمان إلى وجهتها النهائية، ما هي الأشياء الأخرى التي قد تحملها معك إلى المنزل؟ الاحتمالات لا تنتهي. هذا شيء لتفكّر فيه ملياً بينما توضّب حقيبتك للرحلة التالية.

رغم أن هذه المختارات الأدبية تتألف في أغلبها من قصص نُشرَت سابقاً، إلا أنني أعتقد أن الكثير من الأشخاص لم يقرأوا إلا قلّة منها من قبل. لقد قرأتُ فقط أربعة من الأعمال قبل أن أباشر هذا المشروع. وكانت رحلة استكشافي مشوّقة ونحن مسرورون جداً من مجموعة القصص التي جمّعناها.

بعدما انتهينا من وضع أغلب جدول المحتويات، أعدتُ قراءة القصة القصيرة The Langoliers - إنها رواية في الواقع، فهي بكامل طول هذه المختارات الأدبية - لأول مرة منذ سنوات، ووجدتُ روابط غير متوقعة بينها وبين الحكايات الأخرى التي اخترناها. هذا هو عالَم ستيفن كينغ، بالطبع، حيث شخصية تدعى جنكينز في The Langoliers تستلهم أنه "لا يمكنك زيارة مستودع كتب تكساس في 22 نوفمبر 1963 وتضع حداً لعملية اغتيال كينيدي"، لذا فإن هكذا أشياء لا يجب أن تكون مفاجئة، لكنها كانت كذلك.

سفر أم خطر

تخيَّل، إن شئت، جنكينز ذاته مؤلفاً يصف ورطتهم في البدء على أساس أسرار "غرفة مُقفلة". إحدى القصص التي وجدتُها كانت سر غرفة مُقفلة يجري في حمّام طائرة. يُكمل جنكينز فيقول إن سراً حقيقياً لم يكن مجازاً ملائماً لمأزقهم. "من المؤسف جداً أن لاري نيڤن أو جون ڤارلي ليس على متنها"، يقول. مهلاً... ماذا؟ مَن لدينا في جدول المحتويات غير السيد ڤارلي نفسه؟

ثم هناك المناقشة عن كيفية العودة عبر الثقب الدوديّ. بإمكان حلّهم العمليّ "تحويل الطائرة إلى جونزتاون"، يقول جنكينز. ومن أين جاءت الحمولة في القصة الافتتاحية في مختاراتنا الأدبية؟ آه. جونزتاون.

كان الأمر كأنه مقدَّر أن يحصل. أحبّ هذا النوع من التماثل المُكتشَف.

والآن، رسالة مهمة من الطيّارَين هنا في قُمرة القيادة. نودّ أن نشكر ركاب هذه الرحلة. نعرف أنه كان بإمكانكم اختيار شركة طيران أخرى ونقدِّر كثيراً انضمامكم إلينا. نأمل أن الرحلة لم تكن مضطربة *جداً*، لكنكم كنتم تعرفون ما الذي ينتظركم عندما ركبتم هذه الطائرة. ربما ساعد أحد الركاب في تخفيف حدّة الترميمات الوعرة. فهكذا أمور تحصل، أليس كذلك؟

شكراً أيضاً لوكلاء سفرهم الذين رتَّبوا رحلاتهم وتأكدوا من وصولهم إلى وجهاتهم النهائية المقصودة. العديد من الركاب في تلك القصص لم يكونوا محظوظين جداً.

نودّ أيضاً أن نشكر طاقمنا الجوي، بقيادة تشاك ڤيريل،

لمساعدتهم في ضمان رحلة سلسة للجميع، وطاقمنا الأرضي في دار نشر سيميتيري دانس الذي اهتمّ بصيانة هذه السفينة الجوية وتأكده أنها تعمل في أفضل أحوالها - بالأخص رئيس الطاقم الأرضي ريتش شيزمار ووكيل العمليات براين فريمان.

من فضلكم الآن أن تتقيَّدوا باللافتات المضاءة، وتعيدوا ظهور مقاعدكم إلى الوضعية المستقيمة وتُغلقوا طاولاتكم جيداً، وتخبّئوا أي أغراض كنتم قد أخرجتموها خلال الرحلة، وتوقفوا تشغيل أي أجهزة إلكترونية كنتم تستخدمونها، فنحن على وشك أن نهبط. قد يكون الهبوط وعِراً، لذا استعدّوا - معكم مساعِد قبطانكم. ابقوا جالسين إلى أن تركن الطائرة عند البوابة وتنطفئ إشارة حزام الأمان. انتبهوا عند فتح خزائن الأمتعة لأن الأغراض اللعينة ستكون بالتأكيد قد تحرّكت من أماكنها خلال الرحلة وتلك الحقائب الثقيلة تنتظر بشوق أن تضربكم على رؤوسكم.

آه، وإذا رأيتم في يوم من الأيام شخصاً يقرأ هذا الكتاب في المطار أو - أفضل حتى - على متن طائرة، الرجاء التقاط صورة له وإرسالها إلينا. هذا سيكون أمراً رائعاً!

بَف فنسنت

وودلاندز، تكساس

8 مارس 2018

نبذة عن المؤلفين

راي برادبُري (1920-2012) مؤلف أكثر من ثلاثين كتاباً، من بينها روايات كلاسيكية مثل Fahrenheit 451 [فهرنهايت 451] و The Martian Chronicles [السجلات المريخية] و The Illustrated Man [الرجل المصوَّر] وDandelion Wine [شراب الهندباء] و Something Wicked This Way Comes [شيء ما شرير يأتي من هذا الطريق]، وكذلك مئات القصص القصيرة. كتَب للمسرح والسينما والتلفزيون، بما في ذلك سيناريو لفيلم جون هيوستن Moby Dick [موبي ديك] والمسرحية التلفزيونية الحائزة على جائزة إيمي The Halloween Tree [شجرة الهالووين]، واقتبس للتلفزيون خمساً وستين قصة من قصصه للمسلسل التلفزيوني The Ray Bradbury Theater [مسرح راي برادبُري]. نال ميدالية مؤسسة الكتاب الوطنية للعام 2000 لمساهمته المتميِّزة في الرسائل الأميركية، وحاز جائزة بوليتزر للاستشهاد الخاص في العام 2007، وعدة دروع تكريمية أخرى.

أمبروز بِيرس (1842-1914) معروف أكثر ربما كمؤلف The Devil's Dictionary [قاموس الشيطان] والقصة القصيرة التي كثيراً ما تُضاف إلى المختارات الأدبية An Occurrence at Owl Creek Bridge [حادثة جسر أول كريك]. عمِل كمتدرِّب طباعة وتجنَّد خلال الحرب الأهلية الأميركية، وهي تجربة أغنت معظم كتاباته لاحقاً. بقي

نبذة عن المؤلفين

يكتب ويعمل في الصحف على الساحلَين لرُبع قرن. بحثاً عن مزيد من التجارب في زمن الحرب، اختفى أثناء سفره إلى المكسيك لمراقبة الثورة بقيادة پانشو ڤيلا. قدره مجهول.

توم بيسيل (1974-) وُلد في إسكانابا، ميشيغن. ألَّف تسعة كتب، من بينها الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز The Disaster Artist [الفنان الكارثة] (كتبها مع غريغ سيستيرو) وApostle [التلميذ]. فازت أعماله بجائزة روما وجائزة زمالة غوغنهايم. يعيش في لوس أنجلوس مع عائلته.

إ.ت. تَبّ (1919-2010) كاتب وُلد في لندن تُرجمَت أعماله إلى أكثر من عشر لغات. خلال مسيرته في التأليف التي امتدت على ستين سنة، نشَر أكثر من 120 رواية و200 قصة خيال علمي قصيرة. تضمَّنت أعماله مغامرات تاريخية، وتحقيق بوليسي، وروايات عن الغرب الأميركي، لكنه بقي مشهوراً أكثر لروايات الخيال العلمي العديدة، والتي اعتُبرَت منها Alien Dust [غبار الفضاء] (1955) و The Space Born [المولود الفضائي] (1956) روايات كلاسيكية. اشتُهر تَبّ لسلسلته التي امتدت لفترة طويلة Dumarest of Terra، وهي ملحمة بين المجرّات يخوضها إيرل دومارست في سعيه لإيجاد الكوكب الأسطوري المفقود حيث وُلد - كوكب الأرض. تألفت السلسلة في نهاية المطاف من 33 قصة، وقد ظهرت آخر واحدة منها، Child of Earth [ولد الأرض]، عام 2009. كما حقّقت حلقاته التلفزيونية Space 1999 ورواياته Cap Kennedy (كتبها تحت إسم غريغوري كيرن) شهرة مماثلة. تم تجميع بعض أفخر قصص خياله العلمي القصيرة في The Best Science Fiction of E. C. Tubb. بقي تَبّ يؤلّف

حتى وفاته في أكتوبر 2010؛ وقد نُشر آخر عمل له، Fires of Satan [نيران إبليس]، عام 2013.

بيتر تريماين (1943–) يعيش الآن في لندن واشتهر في البدء بكتابة روايات تشويقية خارقة قبل تحوّله إلى روايات الجرائم الخرافية. بصفته باحثاً سلتياً سابقاً، اشتُهر عالمياً بفضل سلسلة روايات الجرائم التاريخية التي استمرت لفترة طويلة، The Sister Fidelma Mysteries [أسرار الأخت فيدلما]، والتي جرت أحداثها في ايرلندا في القرن السابع، والرواية التاسعة والعشرين منها ظهرت في يوليو 2018. بعد ظهورها في عدة لغات، أُنشأ مجتمع الأخت فيدلما الدولي عام 2001 في الولايات المتحدة الأميركية ومنذ العام 2006، يُقام تجمُّع دولي لثلاثة أيام للمعجبين في كاشل، تيبيراري، "مسقط رأس" الشخصية فيدلما. مفتتحاً تجمُّع العام 2014، وصف وزير البيئة في الحكومة الإيرلندية، آلان كيلي، السلسلة بأنها "كنز وطني". ألَّف بيتر بضع قصص جرائم فقط بطلتها شخصية أخرى غير فيدلما والقصة "جريمة قتل في الجو" تُظهِر موهبته غير المحصورة بالقرن السابع.

روالد دالْ (1916–1990) وُلد في كارديف من أصول نرويجية. انضم إلى سلاح الجو الملَكي في سنّ الثالثة والعشرين وبدأ التأليف للراشدين بعد أن جُرح في حادث تحطّم طائرة خلال الحرب العالمية الثانية. جالساً في كوخ في أسفل حديقته، شرَعَ يكتب بعض قصص الأطفال الأكثر شعبية في العالم، من بينها Matilda [ماتيلدا] و Charlie and the Chocolate Factory [تشارلي ومَصنع الشوكولا] و The BFG [المارد الودود]. تُرجمَت قصصه اليوم إلى 60 لغة وبيع منها أكثر من 250 مليون نسخة. كما اقتُبس العديد من تلك القصص

للمسرح والسينما، بما في ذلك الفيلم الكلاسيكي Willy Wonka and the Chocolate Factory [ويلي وانكا ومَصنع الشوكولا] في العام 1971، وفيلم Fantastic Mr Fox [السيد ثعلب الرائع] الذي أخرجه وَسّ أندرسون، وفيلم The BFG الذي أخرجه ستيفن سبيلبرغ، والمسرحية الغنائية Matilda The Musical الفائزة بعدة جوائز إنتاج شركة RSC مع موسيقى تأليف تيم مينشن. تُوفّي دالْ في نوفمبر 1990.

آرثر كونان دويْل (1859-1930) طبيب ابتكر شخصية شيرلوك هولمز، وهو محقق استشاري ظهر في عشرات القصص القصيرة وأربع روايات. كَتَب دويْل أيضاً روايات تاريخية وقصص مغامرات بطلها البروفيسور تشالنجر. كتَب عن الحرب البويرية ومسائل أخرى مرتبطة بالقارة الأفريقية، لكنه أصبح مفتوناً بالروحانيات، وهذا جعله على خصام مع أمثال هاري هوديني وجوزيف ماكّايب. نُشرت سيرته الذاتية، Memories and Adventures [ذكريات ومغامرات]، قبل وفاته بست سنوات.

جايمس ل. ديكي (1923-1997) شاعر وروائي أميركي مشهور لروايته Deliverance [الخلاص] التي تحوَّلت إلى فيلم سينمائي ضخم عام 1972، وظهر فيه ديكي كضيف شرف في دور المأمور. خدَم كعامل رادار في سِرب طيّاري الليل في الفيلق الجوي للجيش الأميركي خلال الحرب العالمية الثانية وخدم مرة أخرى في سلاح الجو الأميركي خلال الحرب الكورية. بعد نيله شهادة البكالوريوس في الأدب والفلسفة الإنكليزيين من فاندربيلت، عاد إلى الدراسة لينال شهادة ماجستير في الأدب الإنكليزي من نفس المؤسسة. علّم في معهد رايس وجامعة فلوريدا، وأمضى سنوات عديدة يؤلّف فيها إعلانات. بدأ ينشر

مجموعات من أشعاره عام 1960، وفاز بجائزة زمالة غوغنهايم وجائزة الكتاب الوطني للشِعر، كما عُيِّن مستشار الشِعر لمكتبة الكونغرس. بعد عمله كمُحاضِر زائر معظم فترة الستينات، أصبح أستاذ الأدب الإنكليزي والكاتب المقيم في جامعة كارولاينا الجنوبية عام 1969. نال جائزة شاعر الولايات المتحدة الثامنة عشر عام 1966 ودُعي ليقرأ من شِعره في حفل تنصيب الرئيس جيمي كارتر عام 1977. قراءته لقصيدته"أرض القمر" بُثَّت على التلفزيون يوم هبوط أبولو 11 على سطح القمر في يوليو 1969.

دان سيمونز (1948-) وُلد في بيوريا، إيلينوي، وترعرع في مدن وبلدات صغيرة مختلفة في الغرب الأوسط، من بينها بريمفيلد، إيلينوي التي استوحى منها روايته الخرافية Elm Haven [ملاذ الدردار] في Summer of Night [صيف الليل] للعام 1991 و A Winter Haunting [شتاء لا يُنسى بسهولة] للعام 2002. نال دان شهادة بكالوريوس آداب في الإنكليزية من كلية واباش عام 1970، وفاز بجائزة فاي بيتا كابا الوطنية خلال سنته الجامعية الأخيرة لتفوّقه في روايات الخيال والصحافة والفن. نال دان شهادته الماجستير في التعليم من جامعة واشنطن في سانت لويس عام 1971. ثم عمِل في التعليم الابتدائي لـ 18 سنة - سنتين في ميزوري، سنتين في بوفالو، نيويورك - سنة واحدة كـ "أستاذ موارد" BOCES مدرَّب خصيصاً وسنة أخرى كأستاذ للصف السادس - و14 سنة في كولورادو.

دايفد ج. شو (1955-) اختيرت قصصه القصيرة لأكثر من 30 مجلد مختارات أدبية "الأفضل في السنة" طوال أربعة عقود وفاز بجائزة الخيال العالمي، وجائزة البُعد النادر جداً من مجلة Twilight Zone،

نبذة عن المؤلفين

زائد جائزة نقابة الرعب الدولية عن روايته Wild Hairs [شعرات وحشية] (أعمدته Raving & Drooling [هذيان وسيلان لعاب] في مجلة Fangoria). تتضمن رواياته The Kill Riff وThe Shaft و Rock Breaks Scissors Cut وBullets of Rain وGun Work و Hunt Among the Killers of Men وInternecine وUpgunned وThe Big Crush (وشيكة الصدور). وتم تجميع قصصه القصيرة في Seeing Red وLost Angels وBlack Leather Required و Crypt Orchids وEye وZombie Jam وHavoc Swims Jaded و DJSturbia، وملخص مسيرته المهنية DJStories. ألّف بشكل مكثّف للسينما (The Crow و Leatherface: Texas Chainsaw Massacre III وThe Hills Run Red) والتلفزيون (Tales from the Crypt وPerversions of Science وThe Hunger و Masters of Horror). أعماله الأخرى غير الخيالية تتضمن The Art of Drew Struzan وThe Outer Limits Companion. وقد فاز مجلد لاحق له، The Outer Limits at 50، بجائزة روندو هاتّون لأفضل روايات الرعب الكلاسيكية عام 2015. يمكنك مشاهدته يتنقّل بين الأفلام الوثائقية والأقراص الرقمية ويُدلي بشهادته كخبير في كل شيء من Creature from the Black Lagoon وIncubus و The Shawshank Redemption إلى Scream وScream Again و Beast Wishes وThe Psycho Legacy. هو أيضاً محرِّر السلسلة ذات المجلدات الثلاثة Lost Bloch لدار النشر Subterranean Press ورواية Elvisland تأليف جون فاريس. وشارك في إنتاج تكملات لأقراص رقمية مثل Reservoir Dogs وFrom Hell وI Robot و

The Dirty Dozen طبعة خاصة و Chronicles of Narnia: The Lion وthe Witch & the Wardrobe. كان أول مَن فاز بجائزة ج. ف. غونزاليس لإنجازات الحياة، وبفضله أُضيفت كلمة splatterpunk إلى قاموس أكسفورد الإنكليزي منذ العام 2002. يعيش ويعمل في محبوبته لوس أنجلوس. من الضروري أن تبحث عنه في غُوغل.

كودي غُودفيلو (1970–) ألّف سبع روايات بمفرده وثلاث روايات بالتعاون مع المؤلف الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز جون سكيپ، ونالت مجموعتان من مجموعاته الأربعة للقصص الخرافية القصيرة، Silent Weapons for Quiet Wars [أسلحة صامتة لحروب هادئة] وAll-Monster Action [معارك الوحوش]، جائزة كتاب بلاد العجائب. ألّف وشارك في إنتاج فيلم الرعب القصير Stay-At-Home Dad [والد مدبّر منزل]. بصفته مفسِّراً لأخوية داغون السرية، يترأّس عدة جلسات فطور كثولو كل سنة. مثّل مؤخراً دور مُزارع من الأميش في إعلان لنُزُل Days Inn، وظهر في خلفية العديد من البرامج التلفزيونية، بما في ذلك Aquarius [برج الدلو] و American Horror Story: Roanoke [قصة رعب أميركية: روانوك] وG.L.O.W. و You're The Worst [أنت الأسوأ] وKirby Buckets [كيربي باكتس] وKevin Hart's Guide to Black History [دليل كيفن هارت إلى التاريخ الأسود] وفيديوهات لـ Anthrax وBeck. شارك أيضاً في تأسيس الدار Perilous Press التي تنشر روايات رعب كوني عصري. رغم ما قد قرأته في مكان آخر، إلا أنه يعيش في الواقع في بورتلاند، أوريغون.

جون ڤارلي (1947–) وُلد في أوستن وترعرع في غالف كوست.

نبذة عن المؤلفين

بطاقة خروجه من عالم البتروكيميائيات ذي الروائح الكريهة والرطوبة الشريرة كانت منحة الجدارة الوطنية إلى جامعة ولاية ميشيغن مع خطط ليصبح عالِماً. تبيَّن له أن العِلم مُضجر، وكذلك الأدب الإنكليزي، ثم بعد ذلك بقليل، المدرسة نفسها. فتوقَف عن حضور الحصص ما عدا تلك التي يعرضون فيها أفلاماً كلاسيكيةً. انطلق في رحلة مع صديق له أوصلتهما في نهاية المطاف إلى سان فرانسيسكو في الوقت المناسب لفعاليات مهرجان Summer of Love [صيف الحبّ]، الذي كان كلاهما يجهلان حصوله. في اليوم الأول هناك، غنّى مع ألِن غينسبرغ على منصة للهيبّيين. فقرَّر أنه هيبّي. عاش في تاكسون حيث تعرّف على ليندا رونشتاد قبل أن تصبح مشهورة. علق في زحمة مرور في الجزء الشمالي من نيويورك تبيَّن أنها مهرجان وودستوك. لم يتمكّن من الخروج قبل ثلاثة أيام، وقد تجنّب أن يتم تجنيده في الجيش. قرَّر عام 1973 أن يصبح كاتب روايات خيال علمي. كان أحد أوائل الكتّاب الذين أُطلق عليهم لقب "هاينلاين الجديد". أزعجه هذا التملّق، بما أن هاينلاين القديم كان قُدوة رئيسية – ولا يزال حيّاً. تُرجمَت أعماله إلى 16 لغة لا يستطيع قراءتها، ومن بينها Esperanto. حصل انقطاع في مسيرته التأليفية دام عشر سنوات عندما عمِل في هوليود، حيث جنى أموالاً جيدة، وكان له في وقت من الأوقات مكتب خاص له في ستديو مترو–غولدوين–ماير. تعرَّف على مَلّ غيبسون، پول نيومان، سيغورني ويفر، شارلتون هَسْتون، وعدة نجوم آخرين. كانوا كلهم أقصر مما تخيَّل، ما عدا ويفر. (يبلغ طول جون ڤارلي 198 سم من دون جزمة راعي البقر التي يرتديها). عاش ڤارلي لفترة في بورتلاند، أوريغون، مع لي إيميت، التي أصبحت محرِّرته الرئيسية. كانت بارعة في عملها ومليئة

باقتراحات مفيدة. تشاركا في تربية كلب سنّه تسع عشرة سنة يدعى سيروكو، والذي كان أفضل صنف شيلتي في أوريغون. عاشا لبضع سنوات في منزل نقّال ركناه على بُعد خمسين متراً من الشاطئ على ساحل كاليفورنيا المركزي. وعاشا أربع سنوات في هوليود في حي يدعى ثاي تاون (أو البلدة التايلاندية). يعيشان حالياً في فانكوفر، واشنطن.

بَڤ فنسنت (1961–) مؤلف عدة كتب، أحدثها The Dark Tower Companion، وما يزيد عن ثمانين قصة قصيرة، من بينها ظهور في Alfred Hitchcock's Mystery Magazine و Ellery Queen's Mystery Magazine ومجلدَي مختارات أدبية MWA. تُرجمَت أعماله إلى عدة لغات ورُشّح لجائزة برام ستوكر، جائزة إدغار وجائزة ITW Thriller. فاز بجائزة آل بلانشارد عام 2010. للمزيد عنه، راجع bevvincent.com أو تابعه على تويتر BevVincent@.

ستيفن كينغ (1947–) باع أول قصة قصيرة محترفة له عام 1967 لـ Startling Mystery Stories. وفي خريف 1971، بدأ يدرِّس اللغة الإنكليزية في أكاديمية هامبدن، وهي الثانوية الرسمية في هامبدن، ماين. كان يؤلِّف في الأمسيات وفي عطل نهاية الأسبوع، وتابَع يُنتج قصصاً قصيرةً ويعمل على روايات. في ربيع 1973، وافقت دابلداي وشركاه على نشر رواية Carrie [كاري]، مما أمَّن له الرخاء المادي ليترك التعليم ويؤلِّف بدوام كامل. ومنذ ذلك الوقت نشر ما يزيد عن 50 كتاباً وأصبح أحد أنجح الكتّاب في العالم. نال كينغ ميدالية مؤسسة الكتاب الوطنية لمساهمته المتميِّزة في الأدب الأميركي عام 2003، والميدالية الوطنية للفنون عام 2014، وجائزة الخدمة الأدبية من مؤسسة PEN America عام 2018.

نبذة عن المؤلفين

إ. **مايكل لويس** (1972–) عاشق للطيران وقصص الأشباح دَرَس التأليف الإبداعي في جامعة بيوجت ساوند في تاكوما. تظهر قصصه القصيرة في The Horror Anthology of Horror [المختارات الأدبية لروايات الرعب] (نشر ميغازانثوس برس) وExotic Gothic 4 [القوطي الغريب 4] (نشر PS برس) وSavage Beasts [وحوش همجية] (نشر غراي ماتر برس). لديه أيضاً صفحة على فايسبوك وتويتر، وهو من السكان الأصليين لإقليم الشمال الغربي الهادئ، وأب لولدين، والمسؤول الرئيسي عن قطتين، هما إختين أيضاً.

ريتشارد ماثيسون (1926–2013) مؤلف عدة روايات كلاسيكية وقصص قصيرة. كتَب أصنافاً متنوعةً من بينها رعب، خيال، خوارق، حماسية، خيال علمي، ووسترن. كما كتَب للتلفزيون بغزارة (بما في ذلك The Twilight Zone وNight Gallery وStar Trek وأفلام سينمائية عديدة. تحوَّل العديد من رواياته وقصصه إلى أفلام من بينها The Shrinking Man وI am Legend وSomewhere in Time و What Dreams May Come. تتضمن جوائزه العديدة جائزة الخيال العالمي وجائزة برام ستوكر لإنجازات الحياة، جائزة هوغو، جائزة إدغار، جائزة سبور لأفضل رواية وسترن، وعدة جوائز من نقابة المؤلفين، وأُضيف عام 2010 إلى قاعة مشاهير الخيال العلمي.

جو هيل (1972–) مؤلف الروايات الأكثر مبيعاً على لائحة نيويورك تايمز The Fireman وNOS4A2 ومؤخراً Strange Weather. بما أنه يعيش جزءاً من حياته في المملكة المتحدة وجزءاً آخر في الولايات المتحدة، فإنه يمضي وقتاً طويلاً في الجو يتأمَّل كل الأشياء البشعة التي يمكن أن تحصل للشخص على ارتفاع 9,000 متر.

صدر للمؤلف أيضاً عن الدار:

سفر أم خطر

شدّ حزام الأمان استعداداً لمجموعة حكايات مضطربة برعاية ستيفن كينغ وبَف فنسنت. تتضمن هذه المختارات الجديدة المشوّقة، والمثالية للقراءة في المطار أو على متن الطائرة، مقدمة أصلية من ستيفن كينغ وملاحظات شخصية منه عن كل قصة، بالإضافة إلى قصص جديدة من تأليف ستيفن كينغ وجو هيل.

يكره ستيفن كينغ السفر في الطائرة.

يودّ الآن مع زميله بَف فنسنت مشاركتك خوفهما من الطيران.

أهلاً بك في سفر أم خطر، مختارات أدبية عن كل الأشياء التي يمكن أن تسوء بشكل فظيع عندما تكون معلّقاً في الجو على ارتفاع 9,000 متر، وتسير بسرعة تزيد عن 800 كيلومتر في الساعة، ومسجوناً داخل أنبوب معدني (يشبه - تباً! - تابوتاً) مع مئات الغرباء. هناك طرق كثيرة يمكن أن تتحوّل بها رحلتك في السماء الودّية إلى كابوس، ومن بينها بعض الطرق التي نراهن أنك لم تفكر فيها من قبل... لكنك ستفكّر فيها عندما تسير في المرة القادمة داخل النفق الذي يؤدّي إلى الطائرة وتضع مصيرك بين يدَي شخص غريب عنك تماماً.

يضم هذا الكتاب قصصاً جديدة كلياً من تأليف جو هيل وستيفن كينغ، بالإضافة إلى أربع عشرة حكاية كلاسيكية وقصيدة واحدة من أمثال ريتشارد ماثيسون، راي برادبُري، روالد دالْ، دان سيمونز، السير آرثر كونان دويل، والعديد غيرهم. كما يصفه ستيفن كينغ بأنه «كتاب مثالي للقراءة على متن الطائرة، خاصة أثناء الهبوط في طقس عاصف... حتى لو كنت آمناً على الأرض، فقد ترغب في شدّ حزام الأمان بإحكام».

احجز رحلة معنا على متن هذه المختارات الأدبية المرعبة التي ستجعلك تفكر مرتين في كيفية الوصول إلى وجهتك النهائية.

Tanmia Bookstore
سفر أم خطر
306.00 LE
97861401 46

nwf.com
نيل وفرات
جميع كتبنا متوفرة على
في مكتبة نيل وفرات
www.nwf.com

الدار العربية للعلوم ناشرون
Arab Scientific Publishers, Inc.
www.asp.com.lb - www.aspbooks.com